مجلة الباحث

في العلوم الإنسانية و الاجتماعية

دورية فصلية أكاديمية محكّمة تُعنى بالدراسات والبحوث في العلوم الإنسانية والاجتماعية

السنة الخامسة (5)–العدد الثامن (8) / ربيع الثاني 1438هـ – ديسمبر 2016

تقرؤون في هذا العدد:

- ✓ أثر مواقع التواصل الاجتماعي في تنمية الإحساس بالهوية النفسية لدى الشباب الجزائري(دراسة ميدانية على عينة من طلبة جامعة أم البواقي)

د.سامية بريعم (جامعة ام البواقي– الجزائر)

- ✓ المشكلات التي تواجه أعضاء هيئة التدريس في كلية عجلون الجامعية

د. فيصل إبراهيم المطالقه ، د.عمار عبدالله الفريحات (جامعة البلقاء التطبيقية– الاردن)

- ✓ كرونولوجيا مفهوم الرأي العام في بحوث الاعلام

أ. فاطمة الزهراء قيطة (جامعة الجزائر –3–)

- ✓ القراءة البراغماتية للنظريات التربوية الكلاسيكية من خلال الفيلسوف "جون ديوي"

أ. البار عبد الحفيظ (جامعة الشهيد حمه لخضر بالوادي– الجزائر)

- ✓ مصادر التاريخ الموريتاني

د.آدب ولد سيد امحمد (جامعة العيون الإسلامية – موريتانيا)

- ✓ النشاط العلمي والثقافي للزاوية التجانية بقمار، خلال القرنين19و20م

أ.عقبة السعيد (جامعة الشهيد حمه لخضر بالوادي– الجزائر)

- ✓ التراث العسكري الإسلامي الوسيط بين تقليدية الطرح ورهانات القراءة الجديدة

د.خميسي بولعراس (جامعة محمد لمين دباغين، سطيف 2– (الجزائر)

ISSN 2170-0370

جامعة الشهيد حمّه لخضر بالوادي

كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية

مجلة الباحث

في العلوم الإنسانية و الاجتماعية

دورية أكاديمية فصلية محكّمة تُعنى بالدراسات والبحوث في العلوم الإنسانية والاجتماعية

السنة الخامسة(5)– العدد الثامن (8) ربيع الثاني 1438هـ / ديسمبر2016

توجه جميع المراسلات الى:
رئيس تحرير مجلة الباحث في العلوم الانسانية والاجتماعية
كلية العلوم الاجتماعية والانسانية- جامعة الوادي، طريق الشط 39000- الوادي/ الجزائر
Tél/fax: 032210731 /B.P 789
Courriel : elbaheth@univ-eloued.dz

ISSN 2170-0370

ادارة المجلة

المدير الشرفي

أ.د/ عمر فرحـــاتي
مدير جامعة الشهيد حمّه لخضر بالوادي

مدير المجلة

أ.د/ عبد الرحمان تركي
عميد كلية العلوم الاجتماعية والانسانية

رئيس التحرير

د/ رضـــوان شـــافو

اعضاء هيئة التحرير

د/ سلاف مشري

د/ معـاذ عمراني

أ/ اسمهان جبالي

تصميـــم واخـــراج

د.رضـــوان شـــافو

بريد المجلّة الإلكتروني

elbaheth@univ-eloued.dz

* ما ينشر في المجلة يعبر عن رأي كاتبة ولا يعبر عن رأي المجلة.
* يخضع ترتيب الموضوعات بالمجلة لاعتبارات فنية لا ترتبط برتبة الباحث ولا بمكانته العلمية.

الهيئة العلمية الاستشارية

من داخل الجزائر

أ.د/ الطاهر سعدالله (جامعة الوادي)
أ.د/ اسماعيل العيس (جامعة الوادي)
أ.د/ قمعون عاشوري (جامعة الوادي)
أ.د/ علي آجقو (جامعة بسكرة)
أ.د/ مبخوت بودواية (جامعة تلمسان)
أ.د/ الشايب قدادرة (جامعة قالمة)
أ.د/ محمد رشيد بوغزالة (جامعة الوادي)
أ.د/ علي عنـــابزية (جامعة الوادي)
د/ رشيـــد خضير (جامعة الوادي)
د/ عبد الفتاح ابي ميلود (جامعة ورقلة)
د/ محمد السعيد عقيب (جامعة الوادي)
د/ محمد رشدي جراية (جامعة الوادي)
د/ جمال بلفردي (جامعة الوادي)
د/ السعيد شلالقة (جامعة الوادي)
د/ شوقي ممادي (جامعة الوادي)
د/ لامية بوبيدي (جامعة الوادي)
د/ لزهر ضيف (جامعة الوادي)
د/ بوبكر منصور (جامعة الوادي)
د/ الطاهر بالنوي (جامعة الوادي))
د/ موسى بن موسى (جامعة الوادي)
د/ رضـــوان شافو (جامعة الوادي)
د/ م.عبد الرؤوف ثامر (جامعة الوادي)
د/ عبد الكامل عطية (جامعة الوادي)

من خارج الجزائر

أ.د/ عبد الكريم الماجري (جامعة منوبة – تونس)
أ.د/ اشرف صالح محمد سيد (جامعة ابن رشد – هولند)
ا.د. نجيب بن خيرة (جامعة الشارقة– الامارات)
د/ محمد الامين ولد آن (جامعة نواقشط – موريطانيا)
د/عمر زعل السعودي (الجامعة الاردنية– الاردن)
د/عبد الواحد عبد السلام شعيب (جامعة طرابلس– ليبيا)
د/ ساعد ساعد (جامعة الملك خالد– السعودية)

شروط و قواعد النشر بمجلّة الباحث
في العلوم الإنسانية و الاجتماعية

- أن يكون الباحث حاصلا على درجة الماجستير على الأقل، أو مسجّلا في الدكتوراه، ويُرفق مشروع مقاله ببيان سيرته الذاتية.
- ألاّ يكون المقال تلخيصا لمذكرة أو أطروحة جامعية.
- أن يكون المقال أصيلا وجديدا لم يعرض ولم يقدم للنشر سابقا.
- يُزوّد المؤلّف مقاله بملخصين أوّلهما بلغة المقال والثاني بلغة أجنبية، وألاّ يتجاوز الملخّص 100 كلمة.
- ويُزوّد المقال كذلك بخمسة كلمات مفتاحية بلغة المقال، وبترجمتها إلى العربية إن كان المقال بلغة أجنبية.
- أن لا يقل عدد صفحات البحث عن 10 صفحات ولا يزيد عن 15 صفحة مكتوبة بخط Traditional Arabic مقاس 14 وتباعد 1سم.
- يكون التهميش وفقا لأسلوب يسمى بال APA Style أي مباشرة بعد الاقتباس او الاستشهاد او الاحالة يكتب بين قوسين: (اسم شهرة صاحب النص والحرف الاول من الاسم الثاني، سنة النشر، رقم الصفحة)،مثال: (شافو،ر.2015: 35)
- توثيق المصادر والمراجع في نهاية البحث وترتب ترتيبا ابجديا وفقا لأسلوب . APA Style على الشكل التالي:

✓ **الكتاب:** الاسم الأخير، الاسم الأول. (سنة النشر). عنوان الكتاب (ط. ثم رقم الطبعة إن وجد). مكان النشر: الناشر.

مثال: غنابزية، علي.(2015). الشيخ محمد بن عمر العدواني:حياته ومأثره (ط.1).الوادي:مطبعة الرمال.

✓ **مقالة من مجلة او دورية:** الاسم الأخير، الاسم الأول. (سنة النشر، اليوم إن وجد ثم الشهر إن وجد). عنوان المقالة. عنوان المجلة مع وضع خط تحته، رقم المجلد إن وجد(رقم العدد)، رقم صفحة البداية–رقم صفحة النهاية.

مثال: هويدي،عبد الباسط.(جوان 2015).الدور الاجتماعي للمدرسة الجزائرية ومكانة الطفل المهام الاجتماعية:الصعوبات والعوائق. مجلة العلوم الانسانية والاجتماعية، (5)، 109- 114.

✓ **مقالة من جريدة يومية:** الاسم الأخير، الاسم الأول. (سنة النشر، اليوم الشهر). عنوان المقالة. اسم الصحيفة مع وضع خط تحته، رقم العدد، ص. رقم صفحة البداية–رقم صفحة النهاية.

مثال:شافو،رضوان.(4،2013جوان).بسالة الجيش الجزائري في الحروب العربية الإسرائيلية لازالت ترعب إسرائيل.الجديد اليومي،482،ص ص2- 3.

✓ **مقالة منشورة على الانترنيت:** الاسم الأخير لمؤلف، الاسم الأول. (سنة نشر المقالة، اليوم الشهر). عنوان المقالة مع وضع خط تحته. أسترجعت في تاريخ اليوم الشهر، السنة من الموقع الالكتروني:..... http://www.

مثال: صادق، قيس. (2001، 25 أبريل). عنف أو لا عنف: مفاهيم ومواقف حول ظاهرة العنف ضد المرأة. أسترجعت في تاريخ 30 سبتمبر، 2002 من http://www.amanjordan.org/sadeq.htm

✓ **بحث في اعمال ملتقى او مؤتمر:** الاسم الأخير للمؤلف، الاسم الأول. (تاريخ الانعقاد). عنوان البحث أو المقالة مع وضع خط تحته. قُدّم إلى اسم الندوة أو المؤتمر، مكان الانعقاد

مثال: عاشوري،قمعون. (2014، 17-18 ماي).علاقة تدوين التاريخ المحلي بالتراث الشفوي. بحث مقدم في الملتقى السابع حول التراث الثقافي،مديرية الثقافة لولاية الوادي،الجزائر.

✓ **رسائل الماجستير او الدكتوراه:** الاسم الأخير للمؤلف، الاسم الأول. (سنة النشر). عنوان الرسالة مع وضع خط تحته. نوعها، اسم الجامعة، مكان النشر

مثال:بن موسى، موسى.(2006).الحركة الاصلاحية بوادي سوف: نشأتها وتطورها 1900-1939.رسالة ماجستير،جامعة منتوري بقسنطينة،الجزائر.

- تخضع جميع المشاريع المقترحة لفحص علمي دقيق سري من قبل هيئة خبراء استشارية وقرارها غير قابل للنقض، ولا يمكن إجراء أي خطوة لنشر المقال قبل صدور قرار إيجابي.
- يتحمّل مؤلّف المقال مسؤولية إجراء كافّة التعديلات المطلوبة من هيئة الخبراء أو من فريق التحرير لنشر المقال.
- لا تنشر المجلّة إلاّ المقال الذي تكتمل فيه جميع الشروط،ولفريق التحرير الحقّ في تأجيل نشره إلى اعداد لاحق عند الضرورة.
- ترسل جميع البحوث والدراسات إلى العنوان الإلكتروني للمجلة: Courriel : elbaheth@univ-eloued.dz

كلمة العدد

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين وعلى آله وصحبه اجمعين :

الحمد لله الذي مكَّننا من إتمّامِ وإصدار العدد الثامن من مجلة الباحث في العلوم الانسانية والاجتماعية، وذلك بفضل الله أوَّلًا ، وبفضل جهود فريق هيئة التحرير وفريق اللجنة الاستشارية العلمية ثانياً، فلهم منَّا كل الشكر والتقدير والعرفان.

وكما اسلفا سابقاً، فقد جاء هذا العدد في حُلَّةٍ جديدة ومواضيع ذات رصانة علمية قوِّية في مختلف المجالات،وذات نسق منهجي جديد وفقا للطريقة المسماة بالـ **APA Style**،المعتمدة لاول مرة في هذا العدد،وذلك تطبيقاً لتعليمات المديرية العامة للبحث العلمي والتطوير التكنولوجي، وهذا التجديد يدخل في سياق مواكبة المقاييس العلمية العالمية لتطوير المجلات الاكاديمية المحكمة الورقية والالكترونية.

كما نعدكم مستقبلا على بذل المزيد من المجهودات من اجل الحفاظ على ديمومة واستمرارية صدور الاعداد المقبلة للمجلة،وفي وقتها المحدد كما عهدناكم، وبجودة عالية من خلال نشر بحوث ودراسات ذات رصانة علمية من شانها تعزيز مكانة مجلتنا ضمن قاعدة البيانات العالمية مثل "تومسون رويترز Thomson Reuters ."او مؤشر h –Index .

والله ولي التوفيق

رئيس التحرير

د: رضـــــوان شاش

قائمة المحتويات

الموضوع	رقم الصفحة

- كلمة العدد 06
- **أثر مواقع التواصل الاجتماعي في تنمية الإحساس بالهوية النفسية لدى الشباب الجزائري(دراسة ميدانية على عينة من طلبة جامعة أم البواقي)**..... 09

د.سامية بريعم (جامعة ام البواقي– الجزائر)

- **المشكلات التي تواجه أعضاء هيئة التدريس في كلية عجلون الجامعية**..... 17

د. فيصل إبراهيم المطالقه ، د.عمار عبدالله الفريحات (جامعة غرداية– الجزائر)

- **مكانة الإتصال ضمن إدارة الجودة الشاملة ومعايير الإيزو في المؤسسة الاقتصادية**..... 30

أ. طارق هابة (جامعة الجزائر –3–)

- **مؤسسات النشر ودورها في إرساء قواعد مجتمع المعرفة:. الديوان الوطني للمطبوعات الجامعية OPU "أنموذجا"**..... 53

د. بونيف محمد لمين، أ. مرزقلال إبراهيم (جامعة محمد بوضياف بالمسيلة – الجزائر)

- **كرونولوجيا مفهوم الرأي العام في بحوث الاعلام**..... 66

أ. فاطمة الزهراء قيطة (جامعة الجزائر –3–)

- **القراءة البراغماتية للنظريات التربوية الكلاسيكية من خلال الفيلسوف "جون ديوي"**..... 91

أ. البار عبد الحفيظ (جامعة الشهيد حمه لخضر بالوادي– الجزائر)

- **السَّمَةُ الموسوعيّة التّكامليّة في مُؤلّفات العلماء المسلمين . مقدّمة ابن خُلدون أنموذجا** 104

أ. إسماعيل عريف (جامعة الشهيد حمه لخضر بالوادي– الجزائر)

- **الثورة الجزائرية في الشعر الشعبي بمنطقة المسيلة 1954–1962**..... 115

د. محمد السعيد قاصري (جامعة محمد بوضياف بالمسيلة – الجزائر)

- **مقاومات الاحتلال الروماني " ثورة فيرموس سنة 372م أنموذجا "**..... 124

د. عبدالحميد عمران (جامعة محمد بوضياف بالمسيلة – الجزائر)

- **مصادر التاريخ الموريتاني**..... 138

د. آدب ولد سيد امحمد (جامعة العيون الإسلامية – موريتانيا)

❖ **المخططات الفرنسية للقضاء على الثورة الجزائرية من الداخل – الولاية الثالثة نموذجا –**....150

أ. كمال سليح (جامعة الجزائر-2-)

❖ **النشاط العلمي والثقافي للزاوية التجانية بقمار، خلال القرنين19و20م**.....160

أ.عقبة السعيد (جامعة الشهيد حمه لخضر بالوادي- الجزائر)

❖ **دور المجتمع المزابي في الحراك الثقافي بالجنوب الجزائري**.....165

د.رضوان شافو ،أ.محمد بوسعدة (جامعة الشهيد حمه لخضر بالوادي- الجزائر)

❖ **التراث العسكري الإسلامي الوسيط بين تقليدية الطرح ورهانات القراءة الجديدة**.....170

د. خميسي بولعراس (جامعة محمد لمين دباغين، سطيف 2- (الجزائر)

تاريخ الاستلام: 2016/07/15- تاريخ التحكيم: 2016 /11/14 -تاريخ النشر2016/12/30

أثر مواقع التواصل الاجتماعي في تنمية الإحساس بالهوية النفسية لدى الشباب الجزائري (دراسة ميدانية على عينة من طلبة جامعة أم البواقي)

د.سامية بريعم

جامعة ام البواقي- الجزائر

❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁

الملخص:

هدفت الدراسة الحالية إلى معرفة أثر مواقع التواصل الاجتماعي في تنمية الإحساس بالهوية النفسية لدى الشباب الجزائري، وقد اعتمدت الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي، حيث قامت الباحثة بتطبيق استبيان أثر مواقع التواصل الاجتماعي في تنمية الإحساس بالهوية النفسية لدى الشباب من إعدادها،على عينة تتكون من(235) بواقع (78) طالبا و (157) طالبة من طلبة جامعة أم البواقي، وكانت النتائج كالتالي:

1- لمواقع التواصل الاجتماعي أثر هام و كبير في تنمية الإحساس بالهوية النفسية لدى الشباب الجزائري.

2- توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين الشباب الجزائري في تحديد أثر مواقع التواصل الاجتماعي في تنمية الإحساس بالهوية النفسية تعزى لمتغير الجنس،وهذه الفروق لصالح الإناث.

الكلمات المفتاحية: مواقع التواصل الاجتماعي، الهوية النفسية، الشباب الجزائري .

Abstract :

This study aims at exploring the effect of the social networking sites in self identity of Algerian youth, the study uses the descriptive analytical approach, and the researcher built a Questionnaire was prepared .The sample includes (235) students (78) males and (157) females in Oum El Bouaghi university .

The study revealed the following results :

1 - the social networking sites has a very strong effect upon in self identity of Algerian youth.

2 - Significant differences appeard between males and females in determining the effect of social networking sites in self identity , show that females are more than males.

Keywords : social networking sites, self identity , Algerian youth.

مقدمة:

ساهمت التطورات المتلاحقة في شبكة الإنترنت في إيجاد شكل جديد من الإعلام، تعددت تصنيفاته ومسمياته لدى المهتمين والمختصين الإعلاميين،الذي أطلقوا عليه الإعلام الجديد، والإعلام البديل، الذي يشمل الشبكات الإجتماعية الإفتراضية، والمدونات، والمنتديات الإلكترونية والمجموعات البريدية، وغيرها من الأشكال والأنواع المتعددة.

ولقد أحدثت مواقع التواصل الاجتماعي تطوراً كبيراً ليس فقط في تاريخ الإعلام، وإنما في حياة الأفراد على المستوى الشخصي والاجتماعي والسياسي، وجاءت لتشكل عالماً افتراضياً يفتح المجال على مصراعيه للأفراد والتجمعات والتنظيمات بمختلف أنواعها، لإبداء آرائهم ومواقفهم في القضايا والموضوعات التي تهمهم بحرية غير مسبوقة (حسن،أ،2009:478-479).

وتكمن إيجابيات الإعلام الجديد في سرعة الاتصال، والقيمة المعلوماتية، وضمان وصولها، وتحقيق التفاعل معها، وليس كونه إعلاماً مرسلاً من جانب واحد، مما خلق مساواة داخل المجتمع في الاتصال (عبد القوي،م،2009،:155).

ويلجأ الأفراد للتواصل مع الأهل والأقارب والأصدقاء من خلال ما يسمى بمواقع التواصل الاجتماعي، التي تُعد وسيلة جديدة لتبادل الآراء والأفكار،وحشد المناصرة والتأييد لقضية من القضايا، وتكوين الوعي حول القضايا المختلفة، أو تدعيم القائم منها سلفاً, من خلال المواد المنتجة باستخدام الوسائط المتعددة (Sean P,2008:93).

وذلك عوضاً عن المنتديات الإلكترونية التي يقوم على إدارتها أشخاص يقومون بالدور التقليدي لـ "حارس البوابة"، والمجموعات البريدية محدودة الفاعلية، أو المواقع المجانية المتخمة بالإعلانات, التي تعرضها المواقع الموفرة لهذه الخدمة، حيث وجدت المدونات طريقها إلى شبكة الإنترنت، ومواقع الفيديو، ومجموعات التواصل الاجتماعي، فمرتادو مواقع التواصل الاجتماعي ينتمون إلى فئات مختلفة، ولهم اهتمامات واحتياجات مختلفة، وبعضهم يرى أن هذه الاهتمامات والاحتياجات لا تجد من وسائل الإعلام والاتصال،الاهتمام اللائق لتلبيتها بصورة كافية، فضلاً عن عدم تغطية هذه الوسائل لجميع الأنشطة التي يقومون بها، مما دفع هؤلاء الأفراد لتقديم محتوى يخصهم وحدهم، وبما يمكنهم من نقله لغيرهم(البسيوني،م،2009 :10-12).

والمجتمع الجزائري شأنه شأن العديد من الدول فقد شهد إقبالا كبير على استخدام مواقع التواصل الاجتماعي بمعدلات غير مسبوقة، خاصة لدى فئة الشباب، حيث يستخدم الشباب في بداية الأمر مواقع التواصل الاجتماعي للدردشة ولتفريغ الشحن العاطفية، إضافة لأنها تعد مصدر مذهل للمعلومات والاكتشافات في جميع المجالات، ورغم ذلك فإن الإفراط في الإقبال على استخدامها لا يخلو من السلبيات مثل احتوائها على كثير من المواقع الإباحية التي لا تتفق مع قيم وعادات المجتمع الجزائري، كما أنها تتسبب في الغزو الفكري ، خاصة لدى الغير متعمقين والسطحيين والقابلين للإيحاء، وهكذا فمواقع التواصل الاجتماعي شأنها كشأن بقية وسائل الاتصال هي سلاح ذو حدين، فهي وسيلة نافعة لها آثارها الإيجابية، ولها آثارها السلبية، فإذا ما استخدمت بأسلوب سلبي مبالغ فيه، ولغير الأغراض التي أتت من أجلها فهنا يتحول استخدامها إلى سلوك مرضي، وتصبح وسيلة إعلامية سلبية وخطيرة على حياة الشباب ومنها المساهمة في ضياع الإحساس بالهوية النفسية، حيث تعرف بأنها مقدار

ما يحققه الفرد من الوعي بالذات، والتفرد بالاستقلالية وأنه ذات كيان متميز عن الآخرين، وما يحققه من الإحساس بالتكامل الداخلي، والاستمرارية عبر الزمن والتمسك بالمثاليات والقيم السائدة في ثقافته

لذلك تهدف هذه الدراسة إلى الكشف عن أثر مواقع التواصل الاجتماعي في تنمية الإحساس بالهوية النفسية لدى الشباب الجزائري من خلال إجراء دراسة ميدانية على عينة من طلبة جامعة أم البواقي.

مشكلة الدراسة:

في ظل العالم الناتج عن التطورات الهائلة في مختلف ميادين الحياة وخاصة التطور الهائل الذي يشهده العالم في قطاع الاتصالات والتكنولوجيا، وما تبعه من سرعة في نقل المعلومات وتمازج الحضارات والثقافات، من خلال عدة رسائل منها مواقع التواصل الاجتماعي.

ولعل الفئة الأكثر تأثراً بمواقع التواصل الاجتماعي هم فئة الشباب، وهم الفئة الأهم في المجتمع لأنهم قادة المستقبل (المطيرين، ع،2003: 22)، حيث يمثل الشباب فئة عمرية لها دورها وأهميتها داخل المجتمع ونظراً لأنها تحمل في طياتها الأمل في البناء والمستقبل الزاهد لأمتها ولما تمتلكه من القدرة والحيوية على العمل والتغيير نحو الأفضل فيما يخدم المجتمع، من خلال ما يمكن أن يكتسبه الشباب من خلال الاستخدام الموجه والمدروس لمواقع التواصل الاجتماعي، وما أحدثته من نتائج مؤثرة في المجال النفسي، من بينها تشكيل هويتهم النفسية خير دليل على قوة تأثير هذه المواقع، وقدرة هذا النوع من الإعلام على التأثير وإعطاء بصمة على الهوية النفسي لدى الفرد العربي بصفة عامة والشباب العربي بصفة خاصة لاسيما فيما يتعلق بإحساس الشاب بما هو ومن يكون فعندما يعي الإنسان أنيته وتصبح هذه الأنا هي المحركة لأفعاله ومنجزاتها فذلك هو الوجود الإنساني، وبالتالي فإن الفرد يحس بان للحياة معني ويكون ا رض عن حياته ويحس بالسعادة والرضي.

ومن هنا وبناء على ما سبق جاءت الدراسة الحالية لتسليط الضوء على أثر مواقع التواصل الاجتماعي في تنمية الإحساس بالهوية النفسية لدى الشباب الجزائري مسلطين الضوء على عينة من طلبة الجامعة،هذه الشريحة المتميزة والقادرة على التعبير عن موضوع الإحساس بالهوية النفسية، كما أنهم ينتمون إلى مختلف الفئات الاجتماعية والاقتصادية والفكرية للمجتمع الجزائري.

وتتمثل مشكلة الدراسة في الإجابة على التساؤلين التاليين :

1- ما أثر مواقع التواصل الاجتماعي في تنمية الإحساس بالهوية النفسية لدى الشباب الجزائري ؟

2- هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسطات الشباب الجزائري في تحديد أثر مواقع التواصل الاجتماعي في تنمية الإحساس بالهوية النفسية تعزى لمتغير الجنس؟

فرضيات الدراسة:

1- لمواقع التواصل الاجتماعي أثر في تنمية الإحساس بالهوية النفسية لدى الشباب الجزائري.

2- توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسطات الشباب الجزائري في تحديد أثر مواقع التواصل الاجتماعي في تنمية الإحساس بالهوية النفسية تعزى لمتغير الجنس.

أهداف الدراسة:

1- التعرف على أثر مواقع التواصل الاجتماعي في تنمية الإحساس بالهوية النفسية لدى الشباب الجزائري.

2- الكشف عن الفروق ذات دلالة إحصائية بين متوسطات الشباب الجزائري في تحديد أثر مواقع التواصل الاجتماعي في تنمية الإحساس بالهوية النفسية والتي تعزى لمتغير الجنس.

أهمية الدراسة:

– إلقاء الضوء على مجالات جديدة للاهتمام بالشباب وتنمية وعيهم بحياتهم النفسية ومنها الإحساس بالهوية النفسية.

– إبراز أهمية الإعلام الالكتروني، ودوره في تشكيل الهوية النفسية ومن ثمة تدعيم روح الانتماء للمجتمع ومن ثمة الوطن.

– رصد مدى اعتماد الشباب الجزائري على المواقع الالكترونية في الحصول على المعلومات الثقافية والأخبار الاجتماعية.

– قياس مستوى الهوية النفسية لدى شريحة الشباب وبالضبط طلبة الجامعة .

– تناولت الدور المهم الذي تقوم به مواقع التواصل الاجتماعي في تنمية الإحساس بالهوية النفسية لدى مرحلة عمرية مهمة وهي مرحلة الشباب لما لهذه المرحلة الحساسة من دور أساسي في تحديد معالم مستقبل المجتمع الجزائري .

– تسعى هذه الدراسة للوصول إلى توصيات نحاول من خلالها لفت الانتباه إلى طبيعة المواضيع التي تتناولها مواقع التواصل الاجتماعي لكي يتمكن الشباب الجزائري من المحافظة على هويته النفسية.

حدود الدراسة:

اقتصرت حدود الدراسة على:

1 – الحدود المكانية:

تم إجراء الدراسة الحالية في مدينة أم البواقي، وبالضبط في جامعة العربي بن مهيدي – أم البواقي.

2 – الحدود الزمنية:

تم تطبيق هذه الدراسة خلال السداسي الأول من السنة الجامعية 2016/2015.

3 – الحدود البشرية:

تقتصر الدراسة على طلبة جامعة العربي بن مهيدي – أم البواقي .

تحديد مصطلحات الدراسة:

1– مواقع التواصل الاجتماعي:

منظومة من الشبكات الإلكترونيّة التي تسمح للمشترك فيها بإنشاء موقع خاص به، و من ثم ربطه عن طريق نظام اجتماعي إلكتروني مع أعضاء آخرين لديهم الاهتمامات والهوايات نفسها (الراوي،ب،2003 :23).

وتعرف مواقع التواصل الاجتماعي إجرائيا في هذه الدراسة بأنها مجموعة من الصفحات الإلكترونية مرتبطة ببعضها البعض والمتاحة للشباب لمشاهدتها والتفاعل معها وتبادل المنافع والمعلومات.

– الهوية النفسية:

تشير إلى تلك المنظومة من الصفات والاتجاهات والمعايير والقوانين الشخصية والتي يطورها الفرد لنفسه من خلال تفاعله مع البيئة المحيطة به والتي تميزه عن غيره، كما وتعكس أنماط حلوله للمشكلات وطريقة تعامله مع ما يواجه من أزمات (بوعيشة،أ،2014: 37).

وتعرف الهوية النفسية إجرائيا في هذه الدراسة بأنها مجموعة من الصفات مثل القيم والأهداف ومعرفة الذات والحالة الفردية التي تمكن الفرد من التكيف مع الحاضر.

3 – أثر مواقع التواصل الاجتماعي في تنمية الإحساس بالهوية النفسية:

هو الأثر المتوقع والذي تلعبه مواقع التواصل الاجتماعي، والذي يحدد بالدرجة الكلية التي يتحصل عليها الطلبة أفراد عينة الدراسة على الاستبيان الذي قامت بإعداده الباحثة.

إجراءات الدراسة الميدانية:

منهج الدراسة:

للتحقق من فروض الدراسة الحالية، تم استخدام المنهج الوصفي التحليلي لملاءمته لموضوع وأهداف الدراسة.

ويعرف بأنه المنهج الذي يتناول دراسة أحداث وظواهر وممارسات قائمة موجودة متاحة للدراسة والقياس كما هي دون تحيز الباحث (الأغا،إ،2000:43).

مجتمع الدراسة :

تكون مجتمع الدراسة من الطلاب والطالبات الذين يستخدمون شبكة الانترنت في جامعة أم البواقي – الجزائر خلال السداسي الأول من السنة الجامعية 2016/2015.

عينة الدراسة:

تكونت عينة الدراسة من (235) طالباً وطالبة،(157) طالبة و(78) طالب الذين يستخدمون الانترنت من مختلف الكليات في جامعة أم البواقي، تتراوح أعمارهم مابين (19–33) عاماً بمتوسط عمري قدره (22.14) عاماً وانحراف معياري قدره (5.30)، وقد تم اختيارهم بطريقة العينة القصدية هذه الأخيرة التي تناسب هذا النوع من الدراسات، خاصة وأن أفراد مجتمع البحث عددهم كبير وغير معروفين لدى الباحثة، حيث تم توزيع أدوات الدراسة في قاعة الانترنت الموجودة بمكتبة الجامعة وفي مقاهي الانترنت المتواجدة بجانب الجامعة، لضمان الحصول على عينة من مختلفة الاختصاصات، ومن مختلف الجنسين.

أدوات الدراسة:

استبيان أثر مواقع التواصل الاجتماعي في تنمية الإحساس بالهوية النفسية:

يكثر استخدام الاستبيانات في البحوث التي تتبع المنهج الوصفي، ويعد الاستبيان أداة لفظية بسيطة ومباشرة تهدف إلى التعرف على ملامح خبرات المفحوصين واتجاهاتهم نحو موضوع معين ومن خلال توجيه أسئلة قريبة من التقنين في الترتيب والصياغة وما شابه ذلك.

كما يعرفه " أبو النيل" (1995) بأنه عبارة عن مجموعة من الأسئلة المصممة للتوصل من خلالها إلى حقائق يهدف إليها البحث (الجرجاوي،ز،2010:16).

ولتحقيق أهداف الدراسة ولجمع المزيد من البيانات والمعلومات والحقائق المتعلقة بدور المواقع الإلكترونية في تدعيم القيم السياسية، فقد قامت الباحثة ببناء استبيان يتكون من (31) فقرة، و قد وضعت أمام كل فقرة من فقرات الاستبيان بدائل الإجابات التالية (أوافق، أوافق إلى حد ما،لا أوافق)، وتم إعطاء الأوزان التالية لهذه البدائل (1،2،3) على التوالي (أنظر الملحق رقم01)، وبالتالي تكون أعلى درجة للاستبيان (93) وهي تمثل الأثر الايجابي الذي تلعبه مواقع التواصل الاجتماعي في تنمية الإحساس بالهوية النفسية،أما أقل درجة فهي (31) وهي تمثل الأثر السلبي الذي تلعبه مواقع التواصل الاجتماعي في تنمية الإحساس بالهوية النفسية، ولبناء هذا الاستبيان؛ قامت الباحثة بالإجراءات التالية:

1 - الإطلاع على التراث النظري المتصل بموضوع مواقع التواصل الاجتماعي في تنمية الإحساس بالهوية النفسية، ومراجعة المواضيع التي تناولت هذا الموضوع بصفة مباشرة أو غير مباشرة.

2- الإطلاع على الدراسات السابقة ذات العلاقة بالأثر والدور الذي تلعبه مواقع التواصل الاجتماعي بصفة عامة، وبعد بناء الإستبيان تم التأكد من خصائصه السيكومترية(الصدق والثبات) .

3 – الإطلاع على بعض مقاييس الهوية النفسية.

و للتأكد من الخصائص السيكومترية للاستبيان، قامت الباحثة بتطبيقه على العينة الاستطلاعية والتي تكونت من (38) طالب وطالبة من الجنسين في جامعة العربي بن مهيدي- أم البواقي - الجزائر، ومن مختلف التخصصات.

وقد تم حساب صدق وثبات الاستبيان في الدراسة الحالية كالتالي:

أ – صدق الاستبيان :

تم حساب صدق استبيان عن طريق حساب كل من:

– صدق المحكمين :

تم عرض الاستبيان في صورته الأولية على تسعة محكمين من أساتذة جامعيين سواء كانوا متخصصين في علوم التربية وعلم النفس، والإعلام والاتصال، وعلم الاجتماع، وممن يعملون في الجامعات الجزائرية ، حيث قاموا بإبداء آرائهم وملاحظاتهم حول مناسبة فقرات الاستبيان، ومدى تناسب الفقرات مع أهداف الدراسة، وكذلك وضوح صياغاتها اللغوية، وفي ضوء ذلك تم استبعاد بعض الفقرات وتعديل بعضها الآخر ليصبح عدد فقرات الاستبيان الصورة النهائية يحتوي على (31) فقرة.

– الصدق التمييزي (المقارنة الطرفية) :

من أدنى درجات المقياس للعينة التي (27%)من أعلى درجات المقياس و(27%) قامت الباحثة بأخذ

تتكون من(38) فرداً، وهذا بعد ترتيب هذه الدرجات تصاعديا فتصبح مجموعتان تتكون كل منها من(10) أفراد لأن

(30 * 0.27 = 10) ، ومنه نأخذ (10) أفراد من المجموعة العليا ، و(10) أفراد من المجموعة الدنيا ، ثم نستخدم أسلوبا إحصائيا ملائما يتمثل في اختبار "ت" لدلالة الفروق بينهما ، وهذا باستخدام نظام الحزمة الإحصائية للعلوم الاجتماعية (SPSS.20.00) ، وكانت النتائج كما هي مبينة في الجدول التالي:

جدول رقم (01) : يوضح قيمة **"ت"** لدلالة الفرق بين المجموعة الدنيا والمجموعة العليا على استبيان أثر مواقع التواصل الاجتماعي في تنمية الإحساس بالهوية النفسية

	المجموعات	ن	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	" ت "	مستوى الدلالة
استبيان أثر مواقع التواصل الاجتماعي في تنمية الإحساس بالهوية النفسية	المجموعة الدنيا	10	78.29	11.25	10.81	0.01 دال
	المجموعة العليا	10	90.68	6.35		

يتبين من الجدول رقم (01):أن قيمة "ت" دالة إحصائيا عند مستوى الدلالة (0.01) مما يعني أن الاستبيان يتوفر على القدرة التمييزية بين المجموعتين الدنيا والعليا، ومنه فالاستبيان يعتبر صادقا فيما يقيسه.

ب – ثبات الاستبيان:

لمعرفة ذلك قامت الباحثة بحساب ثبات استبيان أثر مواقع التواصل الاجتماعي في تنمية الإحساس بالهوية النفسية باستخدام معامل ثبات ألفا لكرونباخ باستخدام (Spss,20.00)، فتم التوصل إلى معامل ثبات قدره (0.774)، ومنه فالاستبيان يتمتع بمستوى عالي من الثبات.

الأساليب الإحصائية :

- المتوسط الحسابي والانحراف المعياري.
- اختبار "ت" لدلالة الفروق بين المتوسطات الحسابية، في حساب كل من الصدق التمييزي للاستبيان.
- معامل الثبات ألفا كرونباخ لحساب ثبات الاستبيان.

*** عرض النتائج ومناقشتها:**

1 – عرض النتائج :

1 – 2 – عرض النتائج الخاصة بالفرضية الأولى:

نص الفرضية الأولى:* لمواقع التواصل الاجتماعي أثر في تنمية الإحساس بالهوية النفسية لدى الشباب الجزائري*

وللتحقق من صحة هذه الفرضية، تم حساب كل من المتوسطات الحسابية والإنحرافات المعيارية لاستجابات أفراد عينة الدراسة على استبيان أثر مواقع التواصل الاجتماعي في تنمية الإحساس بالهوية النفسية، وبعد المعالجة الإحصائية بنظام

(Spss,20.00) تحصلنا على النتائج الموضحة في الجدول التالي:

جدول رقم (02): يوضح أثر مواقع التواصل الاجتماعي في تنمية الإحساس بالهوية النفسية.

رقم الفقرة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري
1 – تساعدني مواقع التواصل الاجتماعي باختيار نوع العمل المناسب لشخصيتي مستقبلا.	3.80	1.76
2 – تجذبني مواقع التواصل الاجتماعي التي تتناول القضايا الدينية.	3.24	1.46
3 – تساعدني مواقع التواصل اجتماعي على فهم العديد من الأمور المتعلقة بذاتي.	3.28	1.82
4 – تتطابق أفكاري حول أدوار النساء والرجال مع بعض الأفكار المتواجدة في مواقع التواصل الاجتماعي.	2.55	0.90
5 – تسمح لي مواقع التواصل الاجتماعي بالبحث عن المزيد من الأصدقاء.	2.69	0.99
6 – تعمق مواقع التواصل الاجتماعي مفهوم الهوية النفسية.	3.55	1.58
7 – تحقق مواقع التواصل الاجتماعي أكبر قدر من الراحة النفسية.	3.26	1.56
8 – تلعب مواقع التواصل الاجتماعي دوراً كبير في تغيير توجهاتي تجاه أفراد المجتمع الذي أنتمي إليه.	3.91	1.89
9 – تساهم مواقع التواصل الاجتماعي في إيجاد نمط حياة يجذبني.	2.52	0.89
10- تمنح مواقع التواصل الاجتماعي الفرصة في المشاركة في الأنشطة الترفيهية.	3.14	1.11
11 – تساهم مواقع التواصل الاجتماعي في معرفة قدراتي.	3.29	1.47
12 – تنمي مواقع التواصل الاجتماعي احترام الذات.	3.02	0.99
13 – تزيد مواقع التواصل الاجتماعي لدى الأفراد الخبرة في العديد من مجالات الحياة.	3.79	1.77
14- تنمي مواقع التواصل الاجتماعي الإحساس لدى الأفراد بأنهم جزء من المجتمع الجزائري.	2.13	0.50
15 – تنمي مواقع التواصل الاجتماعي لدى الأفراد حرية التفكير و إبداء الرأي.	3.25	1.48
16 – تساهم مواقع التواصل الاجتماعي في إدراك الأفراد لواجباته وحقوقه.	2.16	0.56
17 – تساهم مواقع التواصل الاجتماعي في تنمية الشعور لدى الفرد بالثقة بالنفس.	2.58	0.79
18 - تعزز مواقع التواصل الاجتماعي مفهوم معتقدات الفرد حول نفسه.	2.69	0.80
19 – تساهم مواقع التواصل الاجتماعي في الاستمتاع بالحياة.	3.19	1.40
20 – تنمي مواقع التواصل الاجتماعي الإحساس بالرضا النفسي.	3.29	1.47
21 – تساهم مواقع التواصل الاجتماعي في التخفيف من الصعوبة في التعامل مع الأخرين.	3.69	1.66
22 – تقوي مواقع التواصل الاجتماعي مفهوم الأدوار الاجتماعية لدى الأفراد.	2.11	0.26
23 – تساهم مواقع التواصل الاجتماعي في زيادة الإحساس بالمسؤولية عند الأفراد.	2.98	0.77
24 - تلعب مواقع التواصل الاجتماعي دوراً مهماً في توضيح المعتقدات الدينية.	3.50	1.56

25 – تدعم مواقع التواصل الاجتماعي تحقيق الفرد لتوقعاته .	3.72	1.88
26 – تلعب مواقع التواصل الاجتماعي دوراً مهماً في إدراك الحقيقة.	3.77	1.90
27 -تلعب مواقع التواصل الاجتماعي دورا مهما في محافظة الفرد على انتماءاته.	3.29	1.32
28- تنمي مواقع التواصل الاجتماعي القدرة على إدراك الأخلاق الاجتماعية.	3.35	1.42
29 – تساهم مواقع التواصل الاجتماعي في تحقيق التوازن النفسي.	3.96	1.97
30 - تعزز مواقع التواصل الاجتماعي لدى الأفراد احترام رأي الأغلبية، وتقبله.	2.65	0.85
31 - تدعم مواقع التواصل الاجتماعي لدى الأفراد حرية اتخاذ القرارات.	2.15	0.19
الدرجة الكلية	4.09	1.25

يتضح من الجدول رقم (02) أن متوسط استجابات أفراد عينة الدراسة على استبيان أثر مواقع التواصل الاجتماعي في تنمية الإحساس بالهوية النفسية لدى الشباب الجزائري ككل كان (4.09) أي بدرجة متوسطة مما يدل على أن مواقع التواصل الاجتماعي لها أثر فعال في تنمية الإحساس بالهوية النفسية لدى الشباب الجزائري، بينما تراوحت متوسطات استجاباتهم على فقرات الأداة مابين (2.11- 3.96) حيث جاءت بدرجات متفاوتة بين متدنية ومرتفعة.

وقد حصلت الفقرة رقم (29) على أعلى متوسط حسابي (3.96) والتي نصت على (**تساهم مواقع التواصل الاجتماعي في تحقيق التوازن النفسي**)، وفي الترتيب الثاني جاءت الفقرة رقم(07) بمتوسط حسابي (3.91) والتي نصت على (**تلعب مواقع التواصل الاجتماعي دوراً كبير في تغيير توجهاتي تجاه أفراد المجتمع الذي أنتمي إليه**)، تليها الفقرة رقم (01) بمتوسط حسابي (3.80) والتي نصت على(**تساعدني مواقع التواصل الاجتماعي باختيار نوع العمل المناسب لشخصيتي مستقبلا**)، أما الترتيب الرابع فكان للفقرة رقم (09) بمتوسط حسابي (3.79) التي نصت على (**تزيد مواقع التواصل الاجتماعي لدى الأفراد الخبرة في العديد من مجالات الحياة**)، تليها الفقرة رقم (21) بمتوسط حسابي (3.69) ونصت على (**تساهم مواقع التواصل الاجتماعي في التخفيف من الصعوبة في التعامل مع الأخرين**).

أما الفقرات التي احتلت المراتب الأخيرة فهي كل من الفقرة رقم (22) بمتوسط حسابي (2.11) والتي نصت على (**تقوي مواقع التواصل الاجتماعي مفهوم الأدوار الاجتماعية لدى الأفراد**)، والفقرة رقم (14) بمتوسط حسابي (2.13) التي نصت على (**تنمي مواقع التواصل الاجتماعي الإحساس لدى الأفراد بأنهم جزء من المجتمع الجزائري**)،ثم الفقرة رقم (31) بمتوسط حسابي (2.15) والتي كان نصها (**تدعم مواقع التواصل الاجتماعي لدى الأفراد حرية اتخاذ القرارات**).

2-1 – عرض النتائج المتعلقة بالفرضية الثانية :

نص الفرضية الثانية:* توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسطات الشباب الجزائري في تحديد أثر مواقع التواصل الاجتماعي في تنمية الإحساس بالهوية النفسية تعزى لمتغير الجنس*.

وللتحقق من صحة هذه الفرضية تم استخدام اختبار"ت" لدلالة الفروق بين متوسطات أفراد عينة الدراسة من الجنسين على الاستبيان، وبعد المعالجة الإحصائية بنظام (SPSS,20.00) تحصلنا على النتائج الموضحة في الجدول التالي:

جدول رقم (03): يوضح نتائج اختبار"ت" لدلالة الفروق بين متوسطات أفراد عينة الدراسة من الجنسين حول أثر مواقع التواصل الاجتماعي في تنمية الإحساس بالهوية النفسية.

نوع العينة	ن	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	درجة الحرية	" ت "	مستوى الدلالة
الذكور	78	11.781	2.21	233	3.811	**دالة عند (0.01)**
الإناث	157	14.879	4.21			

يتبين من الجدول رقم (03) وجود فروق بين الذكور والإناث من الشباب الجزائري حول دور المواقع الإلكترونية في تنمية الإحساس بالهوية النفسية لدى الشباب الجزائري، حيث أن قيمة "ت" المحسوبة تساوي (3.811) وهي قيمة دالة إحصائيا عند مستوى الدلالة (0.01)، مما يشير بوضوح إلى وجود فروق ذات دلالة إحصائية حول أثر مواقع التواصل الاجتماعي في تنمية الإحساس بالهوية النفسية لدى الشباب الجزائري، وكانت الفروق لصالح الإناث وهذا لأن قيمة المتوسط الحسابي لعينة الإناث بلغ (14.879) وهو أكبر من المتوسط الحسابي لعينة الذكور والذي بلغ (11.781).

2 – تفسير ومناقشة النتائج:

2 – 1 – تفسير ومناقشة النتائج المتعلقة بالفرضية الأولى:

إن البيانات المتحصل عليها من خلال عرض النتائج الخاصة بالفرضية الأولى والتي تنص على أن لمواقع التواصل الاجتماعي أثر في تنمية الإحساس بالهوية النفسية لدى الشباب الجزائري ،وباستخدام كل من المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية،والموضحة في الجدول رقم (02) يتضح أن هناك أثر بالغ الأهمية لمواقع التواصل الاجتماعي في تنمية الإحساس بالهوية النفسية لدى الشباب الجزائري ،أي أن مواقع التواصل الاجتماعي تلعب دور كبير في الإحساس بالهوية النفسية شأنها شان بقية وسائل الإعلام وتساهم في بناء هذا الجيل الذي هو من سيواصل المشوار في حماية وتشيد هذا الوطن،رغم ما يلاقيه الشباب الجزائري من عوائق وصعوبات في الاطلاع على هذه المواقع، أبرزها ضعف شبكة الانترنت، ومن جهة أخرى للحجب بعض ما تعرضه هذه المواقع.

كما أنه قد يعود السبب في أن القائمين على مواقع التواصل الاجتماعي يقومون بدور فعال في تنمية الإحساس بالهوية النفسية لدى الشباب الجزائري، وإيمانهم برسالتهم ودورهم الفعال في هذا المجال، ولعل هذا الإيمان ناتج عن الوعي الذي يتحلى به القائمين على هذه المواقع، ويأتي هذا الأخير من مصادر مختلفة منها الفضائيات وما تبثه من برامج والتي زاد انتشارها في الآونة الأخيرة، أيضا من الصحافة وما ينشر فيها من مواضيع ذات طابع نفسي، واجتماعي، وديني،وثقافي...إلخ، لأجل ذلك كله كان رأي أغلبية عينة الدراسة من طلبة الجامعة من الجنسين على أن لمواقع التواصل الاجتماعي أثر فعال في تنمية الإحساس بالهوية النفسية لديهم.

كما ترجع الباحثة النتيجة التي توصلت إليها في دراستها إلى أن الواقع النفسي والاجتماعي الذي يشهده العالم اليوم يفرض على مواقع التواصل الاجتماعي أن تلعب دوراً مهماً في تنمية الإحساس بالهوية النفسية لدى الشباب ومن بينهم الشباب الجزائري،لأجل تزويدهم بآليات وأساليب لمواجهة التحديات التي تعترض مسار نموهم النفسي، وكذلك يفرض على مواقع التواصل الاجتماعي على اختلاف أنواعها (فيس بوك،تويتر،...إلخ)، متابعة المعلومات الحديثة، وعرض الخبرات المختلفة التي تساهم بشكل كبير في نمو الإحساس بالهوية النفسية.

كما يرجع الأثر الفعال لمواقع التواصل الاجتماعي في تنمية الإحساس بالهوية النفسية لدى أفراد عينة الدراسة إلى أن حرية وسرعة إطلاعهم للانترنت متوفرة أكثر من وسائل الإعلام الأخرى، خاصة في ظل التطور السريع، حيث أن الرقابة تكاد تكون غير موجودة على الشبكة الإلكترونية، مما يعجل في تسارع اكتساب مفاهيم الهوية لدى الشباب بصفة عامة والشباب الجزائري بصفة خاصة، فمواقع التواصل الاجتماعي من خلال تميزها بسرعة نقل المعلومة ذات الطابع المعلوماتي، ونشرها من أجل رفع مستوى الوعي النفسي منحت الشباب مجالاً واسعاً جداً لممارسة حق الإدراك، وهو ما أكدته النتيجة المتحصل عليها فقد لعبت مواقع التواصل الاجتماعي دوراً كبيراً في عملية تنمية الإحساس بالهوية النفسية، حيث أتاحت للشباب فرصة الإطلاع على مختلف الآراء والأفكار التنموية، عبر ما نلاحظه في الكثير من المواقع ، مما عزز مفاهيم الهوية النفسية وقبول الآخر لدى الشباب الجزائري الذي بات أكثر تقبلا للأخر حيث تقوم مواقع التواصل الاجتماعي بوظيفتها في التربية النفسية من خلال غرس قيم الانتماء إلى المجتمع، وغرس الرغبة لديهم في التعبير، وتشجيعهم على نقل أفكارهم، فعندما يدرك الشباب ويعرفون ما يدور حولهم من أحداث، ويستطيعون الحصول على المعلومات المختلفة والتي تمس جميع جوانب الحياة بسهولة وييسر عبر مواقع التواصل الاجتماعي، ، مما يعزز من اكتساب الإحساس بالهوية النفسية.

فما ينشر على مواقع التواصل الاجتماعي يلعب دورًا هامًا في عملية التنشئة النفسية والاجتماعية، إذ تزود الفرد بالمعلومات الاجتماعية وتشارك في تكوين وترسيخ قيمه الاجتماعية ومن ثمة تحقيق إحساسه بهويته النفسية.

2 – 2 – تفسير ومناقشة النتائج المتعلقة بالفرضية الثانية:

إن البيانات المتحصل عليها من عرض النتائج الخاصة بالفرضية الثانية باستخدام اختبار"ت" لدلالة الفروق بين متوسطات درجات أفراد عينة الدراسة من الجنسين في تحديد أثر مواقع التواصل الاجتماعي في تنمية الإحساس بالهوية النفسية لدى الشباب الجزائري والموضحة في الجدول رقم(03)، يظهر وجود فروق ذات دلالة

إحصائية بين الذكور والإناث من طلبة جامعة أم البواقي في تحديد أثر مواقع التواصل الاجتماعي في تنمية الإحساس بالهوية النفسية حيث كانت قيمة "ت" الخاصة بالمقارنة تبلغ(3.811)، وهي قيمة دالة إحصائيا عند مستوى الدلالة (0.01)، وهذه الفروق لصالح الإناث مقابل الذكور.

وتعزو الباحثة هذه النتيجة المتوصل إليها من خلال الدراسة الحالية إلى مسألتين الأولى قد يكون زيادة عدد الطالبات (157) أكثر من الطلاب (48) في أفراد عينة الدراسة، أو تكون المسألة الثانية عادة ما أن الإناث يلجأن في المجتمع الجزائري إلى مواقع التواصل الاجتماعي أكثر من أي مصدر آخر، لانتقاء واكتساب المعلومات التي تساهم بشكل كبير في تشكيل هويتهم من بقية الوسائل الإعلامية مقارنة بنظرائهم من الذكور،وهذا بحكم الاختلاط والمشاركة في الفعاليات والمناسبات المختلفة، وهذا راجع إلى طبيعة المجتمع الجزائري الذي تغلب عليه السمة الذكورية والذي لا يزال برغم التطور والتقدم لا يسمح للمرأة بمناقشة القضايا النفسية ومسالة الهوية، ويمنح للذكور الحرية أكثر من البنات، مما يجعلها تبحث عن وسائل أخرى تحقق لهم ذلك فيجدون ضالتهم من خلال مواقع التواصل الاجتماعي، فالإناث يسعين نحو إثبات أنفسهن، لتثبت لنفسها أولا والرجل ثانيا قدرتها على الخوض في الحياة والنجاح، كل هذا دفع إلى متابعة مواقع التواصل الاجتماعي من أجل اكتساب القيم والثقافة ومن زاوية أخرى قد ترجع هذه النتيجة لكون عينة الدراسة من الطالبات وهن أكثر تأثراً بمختلف ما يتم نشره على صفحات مواقع التواصل الاجتماعي، مقارنة بالطلاب الذكور وذلك لطول فترة مكوثهن في المنزل، فيلجأن إلى هذه المواقع باعتبارها الوسيلة السريعة للحصول على المعلومات واكتساب مجموعة من القيم وتحقيق للذات، خاصة في ظل أن الانترنت لا يكاد يخلو منه منزل في الجزائر في ظل التطور والتقدم التكنولوجي.

وتعد هذه النتيجة مطابقة لنتائج البحوث والدراسات منها دراسة (أبو وردة،2008) المعنونة بـ: **أثر المواقع الإلكترونية الإخبارية الفلسطينية على التوجه والانتماء السياسي– طلبة جامعة النجاح نموذجا** (2000-2007)- والتي توصلت إلى أن النسبة الأكثر من متابعي المواقع الإلكترونية من الإناث بنسبة تصل إلى(86.6%) مقابل نسبة (75.4%) من الذكور (سلطان،أ ،2011:06)،أيضا مع دراسة (الأغا،ونصار،2008) المعنونة بـ: **دور الوسائط الإعلامية الفلسطينية في تدعيم القيم لدى المراهقين بمحافظات غزة**، والتي بينت وجود فروق ذات دلالة إحصائية تعزى لمتغير الجنس لصالح الإناث بين متوسطات تقديرات المراهقين من طلبة الثانوية العامة بمحافظات غزة لمدى فاعلية الوسائط الإعلامية الفلسطينية في تدعيم القيم الأخلاقية والاقتصادية والسياسية لديهم(الأغا، ص، ونصار، ع2008: 639)

التوصيات:

بناء على ما توصلت إليه الدراسة الحالية من نتائج، فإنه يمكن صياغة بعض التوصيات الآتية:

1 – ضرورة إخضاع البرامج المتنوعة المعروضة في مواقع التواصل الاجتماعي إلى تقييم الشباب أنفسهم، و ذلك عن طريق الاستماع إلى آرائهم، بواسطة الاستفتاءات الشفهية،والاستبيانات المكتوبة؛ للتعرف إلى رغبا تهم،

وميولهم، بالتالي تحديد المادة المادة الإعلامية التي يجب أن تقدم إليهم، والأساليب الواجب إتباعها في التقديم.

2 – ضرورة أن تبدي مواقع التواصل الاجتماعي اهتماماً بالشباب وقضاياهم خاصة فيما يتعلق في تعزيز الهوية بصفة عامة والهوية النفسية بصفة خاصة.

3 – ضرورة توعية الأفراد من قبل الجهات المسئولة على ايجابيات وسلبيات مواقع التواصل الاجتماعي والتي من شأنها التأثير في الوضع النفسي في الاتجاه السلبي.

4 – أهمية نشر مواقع التواصل الاجتماعي لثقافة تزيد من درجة الوعي بالذات لدى الشباب.

خاتمة:

يتضح لنا من العرض السابق أن لمواقع التواصل الاجتماعي أهمية بالغة في تنمية الإحساس بالهوية النفسية لدى الشباب الجزائري، والنتائج المستخلصة من الدراسة الحالية تؤكد ذلك، حيث توصلت الدراسة إلى وجود أثر بالغ الأهمية لمواقع التواصل الاجتماعي في تنمية الإحساس بالهوية النفسية لدى الشباب الجزائري، فتأثير هذا النوع من وسائل الإعلام في المجتمع يشكل الأساس الحقيقي لقوة الأمة ومجتمعها، وهذا لأنهم يتعاملون مع رجال الغد، مما ينعكس على خلق المواطن الصالح في المجتمع، الذي يعمل ضمن منظور الأمة،لا ضمن منظور المصلحة الشخصية الضيقة، و بذلك فان الإحساس بالهوية النفسية شرط ضروري.

فالهوية النفسية هي مقدار ما يحققه الفرد من الوعي بالذات، والتفرد بالاستقلالية وأنه ذات كيان متميز عن الآخر، ومن ثمة تحقيق الإحساس بالتكامل الداخلي، والاستمرارية عبر الزمن والتمسك بالمثاليات والقيم السائدة،هذا الإحساس يتم تكوينه من خلال مؤسسات التنشئة الاجتماعية نذكر منها وسائل الإعلام بصفة عامة ومواقع التواصل الاجتماعي بصفة خاصة.

وفي الأخير نريد أن نشير إلى أن هذه الدراسة مجرد محاولة للتعرف على أثر مواقع التواصل الاجتماعي في تنمية الإحساس بالهوية النفسية لدى الشباب الجزائري من خلال إجراء دراسة ميدانية على عينة من طلبة جامعة أم البواقي، وبالتالي فنتائجها غير نهائية تبقى بحاجة إلى مزيد من البحث والدراسة بغية الوصول إلى ضبط أكثر لهذه المتغيرات بتحسين شروط البحث كتطبيق الأدوات على عينة أكبر حجما لتكون الاستفادة من نتائجها أكثر.

قائمة المراجع:

1- البسيوني، محمد علي.(2009). دولة الـ Face Book. القاهرة:دار الشروق.

2 – المطيرين،عبيد سعود.(2013).العولمة وأثرها على الثقافة السياسية لدى طلبة جامعة الكويت. رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب والعلوم، جامعة الشرق الأوسط،الكويت.

3 - الراوي، بشرى جميل.(2003).دور مواقع التواصل الاجتماعي في التغيير/ مدخل نظري. مجلة الباحث الإعلامي،(18)، جامعة بغداد،ص ص 95-112.

4 – بوعيشة،أمال.(2014).جودة الحياة وعلاقتها بالهوية النفسية لدى ضحايا الإرهاب بالجزائر (دراسة ميدانية ببلدية براقي 5– دائرة الحراش– الجزائر العاصمة).رسالة دكتوراه غير منشورة،كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة بسكرة،الجزائر.

5 – الأغا،إحسان.(2000).البحث التربوي عناصره، مناهجه،أدواته.(ط.02).غزة: مطبعة الأمل التجارية.

6 – الجرجاوي،زياد بن علي بن محمود.(2010).القواعد المنهجية التربوية لبناء الاستبيان. سلسلة أدوات البحث.الكتاب الأول. (ط.02).غزة: مطبعة أبناء الجراح.

7 – سلطان،أسماء محمود السيد.(2011).الإعلام الحزبي الفلسطيني وأثره على المشروع الوطني دراسة وصفية تحليلية بالتطبيق على النخبة الفلسطينية. رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الأزهر،غزة.

8 – الأغا، صهيب كمال ،و نصار،عبد السلام.(2008،يناير).دور الوسائط الإعلامية الفلسطينية في تدعيم القيم لدى المراهقين بمحافظات غزة، مجلة الجامعة الإسلامية (سلسلة الدراسات الإنسانية)، 16(01)، ص ص 633 – 682.

9 - حسن،أشرف جلال.(15-2009/02/17).أثر شبكات العلاقات الإجتماعية التفاعلية بالإنترنت ورسائل الفضائيات على العلاقات الإجتماعية والاتصالية للأسرة المصرية والقطرية. المؤتمر العلمي الأول "الأسرة والإعلام وتحديات العصر"،الجزء الثاني،كلية الإعلام، جامعة القاهرة.

10 - عبد القوي،محمود حمدي.(يوليو 2009).دور الإعلام البديل في تفعيل المشاركة السياسية لدى الشباب. المؤتمر العلمي الدولي الخامس عشر،الإعلام والإصلاح:الواقع والتحديات، الجزء الثالث،كلية الإعلام،جامعة القاهرة.

11- Sean P.Hagerty. (2008).An examination of uses and gratiations of youtube, Unpublished Master thesis, Depatment of Communication, Villanova universety. États-Unis

قائمة الملاحق :

الملحق رقم (01) : الصورة النهائية لاستبيان أثر مواقع التواصل الاجتماعي في تنمية الإحساس بالهوية النفسية.

م	العبارات	أوافق	أوافق إلى حد ما	لا أوافق
1	– تساعدني مواقع التواصل الاجتماعي باختيار نوع العمل المناسب لشخصيتي مستقبلا.			
2	– تجذبني مواقع التواصل الاجتماعي التي تتناول القضايا الدينية.			
3	– تساعدني مواقع التواصل اجتماعي على فهم العديد من الأمور المتعلقة بذاتي.			
4	– تتطابق أفكاري حول أدوار النساء والرجال مع بعض الأفكار المتواجدة في مواقع التواصل الاجتماعي.			
5	– تسمح لي مواقع التواصل الاجتماعي بالبحث عن المزيد من الأصدقاء.			
6	– تعمق مواقع التواصل الاجتماعي مفهوم الهوية النفسية.			
7	– تحقق مواقع التواصل الاجتماعي أكبر قدر من الراحة النفسية.			
8	– تلعب مواقع التواصل الاجتماعي دوراً كبير في تغيير توجهاتي تجاه أفراد المجتمع الذي أنتمي إليه.			
9	– تساهم مواقع التواصل الاجتماعي في إيجاد نمط حياة يجذبني.			
10	– تمنح مواقع التواصل الاجتماعي الفرصة في المشاركة في الأنشطة الترفيهية.			
11	– تساهم مواقع التواصل الاجتماعي في معرفة قدراتي.			
12	– تنمي مواقع التواصل الاجتماعي احترام الذات.			
13	– تزيد مواقع التواصل الاجتماعي لدى الأفراد الخبرة في العديد من مجالات الحياة.			
14	– تنمي مواقع التواصل الاجتماعي الإحساس لدى الأفراد بأنهم جزء من المجتمع الجزائري.			
15	– تنمي مواقع التواصل الاجتماعي لدى الأفراد حرية التفكير و إبداء الرأي.			
16	– تساهم مواقع التواصل الاجتماعي في إدراك الأفراد لواجباته وحقوقه.			
17	– تساهم مواقع التواصل الاجتماعي في تنمية الشعور لدى الفرد بالثقة بالنفس.			
18	– تعزز مواقع التواصل الاجتماعي مفهوم معتقدات الفرد حول نفسه.			

19	– تساهم مواقع التواصل الاجتماعي في الاستمتاع بالحياة.			
20	– تنمي مواقع التواصل الاجتماعي الإحساس بالرضا النفسي.			
21	– تساهم مواقع التواصل الاجتماعي في التخفيف من الصعوبة في التعامل مع الأخرين.			
22	– تقوي مواقع التواصل الاجتماعي مفهوم الأدوار الاجتماعية لدى الأفراد.			
23	– تساهم مواقع التواصل الاجتماعي في زيادة الإحساس بالمسؤولية عند الأفراد.			
24	– تلعب مواقع التواصل الاجتماعي دوراً مهماً في توضيح المعتقدات الدينية.			
25	– تدعم مواقع التواصل الاجتماعي تحقيق الفرد لتوقعاته .			
26	– تلعب مواقع التواصل الاجتماعي دوراً مهماً في إدراك الحقيقة.			
27	– تلعب مواقع التواصل الاجتماعي دورا مهما في محافظة الفرد على انتماءاته.			
28	– تنمي مواقع التواصل الاجتماعي القدرة على إدراك الأخلاق الاجتماعية.			
29	– تساهم مواقع التواصل الاجتماعي في تحقيق التوازن النفسي.			
30	– تعزز مواقع التواصل الاجتماعي لدى الأفراد احترام رأي الأغلبية، وتقبله.			
31	– تدعم مواقع التواصل الاجتماعي لدى الأفراد حرية اتخاذ القرارات.			

تاريخ الاستلام: 2016/05/21- تاريخ التحكيم:2016/10/08 -تاريخ النشر2016/12/30

المشكلات التي تواجه أعضاء هيئة التدريس في كلية عجلون الجامعية

د. فيصل إبراهيم المطالقه

د.عمار عبدالله الفريحات

(جامعة البلقاء التطبيقية- الاردن)

❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁

الملخص

هدفت الدراسة إلى التعرف إلى المشكلات لدى أعضاء هيئة التدريس في كلية عجلون الجامعية. ولتحقيق الهدف تم تطوير استبانة اشتملت على جزئين: الجزء الاول تناول المتغيرات الديمغرافية وهى : الجنس ، والعمر ، والخبرة في التدريس والتخصص ، أما الجزء الثاني فقد اشتمل على 69 فقرة موزعة على ستة مجالات هي : مجال ألمشكلات المالية، والاكاديمية، والبحث العلمي، والادارية ، والمتعلقة بالطلبة ، والمتعلقة بالعلاقات والمجتمع المحلي . وتكونت عينة الدراسة من 41 عضو هيئة التدريس مجتمع الدراسة الكلي والبالغ عددهم (109) وبنسبة (37.7%) من المجتمع الكلي.وأظهرت النتائج وجود هذه المشكلات لدى أعضاء هيئة التدريس . واقترحت الدراسة بعض التوصيات وهى: ضرورة تأمين المكاتب والدعم الملائم وزيادة الرواتب لإعضاء الهيئة التدريسة والإسراع في بناء وتجهيز المباني الملائمة لكلية عجلون الجامعية وتقديم الدعم الكافي للبحوث، ودعم المشاركة بالمؤتمرات الخارجية وأهمية الاخذ بالمشكلات التي ابرزتها الدراسة .

الكلمات الدالة : كلية عجلون الجامعية ، أعضاء هيئة التدريس ، المشكلات .

Abstract

This study aimed at investigating the problems of the Ajloun university college faculty members. For this purpose a questionnaire was designed consisted of tow parts : the first part included the following demographic variables : gender , age teaching experience and specialization the second part included(69)items distributed on six dimensions , the financial , academic , scientific research , administrative , students and the problems related to relationships and local community. The study sample consisted of 41 faculty members (37.7%) of the total population .

The result revealed the existence of these problems among faculty members.The researchers suggested some of the following recommendations : The need to ensure adequate offices,supports and to increase salaries for faculty members ,the necessity of accelerating the constructions and equipping of appropriate premises of the college, provide adequate support for research, and support the participation of faculty members in foreign conferences and the importance of taking into consideration the problems highlighted by this study .

Keywords: Ajloun university college, faculty members,problem .

مقدمة:

يحتل التعليم العالي والجامعات مكانة مرموقة ليس في المجتمع الأردني فقط ، بل في جميع المجتمعات المتقدمة والنامية على حدٍ سواء وتلعب الجامعات دوراً كبيراً ومنفرداً في المجتمع الأردني من خلال محاور متعددة منها الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والمعرفية وغيرها من أوجه التطور والنمو، وذلك من خلال إعداد القيادات المؤهلة والمدربة والمشاركة في إعداد وتصميم الخطط واستراتيجيات التنمية الشاملة. وتكمن أهمية الجامعات كونها من أهم مؤسسات المجتمع المناط بها إعداد الأفراد وتشكيلهم معرفياً وتقنياً للقيام بالوظائف المختلفة التي يتطلبها المجتمع كأداة للنهوض بالأفراد والجماعات وأساساً في حفظ كيان الأمة وبنائها الحضاري وأصبح حقلاً لاستثمار الطاقات البشرية وإعدادها لما يقتضيه النهوض البنائي والعمراني، حيث إن ثروات الأمم تقدر بما يتوفر لها من طاقات وقوى بشرية مؤهلة ومدربة على العمل والإنتاج. وتسهم الجامعة في تطور الأفراد والقوى البشرية وتنميتها

من خلال تأثيرها الفكري والعملي على اتجاهات العمل والإنتاج مما ينعكس على مخرجات العملية البنائية والتطورية لأي مجتمع من المجتمعات (المطالقة، 2010). إن نجاح أي جامعة في تقديم ما لديها من تخصصات، يعتمد بالدرجة الأولى على ما يتوفر لديها من عناصر جيدة من أعضاء هيئة تدريسية، التي يفترض فيها أن تبذل قصارى جهدها في إعداد القادة والمفكرين والباحثين والمختصين في مختلف المجالات، والذين يعتمد عليهم فيما بعد في نشر العلم الحديث وتطبيقه على ارض الواقع بكفاءة وإتقان وبالنتيجة، فإنه يمكن القول أن الجامعة أصبحت فعلاً تلعب دوراً مؤثراً وملحاً في حياة الأمم والشعوب، بهدف تحقيق التنمية بكافة المجالات للنهوض بالمجتمع إلى أرقى المستويات العلمية، وهي بلا شك مجالات لا يمكن الاستغناء عنها إلا في حالة واحدة، وهي الحالة التي تتمثل بانتشار الجهل والفوضى والسلبية في حياة الأمم والشعوب (الحلو، 2003). يقوم الأستاذ الجامعي في معظم الجامعات بوظائف مختلفة وفي أوقات مختلفة، فهو يتناوب العمل كمدرس، وباحث وأداري ومفسر للمعرفة، ويترتب على الوظيفة الأولى وهي التدريس واجبات فرعية كلقاء الطلبة في قاعات الدراسة، وتحضير المحاضرات، وإعداد الامتحانات وقراءة البحوث، وكتابة نتائج أعمال طلابه، كما يتوقع منه أن يحافظ على بقاء طلابه في مستوى معقول من حسن السلوك والآداب في حجرة الدراسة، كما أن عضو هيئة التدريس يشارك في تهذيب طلابه أما بطريقة مباشرة باستخدام الثواب والعقاب وأما بطريقة غير مباشرة، إذا طلب منه أن يكتب تقارير عن غيابهم للجهة المسؤولة، ومن الوظائف الأخرى للأستاذ الجامعي: البحث العلمي والاطلاع على ما يستجد من معرفة في مجال تخصصه وتزويد طلابه بها، كما أن هناك وظيفة هامة قد تغيب عن بال الكثيرين ألا وهي اكتشاف أصحاب المواهب وقادة المستقبل وهم في سن مبكرة، وقد يقوم الأستاذ الجامعي بمهام إدارية، كأن يصبح رئيساً للقسم الذي يعمل به أو عميد لكليته، وعلى الأستاذ الجامعي أيضا أن يبقي على علاقات طيبة مع طلابه ومع الأساتذة الآخرين في ميدان عمله، فالمسؤولية الأساسية لعضو هيئة التدريس تجاه الجامعة التي يعمل فيها تقع في الإسهام في تحقيق أهداف هذه الجامعة من خلال الوظائف الثلاثة التالية: التدريس، والبحث العلمي، وخدمة المجتمع، فنقل المعرفة هي وظيفته في التدريس وتنميتها هي وظيفته في البحث العلمي، وتطبيقها هي وظيفته في خدمة المجتمع (محافظة، 2002).

.**الدراسات السابقة**: وفي ضوء دراستنا للأدبيات والدراسات السابقة نستخلص وفرة الدراسات التي اهتمت بدراسة المشكلات المختلفة لأعضاء هيئة التدريس في الجامعات حيث ركزت على جوانب متعددة من المشكلات التي تواجه أعضاء هيئة التدريس في التعلم الجامعي. ففي دراسة التي أجراها (الخليلي،1991) على عينة من أعضاء هيئة التدريس في جامعة اليرموك بعنوان "مشكلات التدريس الجامعي من وجهة نظر أعضاء الهيئة التدريسية في جامعة اليرموك" . وأسفرت نتائج الدراسة على إنه من أبرز المشكلات التي تواجه أعضاء هيئة التدريس في الجامعة هي:- لغة التدريس، وضعف التأهيل التربوي لأعضاء هيئة التدريس، وانخفاض نسبة أعضاء هيئة التدريس للطلبة، وتقويم الطلبة وما يترتب عليه من ضغوط، وزيادة العبء التدريسي، وضيق الوقت للقيام بالبحث العلمي حسب الأصول المتبعة، والاعتماد على المحاضرين غير المتفرغين .

أما الدراسة التي أجرتها (مروة، 1994) على عينة مكونة من (430) عضواً تدريسياً في عدد من الجامعات الأردنية بعنوان "المشكلات الأكاديمية والإدارية التي تواجه أعضاء هيئة التدريس في عدد من الجامعات الأردنية"، أظهرت النتائج عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية حول مدى الشعور بكل مشكلة من المشكلات تعزى إلى المؤسسة التي يعمل فيها عضو هيئة التدريس بينما أظهرت فروق ذات دلالة إحصائية تعزى إلى الرتبة الأكاديمية، ولم توجد فروق ذات دلالة إحصائية تعزى إلى الخبرة التدريسية.

أما دراسة (المقدادي، 1995) "المشكلات الأكاديمية التي يواجهها أعضاء الهيئة التدريسية في جامعة اليرموك، بينت أن أعضاء هيئة التدريس يواجهون ثلاث مشكلات رئيسية وهي: المشكلات المتعلقة بالطلبة كاعتماد الطلبة بشكل أساسي على ما يلقيه عضو هيئة التدريس في المحاضرة، واهتمام الطلبة بالعلاقة أكثر من المادة التعليمية، وعدم رغبة الكثير من الطلبة في كتابة الأبحاث والتقارير المتعلقة بمادة المساق. أما المشكلات المتعلقة بعضو هيئة التدريس كانت كما يلي: قلة حضور أعضاء هيئة التدريس للمؤتمرات والندوات وضعف الانسجام بين الإداريين والأكاديميين في الجامعة. أما في ما يخص بالمشكلات التي يواجهها أعضاء هيئة التدريس والمتعلقة بالبحث العلمي فأشارت نتائج الدراسة إن عدم توفر مركز لتقديم الخدمات الإحصائية للأبحاث ونقص المراجع العلمية ومصادر المعرفة المطلوبة للبحث، وصعوبة النشر في بعض المجالات المحكمة وقصور نظام المكتبة عن مجاراة التحديث والنوع العلمي، وعدم توفر إمكانية النسخ والتصوير وخدمات الطباعة التي يحتاج إليها الباحث من أهم المشكلات التي تواجههم في هذا المجال.

وفي دراستهم (أبو ناهيه ، والنابلسي ، 1996) للمشكلات التي تواجه أعضاء هيئة التدريس في بعض الجامعات الفلسطينية أظهرت نتائج الدراسة إن المشكلات الإدارية كانت من أهم المشكلات التي واجهت عضو هيئة التدريس في الجامعات الفلسطينية التي شملتها الدراسة.

وقام (محافظة والمقدادي، 1998) بدراسة على أعضاء هيئة التدريس في جامعة اليرموك بعنوان، "المشكلات الأكاديمية التي يواجهها أعضاء هيئة التدريس في جامعة اليرموك، حيث أظهرت النتائج إن أكثر المشكلات انتشاراً هي اعتماد الطلبة على ما يلقيه عضو هيئة التدريس في المحاضرة. واهتمام الطلبة بالعلامة أكثر من المادة التعليمية، عدم رغبة الطلبة بكتابة الأبحاث والتقارير، رغبة الطلبة بالتلقين كطريقة تدريس، وضعف مستوى الطلبة الفكري والثقافي، وقلة حضور أعضاء هيئة التدريس الندوات والمؤتمرات العلمية في مجال تخصصهم، وضعف العلاقات الإنسانية والاجتماعية بين الأعضاء، وكثرة أعداد الطلبة المسجلين في المساق الواحد، وتعقيد إجراءات الترقية من رتبة علمية إلى أخرى، وعدم توفر مراكز لتقديم الخدمات الإحصائية للأبحاث .

أما دراسة (Di,2000) والتي هدفت إلى التعرف على ادراكات أعضاء هيئة التدريس الجدد في جامعة Canberra، أظهرت النتائج أن هناك عدم تطابق بين توقعات أعضاء هيئة التدريس الجدد ودافع العمل الذي يقومون به، وأبدى أعضاء هيئة التدريس ببعض المشكلات التي تواجههم والتي تحول دون أداء دورهم بالشكل

السليم ومنها، زيادة العبء التدريسي والذي لا يسمح لهم بإجراء البحوث العلمية، وعدم مشاركتهم في صنع القرار، والتراجع في الحرية الأكاديمية ،وعدم وضوح سياسة الجامعة.

وقام (كنعان ،2001)بدراسة الأهداف والمعوقات المتعلقة بالبحث العلمي لدى أعضاء الهيئة التدريسية في جامعة دمشق وسبل تطويرها على عينه مكونه من (254) عضو هيئة تدريس،أظهرت النتائج إن أهم معوقات البحث العلمي هي قلة التعاون بين الجامعة والجهات المعنية والمستفيدة من البحث العلمي،ونقص عدد الموفدين للدول المتقدمة في البحث العلمي ،ونقص التمويل لدعم البحوث،كما أظهرت الدراسة انه يوجد هناك فروق ذات دلالة إحصائية بين أهداف البحث العلمي ومعوقاته وسبل تطويرها لدى أعضاء الهيئة التدريسية تبعاً لمتغيرات الجنس والكلية والصفات العلمية والخبرات التدريسية والبلدان التي تخرجوا منها.

آما دراسة (McCracken,2002) حول العلاقة بين مستوى التوتر والرضى الوظيفي لدى أعضاء هيئة التدريس في كلية مجتمع شرق تنسي، حيث أظهرت نتائج الدراسة إلى أن هناك رضا عن جميع مجالات أداة الدراسة باستثناء مجال الرواتب ،وان مستوى التوتر لدى أعضاء هيئة التدريس كان متدنياً في مجال الحوافز والتكريم.

أما دراسة الحلو(2003) والتي هدفت إلى التعرف على مستوى الشعور بالمشكلات الأكاديمية لدى أعضاء هيئة التدريس في جامعة النجاح الوطنية، وأجريت الدراسة على عينة قوامها (144) عضوا من أعضاء هيئة التدريس ، أظهرت النتائج أن أكثر المشكلات حدة كانت في مجالي المشكلات المتعلقة بالطلبة مثل ضعف تحصيل الطلبة، وتدني المستوى الفكري والثقافي للطلبة، وعدم التزام الطلبة بالساعات المكتبية المخصصة لهم، واعتماد الطلبة على عضو هيئة التدريس، وعدم اهتمامهم بكتابة الأبحاث، واهتمام الطلبة بأمور بعيدة عن الدراسة . والمشكلات المتعلقة بالبحث العلمي ، كعدم توفير التسهيلات اللازمة لعضو هيئة التدريس لإعداد البحوث ، وقلة عدد مساعدي البحث والتدريس، وعدم توفر مركز لتوفير الخدمات الإحصائية للأبحاث ، وقصور المواد المخصصة لخدمة البحث العلمي ، وطول الفترة اللازمة لتقييم الأبحاث العلمية المقدمة للنشر.

ومن خلال استعراض الدراسات السابقة نلاحظ إنها تناولت المشكلات التي تواجه أعضاء هيئة التدريس من مختلف الجوانب والمجالات ،وقد استفادت هذه الدراسة من الدراسات السابقة في اثراها بالأدب التربوي ذات الصلة بالدراسة الحالية،كذلك الاستفادة منها في بناء الاستبانه الخاصة بهذه الدراسة.

مشكلة الدراسة: أن الاهتمام بأعضاء هيئة التدريس يعتبر ركيزة أساسية ومهمة من أجل أن تضطلع الجامعة بتنفيذ أهدافها من خلال التدريس والبحث العلمي وخدمة المجتمع، فإنه يقع على عاتق أعضاء هيئة التدريس مهمات جسام في تنفيذ وتحقيق هذه الأهداف وأنهم يتحملوا المسؤولية المباشرة في ذلك. ومن هنا لا بد لإدارة الجامعة أن تتحمل مسؤولياتها وان تولي اهتمامها نحو عضو هيئة التدريس لتطويره واعدادة الإعداد الأمثل، وتوفير سبل النجاح له من خلال تلبية احتياجاته ومتطلباته، والتغلب على المشكلات التي تواجهه والتي تحول دون قيامه بواجبه على النحو الأمثل والأفضل . لذلك تناولت هذه الدراسة المشكلات التي تواجه أعضاء هيئة التدريس في

كلية عجلون الجامعية وتتلخص مشكلة الدراسة بالسؤال الرئيسي التالي: ما هي المشكلات التي يواجهها أعضاء هيئة التدريس في كلية عجلون الجامعية ؟ ويتفرع منه الفرضيات عدة فرضيات.

فرضيات الدراسة: تسعى الدراسة الحالية للتحقق من صحة الفرضيات التالية :

الفرضية الأولى:يعاني أعضاء هيئة التدريس في كلية عجلون الجامعية من المشكلات المالية .

الفرضية الثانية:يعاني اعضاء هيئة التدريس في كلية عجلون الجامعية من المشكلات الاكاديمية .

الفرضية الثالثة :يعاني اعضاء هيئة التدريس في كلية عجلون الجامعية من المشكلات المتعلقة بالبحث العلمي .

الفرضية الرابعة:يعاني اعضاء هيئة التدريس في كلية عجلون الجامعية من المشكلات الادارية .

الفرضية الخامسة:يعاني اعضاء هيئة التدريس في كلية عجلون الجامعية من المشكلات المتعلقة بالطلبة .

الفرضية السادسة : يعاني اعضاء هيئة التدريس في كلية عجلون الجامعية من المشكلات المتعلقة بالعلاقات والمجتمع المحلي .

أهمية الدراسة:- تبرز اهمية هذه الدراسة إلى التعرف على المشكلات التي تواجه أعضاء هيئة التدريس في كلية عجلون الجامعية وتستمد الدراسة اهميتها من خلال ما يلي :

1- التعرف على اهم المشكلات التي تواجه أعضاء هيئة التدريس في كلية عجلون الجامعية.

2- تخدم هذه الدراسة ادارة الجامعة واعضاء هيئة التدريس وصناع القرار في الجامعة ، من أجل وضع السياسات والاستراتيجيات، وفهم اهمية دور اعضاء هيئة التدريس في في العملية التربوية ومخرجات التعليم الجامعي وحماية الشباب الجامعي وتاهيله .

3- تقدم هذة الدراسة اسهاما علميا يثري البحث العلمي بإحدى القضايا التربوية والاجتماعية والمهمة التي يواجهها اعضاء هيئة التدريس في جامعة البلقاء التطبيقية.

أهداف الدراسة: تسعى هذه الدراسة الى التعرف على المشكلات التي تواجه أعضاء هيئة التدريس في كلية عجلون الجامعية وتهدف إلى تحقيق الآتي:

1- التعرف إلى أهم المشكلات التي تواجه أعضاء هيئة التدريس في كلية عجلون الجامعية .

2- تحديد أكثر المشكلات أهمية كما يراها أعضاء هيئة التدريس في كلية عجلون الجامعية .

3-تقديم الحلول والتوصيات لإدارة الجامعة للحد من المشكلات التي تواجه أعضاء هيئة التدريس في كلية عجلون الجامعية .

حدود الدراسة: تتحدد الدراسة بالعينة التي طبقت عليها اداة الدراسة والتي اقتصرت على أعضاء هيئة التدريس في كلية عجلون الجامعية في الفصل الدراسي الاول2016/2015. كما تتحدد في مدى صدق وثبات الاداة والتي اعتمدت عليها الدراسة ومدى صدق الاجابة.

تعريف المصطلحات:-

كلية كلية عجلون الجامعية:- وهي كلية حكومية تابعة لجامعة البلقاء التطبيقية .

أعضاء هيئة التدريس: وهم الأشخاص الذين ينتمون للهيئة الأكاديمية وممن يحملون الرتب الأكاديمية ، والذين كانوا على رأس عملهم خلال إجراء الدراسة .

المشكلات: وهي الصعوبات والمعوّقات التي يدركها أعضاء هيئة التدريس وتحول دون تقدمهم وأدائهم لدورهم على أكمل وجه

منهجية الدراسة: استخدمت الدراسة الحالية المنهج الوصفي في صورة المسيحية التحليلية،حيث تم إعداد استبانه لجمع البيانات.

مجتمع الدراسة وعينتها : تكون مجتمع الدراسة من جميع أعضاء هيئة التدريس في كلية عجلون الجامعية البالغ عددهم(109) والذين كانوا على رأس عملهم في الفصل الدراسي الاول 2016/2015. وبلغت عينة الدراسة (41) عضو تم بالطريقة العشوائية البسيطة بنسبة مئوية (37,7%) من أفراد مجتمع الدراسة الأصلي.

أداة الدراسة: لتحديد المشكلات التي تواجه أعضاء هيئة التدريس في كلية عجلون الجامعية قام الباحثان بأعداد أداة الدراسة معتمدين على الإطار النظري والدراسات السابقة،واستطلاع رأي عينة من أعضاء هيئة التدريس عن طريق المقابلة الشخصية.

وتكونت الأداة من جزأين : الأول واشتمل على معلومات عامة تتعلق بأعضاء هيئة التدريس وهي: الجنس،والعمر، والخبرة في التدريس، والرتبة الأكاديمية، والتخصص. أما القسم الثاني:فقد اشتمل على مقياس الدراسة والذي تكون من(69) فقرة يحدد اعضاء هيئة التدريس من خلال إجابتهم عليها درجة وجود المشكلة وأهميتها وذلك باختيار احد الإجابات الخماسية المختارة على نمط ليكرت وذلك كما يلي: (أوافق بشدة، أوافق، محايد، معارض ، معارض بشدة) ودرجات (4،5،1،2،3) على التوالي .وقد توزعت فقرات الدراسة على ستة مجلات وهي: مجال المشكلات المالية ويحتوي على(9) فقرات، ومجال المشكلات الأكاديمية ويحتوي على(13) فقرة ومجال المشكلات المتعلقة بالبحث العلمي ويحتوي على(9) فقرات ، ومجال المشكلات الإدارية ويحتوي على(15)فقرة، ومجال المشكلات المتعلقة بالطلبة ويحتوي على(14) فقرة، والمجال المتعلق بالعلاقات والمجتمع المحلي ويحتوي على(9) فقرات.

صدق الأداة : تم عرض الاستبانه في صورتها الأولية على مجموعة من الزملاء أعضاء هيئة التدريس في كلية عجلون الجامعية حيث طلب منهم بإبداء أرائهم وملاحظاتهم حول مناسبة فقرات الاستبانه لمجالاتها الستة، ومن حيث الصيغة اللغوية للفقرات، والذين ابدوا بعض الملاحظات والتي تم الاخذ بها جميعاً وتم اعتماد الفقرات التي اجمع عليها (92%) منهم على ملائمتها للمجالات الستة وبذلك أصبحت أداة الدراسة تتكون من(69) فقرة في صورتها النهائية.

ثبات اداة الدراسة : لقد تم اختبار ثبات الأداة من خلال اختبار معامل كرونباخ الفا وقد بلغ معامل الثبات لمجالات الدراسة كما يلي : مجال المشكلات المالية (0.72) ، مجال المشكلات الأكاديمية(0.84)، ومجال المشكلات المتعلقة بالبحث العلمي(0.77)، ومجال المشكلات الإدارية (0.81)، ومجال المشكلات المتعلقة

بالطلبة(0.86)، وللمجال المتعلق بالعلاقات والمجتمع المحلي(0.88)، أما بالنسبة للفقرات مجتمعة فقد بلغت قيمة الفا 0.95 وهي أكبر من 0.60 لذلك هناك ثبات واضح وكبير في اداة الدراسة.

المعالجة الإحصائية: من اجل معالجة البيانات استخدم برنامج الرزم الإحصائية للعلوم الاجتماعية (SPSS) وذلك باحتساب الأوساط الحسابية ، والإنحرافات المعيارية ، وقيمة t ، ومستوى الدلالة المشاهد وذلك لاختبار مدى وجود المشكلات.

اختبار الفرضيات وتحليل النتائج : لإختبار الفرضيات فقد تم إستخدام الوسط الحسابي ، وقيمة t ، ومستوى الدلالة المشاهد . حيث يتم قبول الفرضية إذا كان الوسط الحسابي لإجابات العينة اكبر من 3 بشرط أن تكون ذات معنوية وبدرجة ثقة 95% وهو المعتمد في هذه الدراسة، حيث أن المعنوية تكون موجودة في حال كانت قيمة t أكبر من الجدولية ، أو كانت قيمة مستوى الدلالة المشاهد أقل من α= 0.05 .

الفرضية الأولى:يعاني أعضاء هيئة التدريس في كلية عجلون من المشكلات المالية: تشكل الفقرات(1،2،3،4،5،6،7،8،9) جزئيات هذه الفرضية. ومن الجدول (1) يتبين ان جميع الفقرات قد حصلت على اوساط حسابية اكبر من 3.00 ، وان قيم مستوى الدلالة المشاهد لكل منها كان اقل من 0.05، أي ان جميع هذه الامور التي تمثل المشكلات المالية موجودة وبشكل معنوي. وقد حلت الفقرة رقم 2 والتي تقيس مشكلة السكن بالمرتبة الاولى وبوسط حسابي 4.87, وجاءت الفقرة رقم 5 بالمرتبة الاخيرة وبوسط حسابي 4.12 .أما جميع الفقرات مجتمعة فقد حصلت على وسط حسابي 4.47 ومستوى دلالة مشاهد مقداره 0.000 وهو أقل من مستوى المعنوية لهذه الدراسة وهو α= 0.05. لذلك يتم قبول الفرضية ويتم الاقرار بأن هناك مشكلات مالية تواجه أعضاء الهيئة التدريسية في كلية عجلون الجامعية.

جدول رقم (1) الأوساط الحسابية والانحرافات المعيارية وقيم t ومستوى الدلالة المشاهد والرتب للفقرات التي تقيس مدى وجود المشكلات المالية

رقم الفقرة	الفقرات	الوسط الحسابي	الانحراف المعياري	قيمة t	مستوى الدلالة المشاهد	الرتبة
1	يعاني أعضاء هيئة التدريس من تدني الدخل	4.7805	0.54883	20.203	0.00	2
2	هناك مشكلة عدم توفر السكن الوظيفي	4.8780	0.26365	46.796	0.00	1
3	يعاني أعضاء هيئة التدريس من عدم كفاية الراتب	4.3659	0.77774	12.651	0.00	6
4	ارتفاع أجور المواصلات داخل العقبة	4.1463	1.17390	6.253	0.00	8
5	عدم توفر الدعم المالي للزيارات العلمية	4.1220	0.95445	8.018	0.00	9
6	ارتفاع كلفة المواصلات من الكلية إلى مركز الجامعة	4.2683	1.06324	8.079	0.00	7

7	ارتفاع أجور السكن داخل العقبة	4.7650	0.47754	24.855	0.00	3
8	ارتفاع المستوى المعيشي في العقبة	4.4146	0.80925	12.158	0.00	5
9	ارتفاع قيمة فاتورة الكهرباء في العقبة	4.5610	0.46065	23.732	0.00	4
الكلي	المشكلات المالية	4.4728	4.4797	22.749	0.00	

الفرضية الثانية : تواجه اعضاء الهيئة التدريسية في كلية عجلون الجامعية **مشكلات اكاديمية:** تشكل الفقرات (17،18،19،20،21،22،11،12،13،14،15،16،10) جزئيات هذه الفرضية. ومن الجدول رقم (2) يتبين ان الفقرات رقم 21،17،15،14،13،11،10، 22 قد حصلت على اوساط حسابية اكبر من 3.00، وان قيم مستوى الدلالة المشاهد لكل منها كان اقل من 0.05 ، أي ان جميع هذه الامور التي تمثل المشكلات الاكاديمية موجودة وبشكل معنوي .وقد حلت الفقرة رقم 10 والتي تقيس قلة الدورات التأهيلية وذات الاختصاص بالمرتبة الاولى وبوسط حسابي 4.41 , وجاءت الفقرة رقم 21 والتي تقيس ضعف الجهاز الإداري الواعي لمتطلبات العمل الأكاديمي والجامعي بالمرتبة الاخيرة من ضمن الفقرات المقبولة احصائياً وبوسط حسابي 3.65 . اما الفقرات رقم 12 والتي تقيس عدم مناسبة التخصص للمساقات التي تدرس، ورقم 16 والتي تقيس الضعف في استخدام الحاسوب، ورقم 19 والتي تقيس توزيع المحاضرات على أيام الأسبوع ، ورقم 20 والتي تقيس عدم الموضوعية في التقييم الخاص بالمدرس، فانها وبالرغم من حصول كل منها على وسط حسابي اكبر من 3.00 الا ان مستوى الدلالة لكل منها اكبر من 0.05 ، لذلك فانه لايوجد دليل على وجود هذه المشكلات. اما الفقرة رقم 18 والتي تقيس التوزيع غير العادل للمواد الدراسية، فقد حصلت على وسط حسابي مقداره 2.80 وهو اقل من 3.00 أي انه لا توجد مشكلة تتعلق بهذا الامر. اما جميع الفقرات مجتمعة فقد حصلت على وسط حسابي 3.62 ومستوى دلالة مشاهد مقداره 0.000 أي انه يوجد هناك مشكلات اكاديمية تواجه الهيئة التدريسية في كلية عجلون الجامعية.

جدول رقم (2) الاوساط الحسابية والانحرافات المعيارية وقيم t ومستوى الدلالة المشاهد والرتب للفقرات التي تقيس مدى وجود المشكلات الأكاديمية

رقم الفقرة	الفقرات	الوسط الحسابي	الانحراف المعياري	قيمة t	مستوى الدلالة المشاهد	الرتبة
.10	قلة الدورات التأهيلية وذات الاختصاص	4.4146	0.74080	12.227	0.000	1
.11	يشعر أعضاء هيئة التدريس أن هناك مزاجية في دعم المشاركة في المؤتمرات والندوات	4.0488	1.07124	6.269	0.000	3
.12	عدم مناسبة التخصص للمساقات التي تدرس	3.0732	1.40339	0.334	0.740	11
.13	إجراءات الترقية من رتبة أكاديمية إلى أخرى معقدة	3.7561	1.01933	4.750	0.000	7

.14	عدم مناسبة المراجع المعتمدة للخطة الدراسية	3.7805	1.17286	4.261	0.000	6
.15	عدم الحصول على فرص الإبتعاث لتكملة الدراسة	3.9756	1.08369	5.765	0.000	4
.16	الضعف في استخدام الحاسوب	3.0732	1.38546	0.338	0.737	12
.17	عدم وجود برامج دراسات عليا في الكلية أو قريبه	4.1707	1.13803	6.587	0.000	2
.18	التوزيع غير العادل للمواد الدراسية	2.8049	1.28879	0.969	0.338	13
.19	توزيع المحاضرات على أيام الأسبوع	3.1463	1.37042	0.684	0.498	10
.20	عدم الموضوعية في التقييم الخاص بالمدرس	3.3902	1.41206	1.770	0.084	9
.21	ضعف الجهاز الإداري الواعي لمتطلبات العمل الأكاديمي والجامعي	3.6585	1.37131	3.075	0.004	8
.22	ضعف الخدمات التي تقدمها الكلية لهم	3.8780	1.24890	4.502	0.000	5
الكلي	المشكلات الاكاديمية	3.6285	0.72710	5.535	0.000	

الفرضية الثالثة: يعاني اعضاء هيئة التدريس في كلية عجلون من المشكلات المتعلقة بالبحث العلمي: تشكل الفقرات (23, 24 , 25 , 26 , 27 , 28 , 29 , 30 , 31) . جزئيات هذه الفرضية. ومن الجدول (3) يتبين ان جميع الفقرات قد حصلت على اوساط حسابية اكبر من 3.00 ، وان قيم مستوى الدلالة المشاهد لكل منها كان اقل من 0.05 ، أي ان جميع هذه الامور التي تمثل المشكلات المتعلقة بالبحث العلمي موجودة وبشكل معنوي . وقد حلت الفقرة رقم 24 والمتعلقة بندرة المؤتمرات العلمية المحلية المتخصصة بالمرتبة الاولى وبوسط حسابي 4.31 , وجاءت الفقرة رقم 26 والتي تقيس عدم وجود التعاون في مجال البحث بين أعضاء هيئة التدريس بالمرتبة الاخيرة وبوسط حسابي 3.46 . اما جميع الفقرات مجتمعة فقد حصلت على وسط حسابي 3.92 ومستوى دلالة مشاهد مقداره 0.000 أي انه يوجد هناك مشكلات تتعلق بالبحث العلمي تواجه اعضاء الهيئة التدريسية في كلية عجلون الجامعية.

جدول رقم (3) الأوساط الحسابية والانحرافات المعيارية وقيم t ومستوى الدلالة المشاهد والرتب للفقرات التي تقيس مدى وجود المشكلات المتعلقة بالبحث العلمي

رقم الفقرة	الفقرات	الوسط الحسابي	الانحراف المعياري	قيمة t	مستوى الدلالة المشاهد	الرتبة
23	عدم توفر الوقت الكافي لإجراء البحوث	3.9024	1.01992	5.666	0.000	6
24	ندرة المؤتمرات العلمية المحلية المتخصصة	4.3171	0.87861	9.599	0.000	1
25	عدم توفر مساعدي البحث والتدريس في الكلية	3.6341	1.13481	3.578	0.001	8

26	عدم وجود التعاون في مجال البحث بين أعضاء هيئة التدريس	3.4634	1.34346	2.209	0.033	9
27	صعوبة النشر في المجلات العلمية في الجامعات الأردنية	4.0000	1.39642	4.585	0.000	4
28	عدم توفر مراكز علمية توفر الخدمات الإحصائية للباحثين	3.7805	1.21475	4.114	0.000	7
29	نقص الدوريات العلمية المتخصصة وقواعد البيانات والمكتبة	3.9268	1.03417	5.739	0.000	5
30	نقص خدمات الإنترنت ذات السرعة العالية	4.0244	1.15082	5.700	0.000	3
31	نقص الحوافز المالية لإجراء البحوث	4.2439	1.09042	7.304	0.000	2
الكلي	مشكلات البحث العلمي	3.9214	0.68459	8.618	0.000	

الفرضية الرابعة : يعاني اعضاء هيئة التدريس في كلية عجلون من المشكلات الادارية: تشكل الفقرات (46 ,45,44,43,42,41,40،39,38,37,36,35,34,33,32) جزئيات هذه الفرضية. والجدول رقم (4) يبين ان جميع الفقرات باستثناء الفقرات 33 ، 35 ، 44 قد حصلت على اوساط حسابية اكبر من 3.00 ، وان قيم مستوى الدلالة المشاهد لكل منها كان اقل من 0.05 أي ان جميع هذه الامور التي تمثل المشكلات الادارية موجودة وبشكل معنوي . وقد احتلت الفقرة رقم 38 والمتمثلة بعدم توفر الخدمات الجيدة للكفتيريا بالمرتبة الاولى وبوسط حسابي 4.53 ، ثم الفقرات 39،45 ،42، 32 ، 36، 40 ، 43 ، 37 ،41 على التوالي . اما الفقرات رقم 35،34، 33 وبالرغم من ان كل منها حصلت على اوساط حسابية اكبر من 3.0 الا ان مستوى الدلالة المشاهد كان اكبر من 0.05 أي انه لا يوجد دليل على وجود هذه المشكلات . اما جميع الفقرات مجتمعة والتي تمثل المشكلات الادارية فقد حصلت على وسط حسابي 4.03 ومستوى دلالة مشاهد مقداره 0.000 أي انه يوجد هناك مشكلات ادارية تواجهاعضاء الهيئة التدريسية في كلية عجلون الجامعية.

جدول رقم (4) الاوساط الحسابية والانحرافات المعيارية وقيم t ومستوى الدلالة المشاهد والرتب للفقرات التي تقيس مدى وجود المشكلات الادارية

رقم الفقرة	الفقرات	الوسط الحسابي	الانحراف المعياري	قيمة t	مستوى الدلالة المشاهد	الرتبة
32	عدم المشاركة في صنع القرارات الخاصة بهم	4.0488	0.97343	6.899	0.000	5
33	ضعف الانسجام مع الإداريين	3.170	1.2021	0.909	0.369	15

		7	3			
34	عدم توفر المكاتب والأثاث المناسب	3.7073	1.20921	3.745	0.001	12
35	عدم تعاون الطاقم الإداري في الكلية	3.3171	1.34980	1.504	0.140	13
36	عدم توفر خدمات الطباعة والتصوير بشكل جيد	3.9756	0.96145	6.497	0.000	7
37	عدم كفاية خدمات النظافة في المكاتب	3.8780	1.22872	4.576	0.000	10
38	عدم توفر الخدمات الجيدة للكفتيريا	4.5366	0.77774	12.651	0.000	1
39	النظرة السلبية لمشكلاتهم	4.1220	0.97967	7.333	0.000	3
40	يعاني أعضاء هيئة التدريس من الواسطة والمحسوبية في الإبتعاث	3.9512	1.11694	5.453	0.000	8
41	يشعر أعضاء هيئة التدريس بعدم وجود أسس واضحة للابتعاث	3.8049	1.05403	4.890	0.000	11
42	الاعتماد على الطرق التقليدية في تسجيل العلامات	4.0732	1.12673	6.099	0.000	4
43	يعاني أعضاء هيئة التدريس من النقص في وسائل التدريس الحديثة	3.9268	1.25280	4.737	0.000	9
44	عدم الشعور بالاستقلالية بالعمل	3.3171	1.33115	1.525	0.135	14
45	ازدحام القاعات بالطلبة	4.3415	0.96462	8.905	0.000	2
46	ضعف الإجراءات الرادعة بحق المسيئين	4.0000	1.30384	4.911	0.000	6
الكلي	المشكلات الادارية	3.8780	0.59309	9.480	0.000	

الفرضية الخامسة : يعاني اعضاء هيئة التدريس في كلية عجلون من المشكلات المتعلقة بالطلبة: تشكل الفقـرات :(47، 48، 49، 50، 51، 52، 53، 54، 55، 56، 57، 58، 59، 60) جزئيـات هـذه الفرضية . ومن الجدول رقم (5) يتبين ان جميع الفقرات قد حصلت على اوساط حسابية اكبر من 3.00 ، وان قيم مستوى الدلالة المشاهد لكل منها كان اقل من 0.05 أي ان جميع الفقرات التي تمثل المشكلات المتعلقة بالطلبة موجودة وبشكل معنوي واحصائي . وقد حلت الفقرة رقم 47 والتي تقيس الضعف العام للطلبة بالمرتبة الاولى وبوسط حسابي 4.63 , ثم الفقرات 48 ، 50 ، 51 ، 52، 53 ، 49 ، 57 ، 59 ، 56 ، 58

، 60 ، 55 ، على التوالي ، وجاءت الفقرة رقم 54 والتي تقيس عدم توفر الإرشاد الأكاديمي السليم للطلبة بالمرتبة الاخيرة وبوسط حسابي 3.21 . اما جميع الفقرات مجتمعة فقد حصلت على وسط حسابي 4.03 ومستوى دلالة مشاهد مقداره 0.000 أي انه يوجد هناك مشكلات متعلقة بالطلبة تواجه اعضاء الهيئة التدريسية في كلية عجلون الجامعية.

جدول رقم (5) الاوساط الحسابية والانحرافات المعيارية وقيم t ومستوى الدلالة المشاهد والرتب للفقرات التي تقيس مدى وجود المشكلات المتعلقة بالطلبة

رقم الفقرة	الفقرات	الوسط الحسابي	الانحراف المعياري	قيمة t	مستوى الدلالة المشاهد	الرتبة
47	الضعف العام للطلبة	4.6341	0.62274	16.803	0.000	1
48	اعتماد الطلبة على المدرس كلياً	4.5854	0.59058	17.189	0.000	2
49	اعتماد عدد كبير من الطلبة على الواسطة والمحسوبية	4.1707	0.94611	7.923	0.000	7
50	يعاني أعضاء هيئة التدريس من الضغوط الحاصلة جراء الواسطة والمحسوبية	4.3171	0.75627	11.151	0.000	3
51	تدني التحصل للطلبة	4.2683	0.77538	10.474	0.000	4
52	ضعف المستوى الفكري والثقافي للطلبة	4.2683	0.92262	8.802	0.000	5
53	اعتماد الطلبة على الكتاب المقرر فقط	4.2195	1.06095	7.360	0.000	6
54	عدم توفر الإرشاد الأكاديمي السليم للطلبة	3.2195	1.10707	1.270	0.000	14
55	تفشي الغش بالامتحانات	3.5610	1.26587	2.838	0.000	13
56	عدم احترام الطلبة للمدرس	3.8049	1.07749	4.783	0.000	10
57	الغياب المتكرر للطلبة	3.9756	0.93509	6.681	0.000	8
58	الممارسات الخاطئة للطلبة	3.7805	1.08426	4.609	0.000	11
59	يعاني أعضاء هيئة التدريس من الضغوط للتخلي عن الشكوى ضد الطالب المسيء	3.9024	1.06782	5.411	0.000	9
60	ضعف الإجراءات الرادعة بحق الطالب المسيء	3.7561	1.26057	3.841	0.000	12
	المشكلات المتعلقة بالطلبة	4.0331	0.59764	11.069	0.000	

الفرضية السادسة : يعاني اعضاء هيئة التدريس في كلية العقبة من المشكلات المتعلقة بالعلاقات والمجتمع المحلي: تشكل الفقرات(69,68,67,66,65,64,63,62,61) جزئيات هذه الفرضية. ومن الجدول رقم (6) يتبين ان جميع الفقرات باستثناء الفقرات62 ،65 قد حصلت على اوساط حسابية اكبر من 3.00، وان قيم مستوى الدلالة المشاهد لكل منها كان اقل من 0.05 أي ان جميع الفقرات التي تمثل المشكلات المتعلقة بالعلاقات والمجتمع المحلي موجودة وبشكل معنوي. وقد احتلت الفقرة رقم 69 والمتمثلة بمعاناة أعضاء هيئة التدريس من نقص في النشاطات الترفيهية بالمرتبة الاولى وبوسط حسابي 4.65، ثم الفقرات61، 64،66،68،67،63على التوالي. اما الفقرات رقم 62 "ضعف العلاقات بين الجهاز الإداري والأكاديمي"، والفقره 65 "عدم وجود تواصل مع المجتمع المحلي "، وبالرغم من ان كل منها حصلت على اوساط حسابية اكبر من 3.0 الا ان مستوى الدلالة المشاهد كان اكبر من 0.05 أي انه لا يوجد دليل على وجود هذه المشكلات. اما الفقرات مجتمعة والتي تمثل المشكلات المتعلقة بالعلاقات والمجتمع المحلي فقد حصلت على وسط حسابي 4.03 ومستوى دلالة مشاهد مقداره 0.000 أي انه يوجد هناك مشكلات تتعلق بالعلاقات والمجتمع المحلي تواجه اعضاء الهيئة التدريسية في كلية عجلون الجامعية .

جدول رقم (6) الاوساط الحسابية والانحرافات المعيارية وقيم t ومستوى الدلالة المشاهد والرتب للفقرات التي تقيس مدى وجود المشكلات المتعلقة بالعلاقات والمجتمع المحلي

رقم الفقرة		الوسط الحسابي	الانحراف المعياري	قيمة t	مستوى الدلالة المشاهد	الرتبة
.61	ضعف العلاقات الاجتماعية بينهم	4.0976	0.96966	7.248	0.000	2
.62	ضعف العلاقات بين الجهاز الإداري والأكاديمي	3.3902	1.26250	1.979	0.055	8
.63	تراجع هيبة عضو هيئة التدريس	4.0488	1.11694	6.012	0.000	3
.64	عدم الانسجام مع أعضاء هيئة التدريس	3.4390	1.28547	2.187	0.035	7
.65	عدم وجود تواصل مع المجتمع المحلي	3.2683	1.24548	1.379	0.175	9
.66	نقص برامج خدمة المجتمع المحلي	3.8537	0.98896	5.527	0.000	6
.67	عدم المساهمة في معالجة مشكلات المجتمع المحلي	3.9268	0.98464	6.027	0.000	4

.68	مجاراة القيادات المحلية على حساب عضو هيئة التدريس	3.9024	1.04415	5.534	0.000	5
.69	يعاني أعضاء هيئة التدريس من نقص في النشاطات الترفيهية	4.6585	0.65612	16.186	0.000	1
الكلي	المجال المتعلق بالعلاقات والمجتمع المحلي	3.8428	0.76939	7.014	0.000	

مناقشة النتائج والتوصيات : هدفت الدراسة الحالية التعرف الى المشكلات التي تواجه أعضاء هيئة التدريس في كلية عجلون الجامعية ، وقد تناولت الدراسة هذه القضية من عدة مجالات ،كمجال المشكلات المالية ، ومجال المشكلات الأكاديمية ومجال المشكلات المتعلقة بالبحث العلمي ،ومجال المشكلات الإدارية ، ومجال المشكلات المتعلقة بالطلبة، والمجال المتعلق بالعلاقات والمجتمع المحلي . فيما يلي سيتم مناقشة النتائج التي اظهرتها الدراسة الحالية وستقدم بعض التوصيات وذلك لتخفيف من حدة المشكلات على أعضاء هيئة التدريس في كلية عجلون الجامعية.

أولاً – مناقشة النتائج المتعلقة بالفرضية الاولى : يعاني أعضاء هيئة التدريس في كلية عجلون الجامعية من المشكلات المالية: يتضح من نتائج الدراسة شيوع المشكلات المالية التي تواجه أعضاء هيئة التدريس في كلية عجلون الجامعية والتي حصلت جميعها على متوسط حسابي مرتفع (أكثر من 4) ومستوى الدلالة (0,00)، وقد جاءت هذه النتائج متفقة مع نتائج العديد من الدراسات و التي أظهرت وجود المشكلات المالية بين أعضاء هئية التدريس في الكليات والجامعات كالدراسة التي قام بها كل من المحافظة والمقدادي (1998)، ودراسة (Mc Cracken , 2002) . كما وأظهرت النتائج أهم المشكلات المالية حيث أحتلت مشكلة عدم توفر السكن الوظيفي اعلى المشكلات شيوعا ، تلاها تدني الدخل بالنسبة لأعضاء هيئة التدريس، ثم المشكلات التي تتعلق بأرتفاع أجور السكن ومشكلة أرتفاع قيمة فاتورة الكهرباء، تلاها المشكلة المتعلقة بأرتفاع المستوى المعيشي، وعدم كفاية الراتب ،وأرتفاع كلفة المواصلات من الكلية الى مركز الجامعة وأيضا المحافظة ، وقد احتلت مشكلة عدم توفر الدعم المالي من اجل القيام بالزيارات العلمية المرتبة الاخيرة من حيث اهمية المشكلات المالية التي تواجهه أعضاء هيئة التدريس في كلية عجلون الجامعية .وتوافقت هذه المشكلة مع نتائج دراسات كل من دراسة (المقدادي، 1995) ودراسة (McCracken,2002) .يلاحظ أن جميع هذه المشكلات مرتبطة مع بعضها البعض وجميعها يؤدي الى تأكل الراتب الذي هو متدني اصلاً حيث يتوزع ما بين أجور سكن ومواصلات وفواتير شهرية ومصروفات معيشية ومناسبات اجتماعية وغيرها من المصروفات والتي تجعل المستوى المعيشي لعضو

هيئة التدريس في أدنى مستوياته . وقد يعود السبب وراء هذه المعاناه ان الرواتب في جامعة البلقاء التطبيقية تعتبر من ادنى الرواتب مقارنة بالرواتب في الجامعات الاردنية الاخرى.

ثانياً– مناقشة النتائج المتعلقة بالفرضية الثانية : تواجه اعضاء الهيئة التدريسية في كلية عجلون الجامعية مشكلات اكاديمية: لقد أظهرت نتائج الدراسة فيما يتعلق بإثبات هذه الفرضية أن جميع الفقرات (جدول2) قد حصلت على أوساط حسابية اكثر 3.00 وابرزت النتائج أن ابرز المشكلات الاكاديمية التي يعاني منها أعضاء الهيئة التدريسية في كلية عجلون الجامعية كانت قلة الدورات التأهيلية وذات الاختصاص، ثم مشكلة عدم توفر برامج الدراسات العليا في الكلية أو في اماكن قريبة ، تلاها مشكلة المزاجية في دعم المشاركة في المؤتمرات والندوات ، وقلة فرص الحصول على بعثات دراسية لتكملة الدراسات العليا ، وضعف الخدمات التي تقدمها الكلية لهم ، ومشكلة عدم مناسبة المراجع المعتمدة للخطة الدراسية، تلاها تعقد اجراءات الترقية من رتبة اكاديمية الى اخرى، وضعف الجهاز الاداري الواعي لمتطلبات العمل الاكاديمي والجامعي. كما اظهرت النتائج أن هذه الفقرات قد حصلت على قيم مشاهدة أقل من 0.05 مما يعني أنها تشكل مشكلات اكاديمية لأعضاء هيئة التدريس في كلية عجلون الجامعية. وقد جاءت هذه النتائج متفقة مع نتائج الدراسات التي قام بها العديد من الباحثين والتي اظهرت وجود مشكلات اكاديمية تواجه اعضاء هيئة التدريس في الكليات والجامعات كالدراسات التي قام بها كل من الخليلي ، (1991)، والحلو (2003) وأبو ناهية والنابلسي(1996). ومن الملاحظ أن المشكلات التي احتلت سلم الترتيب من حيث الاهمية لها علاقة قوية بتطوير عضو هيئة التدريس مما يعني وجود مشكلة حقيقية تواجه المدرسين في كلية عجلون الجامعية. ويعتقد الباحث أن سبب هذا الشعور هو البعد المكاني عن مركز الجامعة وأن غالبية الدورات وبرامج الدراسات العليا ودعم المشاركة في المؤتمرات والندوات وفرص الانبعاث تتمركز في مركز الجامعة , وفي العاصمة عمان مما يعني أن مجرد الحصول على فرصة للتطور الذاتي لدى عضو هيئة التدريس تبقى متدنية اذا ما قورنت مع زملائهم في المركز. وأن دل هذا على شئ فأن الباحثان يعتقدان أن الاجراءات المتبعة في الجامعة يشوبها نوع من الضبابية والتي تكتنف معايير الدعم والابتعاث والترقية والتي تكون لصالح الزملاء في المركز على حساب الاخرين في الكليات البعيدة، وما يتمخض عنها من اجحاف قد يلحق باعضاء هيئة التدريس الذين يتقدمون الى الترقية والابتعاث والمشاركة في الندوات وغيرها من البرامج التي تعنى بتطوير عضو هيئة التدريس .

ثالثا– مناقشة النتائج المتعلقة بالفرضية الثالثة : يعاني أعضاء هيئة التدريس كلية عجلون الجامعية من المشكلات المتعلقة بالبحث العلمي. أظهرت نتائج الدراسة أن المشكلات المتعلقة بالبحث العلمي التي يشعر بها أعضاء هيئة التدريس والتي تقع ضمن هذا المجال قد حصلت على متوسط حسابي أكبر من 3.00 ومستوى دلالة أقل من 0.05 هي ندرة المؤشرات العلمية المحلية المتخصصة ، ونقص الحوافز المالية لأجراء البحوث ، تلاها مشكلة نقص خدمات الانترنت ذات السرعة العالية ، ثم صعوبة النشر في المجلات العلمية في الجامعات الاردنية، تم نقص الدوريات العلمية المتخصصة وقواعد البيانات والمكتبة، تلاها مشكلة عدم توفر الوقت الكافي لإجراء

البحوث، ثم مشكلة عدم توفر مراكز علمية توفر الخدمات الاحصائية للباحثين، تلاها مشكلة عدم توفر مساعدي البحث والتدريس في الكلية وأخيرا مشكلة عدم وجود التعاون في مجال البحث العلمي بين أعضاء هيئة التدريس في الكلية . كما اظهرت نتائج الدراسة تطابق النتائج مع نتائج الدراسات الاخرى والتي اجريت على المشكلات التي تواجه أعضاء هيئة التدريس في الكليات والجامعات كالدراسات التي قام بها كل من كنعان (1987)، والحلو (1983) ، ودراسة المقدادي (1990)، ودراسة محافظة والمقدادي (1998).

يلاحظ من النتائج أن أعضاء هيئة التدريس يواجهون العديد من المشكلات والتي تعيق قيامهم باجراء البحوث العلمية ويعتقد الباحثان أن جميع هذه المشكلات ذات أهمية كبرى بالنسبة لأعضاء هيئة التدريس حيث أن عدم توفر الوسائل الكفيلية بتسهيل مهمة البحث العلمي يعيق أجراءاها وتؤدي الى احباط الهمم لديهم ناهيك عن تكبد مبالغ مالية للحصول على البانات والدراسات السابقة، وقضاء وقت كبير في البحث عنها بسبب عدم توفر الخدمات المكتبية والتي توفر المراجع والدوريات. بالاضافة الى عدم توفر خدمة الانترنت ذات السرعة العالية ليتمكن الباحثين من اعضاء هيئة التدريس من الدخول الى قواعد البانات الوطنية والعربية والاجنبية، وايضا ما يتحمله عضو هيئة التدريس من جهد ومصاريف جراء الاشتراك بقواعد البيانات من اجل الحصول عليها.

رابعاً: مناقشة النتائج المتعلقة بالفرضية الرابعة : يعاني أعضاء هيئة التدريس في كلية عجلون الجامعية من المشكلات الادارية. أظهرت نتائج الدراسة أن أكثر المشكلات الادارية التي تواجه أعضاء هيئة التدريس باستثناء الفقرات (33 ، 35 ، 44) كما هو مبين في الجدول رقم (4) أن جميع الفقرات والتي حصلت على أوساط حسابية أكبر من 3.00 والتي تشكل مشكلة بالنسبة لأعضاء هيئة التدريس هي على التوالي : عدم توفر الخدمات الجيدة للكفتيريا و ازدحام القاعات بالطلبة ، والنظرة السلبية لمشكلاتهم من قبل إدارة الجامعة ، والنظام التقليدي لتسجيل العلامات ، وعدم توفر خدمات الطباعة والتصوير بشكل جيد ، والواسطة، والمحسوبية بالابتعاث ، والنقص في وسائل التدريس الحديثة ، وعدم كفاية خدمات النظافة في المكاتب ، وعدم وجود اسس واضحة للإبتعاث . وقد اتت نتائج هذه الدراسة مطابقة لنتائج الدراسات التي قام بها كل من الحلو (2003)، ومحافظة والمقدادي (1998)، والمقدادي (1995). يتضح من نتائج الدراسة أن أعضاء هيئة التدريس في كلية عجلون الجامعية يواجهون عدة مشكلات إدارية تبدأ بالخدمة وتنتهي بالاسسس الادارية للأبتعاث . ويعتقد الباحثان أن هذه المشكلات تعتبر من المشكلات العاجلة التي يجب أن توضع لها الحلول بشكل فوري حيث أنها تشكل مجتمعة جو من الاحباط واليأس عندما يجد عضو هيئة التدريس أن الجو الذي يعمل به لا يشجع على الابداع والتطور مما يزيد من الشعور بعدم القدرة على التطور والابداع وبالتالي انخفاض مستوى الانتاجية لدى عضو هيئة التدريس .

ويعتقد الباحثان ايضاً أن العجز المالي والانتشار الواسع للكليات التابعة لجامعة البلقاء التطبيقية ، قد يكبد الجامعة مبالغ مالية عالية مما يحد من قدرتها على توفير خدمات الدعم المادي والابتعاث والخدمات الاخرى لجميع الكليات . كما أن الباحثان يعتقدان أن المؤسسات الاقتصادية المنتشرة في المملكة لم تقم بدورها بدعم الكليات

من مختلف النواحي والذي فيما لو تم سينعكس ايجابا على مخرجات التعليم وبالتالي سينعكس على هذه المؤسسات من خلال تخريج كوادر مدربة معرفيا ومهاريا، وايضا الاستفادة من خبرات أعضاء هيئة التدريس في هذه المؤسسات .

خامسا – مناقشة النتائج المتعلقة بالفرضية الخامسة : يعاني أعضاء هيئة التدريس في كلية عجلون الجامعية من المشكلات المتعلقة بالطلبة . تشير نتائج الدراسة الحالية الى شيوع المشكلات المتعلقة بالطلبة بين أعضاء هيئة التدريس وان هذه المشكلات مرتبة من حيث الاهمية كما يلي: الضعف العام للطلبة، واعتماد الطلبة على المدرس كلياً، وضغوط الواسطة والمحسوبية، وتدني التحصل للطلبة، وضعف المستوى الفكري والثقافي، واعتماد الطلبة على الكتاب المقرر، واعتماد الطلبة على الواسطة والمحسوبية بالنجاح، والغياب المتكرر للطلبة، وضغوط التخلي عن الشكوى ضد الطلبة المسئين، وعدم احترام الطلبة للمدرس، والممارسات الخاطئة للطلبة، وضعف الاجراءات الرادعة بحق المسيئين، وتفشي ظاهرة الغش بالامتحانات، واخيراً عدم توفر الارشاد الاكاديمي السليم للطلبة. وقد أتت هذه النتائج متطابقة لنتائج دراسات كا من مافظة ومقدادي (1998)، والمقدادي (1995)، و الحلو (2003). يلاحظ من النتائج أنها جميعا متعلقة ببعضها البعض حيث نجدها مرتبطة ارتباطا وثيقا بالضعف العام للطلبة في الكلية ويعتقد الباحثان أن هناك اسباب مختلفة لهذه المشكلات التي تواجه أعضاء هيئة التدريس في كلية عجلون الجامعية ومن أهم هذه الاسباب كما يعتقد الباحثان ، أن مخرجات التعلم المدرسي هي في أدنى مستوياتها من الناحية التعليمية والتربوية ، كما أن قبول الطلبة ذوي المعدلات المتدنية في تخصصات اصلا تحتاج الى معدلات مرتفعة ، والقبول حارج قائمة القبول الموحد للجامعات، قد احدث ارباكا في العملية التعليمية ومخرجات التعلم حيث تظهر النتائج متدنية وتصبح الضغوط عالية من قبل المجتمع المحلي على عضو هيئة التدريس من أجل انجاح الطلبة مما يعكس بحد ذاته على المستوى الفكري والثقافي للطالب الذي يتخرج وليس لديه القدر الكافي من المهارة العلمية والفكرية والثقافية وبالتالي تصبح مخرجات التعليم تقاس بالكم وليس بالكيف .

سادسا– مناقشة النتائج المتعلقة بالفرضية السادسة : يعاني اعضاء هيئة التدريس في كلية عجلون الجامعية من المشكلات المتعلق بالعلاقات والمجتمع المحلي. أشارت نتائج الدراسة الحالية بأن المشكلات التي تواجه اعضاء هيئة التدريس في كلية العقبة الجامعية ذات العلاقة بمجال المشكلات المتعلقة بالعلاقات والمجتمع المحلي كانت وحسب الاهمية والتي حصلت على أوساط حسابية أكبر من 3.00 ومستوى دلالة مشاهدة أقل من 0.05 مرتبة كما يلي: النقص في النشاطات الترفيهية وضعف العلاقات الاجتماعية بينهم، وتراجع هيبة عضو هيئة التدريس، وعدم مساهمتهم في معالجة مشكلات المجتمع المحلي، ومشكلة محاباة القيادات المحلية على حساب عضو هيئة التدريس، ونقص برامج خدمة المجتمع المحلي، وعدم الانسجام مع أعضاء هيئة التدريس. وأتت نتائج هذه الدراسة متطابقة مع نتائج الدراسة التي قام بها محافظة والمقدادي (1998).

ونلاحظ من نتائج الدراسة المتعلقة بمجال المشكلات المتعلقة بالعلاقات والمجتمع المحلي انها لها علاقة بالجو الثقافي لمدينة عجلون بشكل عام حيث أنها لم تواكب التحول الثقافي والتغير الاجتماعي الذي حصل في السنوات الاخيرة على مستوى المملكة ، وايضا نجد هناك من تطغى عليه العقلية التي تؤمن بأن الامور يجب ان تسير كما يراها أبن المنطقة وليس كما يجب ان يكون وكما يتطلبه المنطق الاكاديمي. ويعتقد الباحثان أن المحافظة ما زالت تفتقر الى الكثير من الاهتمام بالجوانب الترفيهية والتي قد يستطيع عضو هيئة التدريس أن يروح عن نفسه ويخفف من ضغوط العمل وخصوصا أن الخدمات السياحية تكاد تكون ادنى من المستوى الذي يليق بالمحافظة وطبيعتها الخلابة، كما ويعتقد الباحثان أن القطاعات المسؤلة عن تطوير محافظة عجلون ما زالت لا تثق بقدرات أعضاء هيئة التدريس العلمية والمهارية من أجل المساهمة في رسم وتنفيذ السياسات الخاصة بتطوير المجتمع المحلي على المستوى الثقافي والفندقي والسياحي والاجتماعي والاقتصادي وقد يعود السبب وراء ذلك ايمان البعض بأن الخبرات التي تأتي من العاصمة عمان والدول الاخرى على قدر اعلى من الخبرات الموجودة في الكلية مما يحرم عضو هيئة التدريس من المشاركة الفعلية في تطوير المجتمع المحلي .

ألتوصيات

وبناءا على نتائج الدراسة الحالية والمناقشة المعمقة لهذة النتائج يوصي الباحثان بما يلي :

1- بضرورة تأمين المكاتب والدعم الملائم وزيادة الرواتب لإعضاء الهيئة التدريسة .

2- ضرورة الإسراع في بناء وتجهيز المباني الملائمة لكلية عجلون الجامعية .

3-تقديم الدعم الكافي للبحوث، ودعم المشاركة بالمؤتمرات الخارجية

3- أهمية ألاخذ بالمشكلات التي أبرزتها هذه الدراسة والعمل على إيجاد الحلول المناسبة لهذه المشكلات.

المراجع بالعربية

1-أبو ناهية، صلاح الدين، والنابلسي(1996)، نظام " مشكلات أعضاء الهيئة التدريسية في الجامعات الفلسطينية للعام الجامعي 1994 /1995، مجلة جامعة الأزهر، العدد (1)، غزة، فلسطين .

2- أحمد، مروة (1994)، "المشكلات الأكاديمية والإدارية التي تواجه أعضاء هيئة التدريس في عدد من الجامعات الأردنية، مجلة اتحاد الجامعات العربية، العدد 29 .

3- الحلو، غسان حسين، (2003) "المشكلات الأكاديمية لدى أعضاء هيئة التدريس في جامعة النجاح الوطنية في نابلس/ فلسطين". مجلة جامعة النجاح للأبحاث (العلوم الإنسانية)، المجلد 17(2)، جامعة النجاح فلسطين ص ص 371- 417 .

4- الخليلي، خليل (1991) "مشكلات التدريس الجامعي من وجهة نظر أعضاء الهيئة التدريسية في جامعة اليرموك، دراسات تربوية، (35) ص ص 277-295 .

5- المطالقة، فيصل إبراهيم (2010) "المشكلات الأكاديمية التي تواجه طلبة كلية العقبة الجامعية من وجه نظرهم"، مؤتة للبحوث والدراسات، سلسلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد الخامس والعشرون،العدد الرابع، جامعة مؤتة-الكرك-ص ص 9-53 .

6- المقدادي، محمود (1995) " المشكلات الأكاديمية التي يواجهها أعضاء الهيئة التدريسية في جامعة اليرموك"، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة اليرموك، إربد، الأردن .

7- كنعان ، أحمد (2001)، " البحث العلمي لدى أعضاء الهيئة التدريسية في جامعة دمشق: الأهداف، والمعوقات، وسبل التطوير، مجلة جامعة دمشق، المجلد 17، العدد (4) ص ص 59-109 .

8- محافظة، سامح (2002) "المشكلات الأكاديمية التي يواجهها أعضاء الهيئة التدريسية في جامعة اليرموك"، مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية. ليبيا، العدد8-المكتب الوطني للبحث والتطوير- إدارة الإعلام والنشر والتوثيق، طرابلس، ص ص 247-299 .

9 - محافظة،سامح، والمقدادي، محمد (1998)،" المشكلات الأكاديمية التي يواجهها أعضاء الهيئة التدريسية في جامعة اليرموك، مجلة اتحاد الجامعات العربية (33)، ص ص 5-47 .

المراجع بالإنجليزية

1- **Di,A.,(**2000),"View of Academic Work".*Journal of Teacher Development*,vol.4,No.1,PP 65-77

2- **McCracken,C.G.,**(2002).The relationship between stress levels and job satisfaction among community college faculty in East Tennessee, Doctoral Dissertation,East Tennessee State University *Dissertation Abstracts International*, Section A: Humanities and Social Sciences, no 3031157 .

تاريخ الاستلام: 2016/07/03- تاريخ التحكيم:2016/10/11 -تاريخ النشر2016/12/30

مكانة الإتصال ضمن إدارة الجودة الشاملة ومعايير الإيزو في المؤسسة الاقتصادية

أ. طارق هابة

(جامعة الجزائر -3-)

❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁

الملخص :

إن نجاح تطبيق إدارة الجودة الشاملة في المؤسسات الاقتصادية مرتبط بمدى التطبيق الأمثل لمتطلباتها الرئيسية ، ويعتبر الإتصال أحد أبرز وأهم هذه المتطلبات ، حيث يعد أداة مهمة في تغيير الثقافة التنظيمة للمؤسسة من خلال قيامه بالعديد من المهام والوظائف الإدارية والتخصصية نذكر منها : وظيفة التخطيط ،وظيفة التوجيه ،وظيفة التنسيق ، وظيفة التحفيز وظيفة تدريب وتنمية الموارد البشرية ...الخ،وسنحاول في هذه الورقة البحثية إبراز أهم الأدوار التي يلعبها الاتصال بمختلف قنواته وأساليبه في إنجاح تطبيق ادارة الجودة الشاملة ، بالإضافة إلى توضيح المكانة التي يحتلها ضمن معايير الايزو المختلفة الصادرة عن هيئة التقييس العالمية(ISO) .

الكلمات المفتاحية : الاتصال ، الجودة ، ادارة الجودة الشاملة ، ثقافة الجودة ،معايير الايزو(ISO).

Abstract

The success of the application of total quality management in the economic institutions depend on the optimal application of its principal requirements , and the connection is considered one of the most prominent and most important of these requirements, which is an important tool in changing the organizational culture of the institution by doing many he tasks of administrative and specialized functions including: planning function, guidance, coordination, motivation function , training function and human resources development..... etc.

we will try in this paper to highlight the most important roles of contact with various channels in the success of the application of total quality management in addition to clarify the position occupied by the part of the various ISO standards issued by the global standardization (ISO).

Key words: communication, quality, total quality management, the culture of quality, ISO standards (ISO)

مقدمة

تعتبر المؤسسة نسقا إجتماعيا يضم مجموعة من الأفراد يتفاعلون فيما بينهم وفقا لمجموعة من القيم والعادات و التقاليد، وذلك من أجل تحقيق أهدافها وغاياتها المحددة سلفا ، ومن بين هذه الأنساق نجد نسق العلاقات الاتصالية ، حيث يعتبر الاتصال العمود الفقري الذي تبنى عليه مختلف العمليات الإجتماعية والإدارية داخل المؤسسة ، وقد أدى التغير السريع الذي يشهده عالمنا المعاصر إلى زيادة أهمية الاتصال بشكل واضح في جميع المستويات التنظيمية والإدارية ، و مع ظهور نظام إدارة الجودة الشاملة كعملية إدارية تقوم بها المؤسسات من أجل التميز في خدماتها الانتاجية والوظيفية والتحسين المستمر لعملياتها المختلفة ، وحتى تضمن لنفسها مكانة مرموقة في الساحة المحلية والدولية تسمح لها بالمنافسة ، أصبح لزاما على هذه المؤسسات مواكبة هذه التطورات التى أخذت منحى تصاعدي في تطبيقها لمقومات هذه النظام ومتطلباته المختلفة من أجل الحصول على شهادات الايزو المختلفة الاصدارات، و هذه الأخيرة تعد اعتراف صريح بمدى جاهزية المؤسسة للولوج في عالم إقتصادي تنافسي .

ومع هذه التطورات والتغييرات التي أحدثتها ادارة الجودة الشاملة في طرق التسيير والإدارة ، سارعت العديد من المؤسسات الى تبني هذا النظام من خلال توفير كل شروطه و متطلباته والتي يعد العنصر البشري حجر الأساس فيها ، بالإضافة إلى العناصر الأخرى وفي مقدمتها الاتصال الذي يعد الأداة الرئيسية في التغيير الثقافي والتنظيمي للمؤسسة من خلال التأثير على مختلف مكوناتها وعناصرها التنظيمية، كما تولي ادارة الجودة الشاملة أهمية كبيرة لهذا العنصر من خلال وضعه ضمن متطلباتها ، ومن هنا نطرح التساؤل الرئيسي التالي :

ما هي المكانة التي يحتلها الاتصال في نظام إدارة الجودة الشاملة ومعايير الايزو داخل المؤسسة الاقتصادية ؟

وعلى هذا الأساس سوف نتناول في دراستنا هذه المحاور التالية :

1. الإطار المفاهيمي للإتصال داخل المؤسسة
2. ماهية إدارة الجودة الشاملة
3. مفهوم وأهمية المواصفات العالمية القياسية (ISO)
4. مكانة الاتصال ضمن ادارة الجودة الشاملة
5. مكانة الاتصال ضمن معايير التقييس الدولي (ISO)

أولا : الإطار المفاهيمي للاتصال داخل المؤسسة : سنتطرق في هذا المحور الى مفهوم الاتصال داخل المؤسسة وعناصر العملية الاتصالية وأنواعها، ثم تحديد أهم الأهداف التي يسعى الاتصال لتحقيقها .

1- مفهوم الاتصال داخل المؤسسة:هناك العديد من التعريفات التي حاولت إعطاء مفهوم واضح وصريح للاتصال داخل المؤسسة، نذكر أهمها في النقاط التالية :

يعرف الاتصال الداخلي على أنه : "كل الأعمال والنشاطات التي تسعى إلى الربط بين كل العاملين في المؤسسة وهذا من أجل بلوغ الهدف الذي تسعى إليه وهو ازدهارها ورقيها" (بلخيري ،ر والجابري ، س .2013: 73).

كما يعرفه البعض على أنه " سلسلة من العمليات المركبة والهادفة العقلية والمعرفية والنفسية والاجرائية لتحقيق منافع مشتركة بين عدة أطراف تستلزم خلق إطار من التواصل الفعال ، بإستخدام رموز وأدوات معينة بما يضمن جودة مخرجاتها ومدخلاتها وعملياته في بيئة ذات أبعاد ثقافية وتنظيمية واقتصادية ومادية" (محمود ،أ و البريدي ، ع .2008: 48).

وعليه يمكن القول بأن الاتصال الداخلي هو نشاط أوعملية هادفة تسعى إلى ربط الأفراد ببعضهم البعض داخل المنظمة من خلال تشجيع التعاون والتنسيق بينهم بهدف تحقيق الاهداف التى تسعى اليها المنظمة بواسطة مجموعة من القنوات اللفظية والغير لفظية .

2 – أنواع الاتصال داخل المؤسسة : ينقسم الاتصال داخل المؤسسة إلى قسمين رئيسيين، اتصالات رسمية واتصالات غير رسمية وتتكون الإتصالات الرسمية من عدة اتجاهات صاعدة وهابطة وإتصالات أفقية تجرى بين الجهات والأشخاص الذين هم في مستويات إدارية واحدة بينما تكون الاتصالات غير الرسمية بين الافراد والعاملين داخل المؤسسة بطريقة عفوية وغير منظمة وعلى العموم يمكن تعريفهما على النحو التالي :

2-1- الاتصال الرسمي : وهو الاتصال الذي يتم بين المستويات الإدارية المختلفة في المؤسسة بالطرق الرسمية المتفق عليها في نظمها وتقاليدها ، ففي كل مؤسسة يوجد ما يعرف بشبكة الاتصالات الرسمية بأنواعها المختلفة ، والتي يتم تحديدها عند وضع الهيكل الذي يوضح كيفية الربط بين الوحدات الإدارية المختلفة التي يتضمنها، كما يتمثل الاتصال الرسمي في عملية نقل المعلومات والأوامر الخاصة بالاتصالات الصاعدة والنازلة التي تمثل ما يسمى بالنظام الرسمي داخل المؤسسة. (مجاهد ، ج وشيبة ، ش و الخليفي ، ط.2003 : 44)

ومن الملاحظ أن الاتصالات الرسمية بدورها تنقسم إلى عدة أنواع منها الاتصالات الصاعدة ، والتي تتمثل في التقارير والشكاوى والاقتراحات ، وأخرى نازلة تحتوى على التعليمات والأوامر والقوانين المتعلقة بسير العمل بالإضافة الى الاتصالات الافقية التي تتم بين الأفراد من نفس المسوى في الهرم الوظيفي بغرض الحصول على المعلومات .

2-2- الاتصال غير الرسمي :بالموازات مع الإتصال الرسمي ، ينشأ الإتصال غير الرسمي في المؤسسة ، وهذا غالبا ما يكون راجعا إلى خلل في الإتصال الرسمي ، كجمود في الإتصال الصاعد ، مما يخلق فراغا يستغله الفاعلون الإجتماعيون ، الذين يتميزون بطموحهم ،كما ينشأ نتيجة لوجود علاقات شخصية و إجتماعية بين العاملين في المؤسسة (Cailley,B.1996:71) .

ومن الملاحظ أن الإتصال غير الرسمي ، يمكن أن يكون في صالح المؤسسة من خلال تشجيع العاملين على تحسين الاداء وخلق الولاء وحب الانتماء للمؤسسة ، كما يمكن أن يكون ضد أهدافها ومصالحها كنشر الاشاعات والفوضى داخل الوسط العمالي ، والفصل في هذا الأمر ، يعود إلى الإدارة الحكيمة و الرشيدة ،فكلما إستطاعت الادارة تطوير وتحسين قنوات اتصالاتها الرسمية كلما كانت سيطرتها وتحقيق أهدافها أحسن وأسرع .

3 – أهداف الاتصال الداخلي في المؤسسة : إن هدف الاتصال الرئيسي هو إحداث مجموعة من التأثيرات على النشاطات والوظائف المختلفة للمؤسسة من أجل تحقيق أهدافها وغاياتها المرجوة ، كما أن عملية الاتصال في المؤسسة ضرورية من أجل تزويد العاملين بالمعلومات القاعدية والأساسية للقيام بأعمالهم وومهامهم المنوطة بهم ، وذلك من أجل تطوير وتحسين المواقف والاتجاهات بشكل يكفل التنسيق والانجاز والرضا الوظيفي لديهم ، ونلخص أهم الأهداف المتعلقة بالاتصال في النقاط التالية:

- الأخبار والاعلام .

- الإعداد لتقبل التغيير .
- توضيح وتصحيح المعلومات والأداء .
- تحسين العلاقات بين الادارة والعمال بالمحافظة على قنوات الاتصال مفتوحة (بن الصديق ،ع .2010: 170-171) .
- التكوين : من خلال تكوين العمال على استخدام التقنيات والأساليب الجديدة ، وهذا عن طريق توظيف مجموعة من الوسائل والتقنيات المتطورة والحديثة .
- التحفيز : بحيث تقوم المؤسسة بدفع العاملين إلى تطوير إحساسهم بالانتماء والولاء إلى المؤسسة ، وهذا يتم عن طريق تطبيق سياسة المكافآت والتشجيعات ، سواء كانت هذه المكافآت ذات طابع مادي مثل الزيادة في الراتب ،العلاوات ، الرحلات ، أو مكآفات معنوية تتمثل عادة في الأوسمة ، الألقاب التشريفية ، التشجيع على المشاركة في اتخاذ القرارات ....الخ .
- المشاركة والدمج : بمعنى جعل الأفراد يشتركون ويندمجون في المؤسسة ، أي يصبحون أعضاء فاعلين فيها ، من خلال مجموعة من الوسائل كصندوق الاقتراحات والإجتماعات والاحتفالات السنوية.....الخ (بلخيري ،ر والجابري ، س .2013: 95-96).

ثانيا : ماهية إدارة الجودة الشاملة : قبل أن نتطرق للحديث عن نظام إدارة الجودة الشاملة في المؤسسة لابد لنا أن نتوقف عند أبرز المفاهيم التي تحيط بهذا المفهوم ومن أهمها :

1 – مفهوم الجودة : نظرا لتعدد وجهات النظر من قبل المفكرين والمحللين حول تحديد مفهوم دقيق وموحد للجودة، جعل هنالك إختلافات في تعريفها وضبطها، وقصد الإلمام بمفهومها نعمد إلى عرض أهم التعاريف للجودة كما يلي:

تعرف الجودة بأنها " مجموع الصفات والخصائص للسلعة أو الخدمة التي تؤدي إلى قدرتها على تحقيق رغبات معلنة أو مفترضة" (السلمي ،ع .1999:18).

وهناك من يعرفها أيضا بأنها " إنتاج المنظمة لسلعة أو تقديم خدمة بمستوى عالي من الجودة المتميزة ، تكون قادرة من خلالها على الوفاء بإحتياجات ورغبات عملائها ، بالشكل الذي يتفق مع توقعاتهم ، وتحقق أيضا الرضا والسعادة لديهم ، ويتم ذلك من خلال مقاييس موضوعة سلفا لإنتاج مجموعة من السلع أو الخدمات وإيجاد صفة التميز لها ". (عقيلي ،ع.2000 :17)

وبالتالي يمكن أن نعرف الجودة بأنها محاولة المؤسسة الوصول بالمنتوج إلى درجة مثلى من التحسين والتميز في الخصائص والصفات التي من شأنها تحقيق رغبات ومتطلبات الزبون أو العميل .

2- مفهوم إدارة الجودة الشاملة : هناك عدة تعريفات حاولت إعطاء مفهوم واضح وصريح لادارة الجودة الشاملة نذكر أهمها في النقاط التالية :

عرفت منظمة التقيس العالمية (ISO) إدارة الجودة الشاملة بأنها:" عقيدة أو عرف متأصل وشامل في أسلوب القيادة والتشغيل لمنظمة ما بهدف التحسين المستمر في الأداء على المدى الطويل من خلال التركيز على متطلبات وتوقعات الزبائن مع عدم إغفال متطلبات المساهمين وجميع أصحاب المصالح الأخرين" (العزاوي ، م .2005: 33).

ويعرفها جابلونسكي بأنها "شكل تعاوني لأداء الأعمال بتحريك القدرات والمواهب لكل العاملين و الادارة لتحسين الإنتاج والجودة والخدمة بشكل مستمر ، وهو ما يتطلب الإدارة بالمشاركة وتحسين العملية واستخدام الفرق" (الشافعي ،ح .2006: 62).

وفي تعريف آخر لـ john Oakland "أكد أن إدارة الجودة أسلوب إداري حديث يسعى إلى تحقيق المرونة والفعالية في أعمال المنظمة أو المشروع ورفع قدرته التنافسية (أبو نصر ،م. 2007: 123).

وعلى ضوء ماسبق يمكن تعريف إدارة الجودة الشاملة بأنها طريقة ومنهج قائم على أسس علمية ، تهدف إلى تطوير أداء وكفاءة العاملين والمنظمات على حد السواء ، بهدف تقديم منتوجات تلبي حاجيات وتوقعات الزبون، وذلك من خلال التركيز على عاملي التحسين المستمر وتدريب وتنمية المورد البشري .

4- متطلبات إدارة الجودة الشاملة : إن تطبيق نظام إدارة الجودة الشاملة في المؤسسة لا يتم إلا بتوفير جملة من المتطلبات والعناصر الرئيسية التي تساعد على إنجاح هذا النظام ، ومن هذه المتطلبات نذكر منها : (جباري ، ف. 2011 : 29-30)

أ-دعم وتأييد الادارة العليا لبرنامج أدارة الجودة الشاملة :تهتم الادارة العليا بتحديد القرارات الاستراتجية للمؤسسة ، ويجب عليها التأقلم مع التغيرات المختلفة لمحيطها الخارجي وما يفرضه عليها من إشتداد للمنافسة ، وتأخذ على عاتقها مسؤولية قيادة التغيير والتطور في المؤسسة .

ب-تهيئة مناخ العمل وثقافة المنظمة : ويقصد بتهيئة مناخ العمل ، إهتمام الادارة العليا بالأفراد العاملين بها ، وإقناعهم بمفاهيم إدارة الجودة الشاملة قصد إدماجهم ومشاركتهم في اتخاذ القرار .

ج-الادارة الفعالة للمورد البشري بالمنظمة : إن نجاح الجودة الشاملة مرتبط بالادارة الفعالة للمورد البشري في المنظمة ، وذلك من خلال عملية تدريب العمال وتحفيزهم والإهتمام بهم ومحاولة ادماجهم في عمليات اتخاذ القرارات والتعرف عن المشاكل التي يعانون منها واقتراح الحلول المناسبة لها.

د-الانفتاح في عملية الاتصال : يتطلب نظام إدارة الجودة الشاملة حسب(مأمون ، أ والشبلي ، ط .2002: 67) إتصالا تنظيميا:

– من الأعلى إلى الأسفل : بين الادارة والعاملين لنقل المعلومات والتعليمات .

– من الأسفل إلى الأعلى : لنقل الاستفسارات والشكاوى ووجهات نظر العاملين الى الادارة .

– إتصالا أفقيا : للتنسيق وتبادل المعلومات والآراء في المسائل والموضوعات المشتركة بين مختلف الوظائف من نفس المستوى.

.5- **أهداف إدارة الجودة الشاملة** :حدد الباحث ريتشارد فرمان R.Ferman الأهداف التي تسعى إليها إدارة الجودة الشاملة في عدة نقاط أشار إليها (أبو نصر ، م. 2007: 126) وهي:

- التركيز على إحتياجات السوق ، والعمل على ترجمة هذه الاحتياجات الى مواصفة قابلة للتنفيذ ؛
- تحقيق أعلى أداء في كل المجالات .
- وضع إجراءات بسيطة لأداء الجودة.
- إدراك المنافسة وتطوير إستراتجي لها .
- وضع أسلوب للتطوير المستمر بلا نهاية .

ثالثا : مفهوم وأهمية المواصفات العالمية القياسية (ISO): سنحاول في هذا المحور إبراز أهم مفاهيم الايزو بالإضافة الى دراسة العلاقة بين مقاييس المواصفات الدولية (iso) وإدارة الجودة الشاملة لنصل في الأخير إلى تحديد أهمية الحصول على شهادة الإيزو بالنسبة للمؤسسة والعمال والعملاء :

1–تعريف الإيزو: هو عبارة عن سلسلة من المواصفات المكتوبة أصدرتها المؤسسة العالمية للمواصفات عام (1987، تحدد هذه المواصفات ،وتصف العناصر الرئيسية المطلوب توفرها في نظام إدارة الجودة الذي يتعين أن تصممه وتتبناه إدارة المؤسسة للتأكد أن منتجاتها(سلع أو خدمات) ، تتوافق أو تفوق حاجات أو رغبات أو توقعات العملاء (مصطفى ، أ . 1998: 11)

وتعرف الوكالة الفرنسية للتقييس (AFNOR) المقاييس بأنها " وثائق موضوعة بإجماع و مصادقة من طرف هيئة معروفة، تقدم للدول مجموعة من القواعد و أسس التسيير للتطبيق المتكرر أو المستمر" (Debruyne, M .2002: 58)

ومن خلال التعريفين السابقين يمكن القول بأن معايير الايزو هي سسلسلة من المواصفات التي تطرحها المنظمة العالمية للتقييس من أجل ضبط جودة السلع والخدمات بما يتوافق مع متطلبات السوق العالمية ، وهذه السلسلة متكونة من مجموعة من الوثائق المصادق عليها من طرف هذه المنظمة تتضمن مجموعة من الشروط والمتطلبات يجب استيفائها من أجل الحصول في الأخير على شهادة الايزو

2 – علاقة معايير الإيزو بإدارة الجودة الشاملة:لقد أجمع العديد من الباحثين و المفكرين (أمثال Debruyne, Brilman، عبد العزيز سمير) على وجود اختلاف واضح بين معايير الإيزو و المرتكزات الأساسية لإدارة الجودة الشاملة، و تتمثّل أهمّ أوجه هذا الإختلاف في النقاط التالية:

- تسعى معايير الإيزو إلى توفير مستوى جودة ذو طابع عمومي و عالمي و ليس خاصّاً بمؤسسة معينة، أمّا إدارة الجودة الشاملة فبالرغم من وجود مبادئ و مرتكزات ذات طابع عام إلاّ أنّ تطبيقها من حيث مداه يختلف من مؤسسة لأخرى، فلكلّ منها نموذجها الخاص بها (السلمي ،ع . 1999:91).
- تقوم إدارة الجودة الشاملة على التوجه نحو الزبون من خلال الدراسة الميدانية لحاجاتهم و رغباتهم و السعي إلى إشباعها و تحقيق أعلى مستوى من الرضا لديهم، بينما تهتم معايير الإيزو فقط بتطبيق معايير الجودة العالمية على منتجاتها و خدماتها فهي بذلك تتعامل بصفة مباشرة مع زبائنها (موازي ،س.2005: 57) .
- إن تطبيق إدارة الجودة الشاملة يشمل جميع الإدارات و الأقسام و المستويات التنظيمية، كما أنّ كل فرد داخل المؤسسة مسؤول عن الجودة، في المقابل فإنّ معايير الإيزو يمكن تطبيقها على أقسام و إدارات محدّدة و ليس بالضرورة على مستوى المؤسسة ككلّ.
- تهتم إدارة الجودة الشاملة بالتركيز على المفاهيم و الأدوات و الأساليب، في حين تركز معايير الإيزو على النظم الفنية و الإجراءات، و هذا ما يخلق نوعاً من الثقافة المكتوبة داخل المؤسسة التي تؤدي في الغالب إلى عدم تأهيل الوظائف التي من شأنها أن تحدّ المبادرات الفردية (مأمون ، أ والشبلي ، ط .2002: 108).

وتمنح شهادة الإيزو لمدة ثلاث سنوات مع إمكانية مراجعتها من قبل منظمة الإيزو، فالمؤسسات الحائزة على الشهادة تخضع إلى تفتيش دوري على عكس المؤسسات المنتهجة لإدارة الجودة فهي لا تخضع إلى تفتيش من طرف أية جهة إلا في حالة كانت هذه المؤسسات متحصلة على شهادة الإيزو (iso).

3–أهمية المواصفات العالمية القياسية (ISO): إن تطبيق مواصفات الإيزو من طرف المؤسسات الخدمية أو الصناعية أدى إلى زيادة الطلب على منتجاتها مما يؤدي إلى زيادة ربحيتها وخلق سمعة جيدة لها في الأسواق إلى جانب تحسين علاقاتها مع المحيط الداخلي و الخارجي للمؤسسة وتكمن أهم المزايا حسب (بوعنان ، ن .2007: 28–30) في النقاط التالية :

1. الرفع من الكفاءة التشغيلية للمؤسسة من خلال تحسين عمليات التصنيع وزيادة إنتاجية العاملين.
2. تحسين الأداء في عملية صنع القرار من خلال تزويد الإدارة بما تحتاجه من معلومات لصنع القرارات السليمة بالاعتماد على المراجعات الداخلية والتوثيق السليم للبيانات.
3. إن عملية توصيف الوظائف ، تسمح للعاملين بالحصول على رؤية واضحة لأدوارهم وأهدافهم المطلوبة منهم مما يمكنهم من رفع إنتاجهم وتحسين نوعية أدائهم.
4. تطوير ثقافة الجودة في المؤسسة وخلق جو عمل أفضل وتقوية التعاون والاتصال بين مختلف العاملين

5. مساعدة العملاء في القدرة على الاختيار بين المؤسسات والمنتجات البديلة.
6. إعطاء الثقة للعميل بأن ما يحصل عليه من منتجات يستجيب للخصائص المطلوبة ، إضافة إلى زيادة الثقة في قدرات المؤسسة على الارتقاء بمستوى التزاماتها المتعلقة بالجودة.

رابعا : مكانة الاتصال ضمن ادارة الجودة الشاملة : يحجز الاتصال مكانة مرموقة في إدارة الجودة الشاملة ، ويعد من أهم متطلبات نجاحها ، وسنحاول إبراز هذه المكانة من خلال توضيح أساليب الاتصال ودوره في تغيير ثقافة المنظمة بالإضافة إلى أهميته في إدارة الجودة الشاملة ، وذلك من خلال النقاط التالية :

1- أساليب الاتصال في ظل إدارة الجودة الشاملة : هناك مجموعة من الأساليب الاتصالية التي تستخدمها المؤسسة في ظل تطبيقها لإدارة الجودة الشاملة ، بحيث تسمح هذه الأساليب في تفعيل هذه العملية وإنجاحها ومن بين هذه الأساليب والطرق نذكر :

1 -1- الاتصالات الفعالة بين العاملين :كثير من مرتكزات إدارة الجودة الشاملة تقوم على أساس الاتصالات الفعالة، والتركيز على العميل كأحد أهم المرتكزات ، أساسه الاتصالات الفعالة معه، وهذه تكون بداية للتميز في إدارة السيرورات اللازمة داخل المنظمة، وتعتبر فرق العمل وحلقات الجودة من الوسائل المستخدمة في الاتصالات, ولكن أساس هذه الاتصالات يرتكز على الاتصالات الأفقية أكثر من الأشكال الأخرى من الاتصالات، كما يعتبر نظام الاقتراحات أحد أقدم أساليب الاتصالات والذي أعيد تجديده من قبل بعض المنظمات،والفرق الأساسي بين النظام القديم للاقتراحات والنظام الجديد هو أن النظام القديم موصوف بأنه صندوق مملوء بالغبار أكثر من الأفكار، أما في النظام الجديد فإن الموظفين يعلمون أن اقتراحاتهم ستكون مثمنة ويتم تقييمها وتنفيذها بسرعة كبيرة واعتمادها في أخذ القرارات، فالشركات في الولايات المتحدة الأمريكية تحصل على حوالي 1.5 اقتراح تحسين من كل موظف في كل سنة (عبد العزيز ،س.1995:195)

وعلى سبيل المثال شركة ميلليكين Milliken التي فازت بجائزة مالكولم بالدريدج Malcolm Baldridge عام 1989 حصلت على معدل 52 اقتراحاً من كل موظف من موظفيها عام 1991, حيث كان لها سياسة 72/24أي أنه يتوجب الرد من طرف المشرف على الإقتراحات المقدمة خلال فترة زمنية لا تتعدى اليوم (24ساعة) ، كما يجب عليه تقديم خطة عمل الفكرة خلال ثمانية أيام (72ساعة).(جودة،م.2014: 140).

1-2- تكنولوجيات الاعلام والاتصال وتأثيراتها على إدارة الجودة الشاملة : تعرف تكنولوجيا الاعلام والاتصال بأنها " تلك الأدوات أو الوسائل أو الأجهزة التي تساعد على إنتاج المعلومات وتوزيعها وإسترجاعها وعرضها " (حمدي ،م وبوسعدية ،م وقرناني،ي.2011: 3) ،كما تتكون تكنولوجيا الاعلام والاتصال من مجموعة من الوسائل نذكر منها :

❖ **الهاتف** :لا يزال الهاتف الوسيلة الأكثر استخداما داخل المؤسسة ، وذلك يرجع لكونه يسمح بالتواصل والتفاعل بين الافراد بالرغم من الغياب الجسدي لهم ، كما يمكن استعمال الهاتف لبث بعض المعلومات والإرشادات داخل المؤسسة من خلال وضع ما يعرف بالرقم الإعلامي في متناول المستخدمين بشكل دائم (Souterain,J & Farcet,P.2007:233).

❖ **الانترنت** : وهي مجموعة ضخمة من شبكات الاتصال المرتبطة مع بعضها البعض ، وهذه المجموعة تنمو ذاتيا بقدر ما يضاف إليها من شبكات وحاسبات ، وقد أدى تغلغلها واتساعها الى وصفها بشبكة الشبكات ، وتستخدم هذه الشبكات الاتصالية مجموعة من التطبيقات والبرامج التي تساهم في زيادة كفاءة العمال وتحسين جودة إنتاجيتهم داخل المؤسسة ،ومن بين هذه التطبيقات نجد البريد الإلكتروني ، عقد الاجتماعات عن بعد (Teleconferencing) ،تبادل ونقل البرامج والملفات، تبادل الأراء والمعلومات بين مجموعة من المستفيدين ....الخ .(حمدي ،م وآخرون.2011: 49).

❖ **الانترانيت**: إن التكنولوجيات التى أفرزتها الانترنت تسمح بتطبيق الانترانيت intranet التي تلعب دورا هام في ربط مختلف وحدات المنظمة مع خلق وسط عمل جماعي قائم على التكامل والترابط الذي يسمح للموظفين بالعمل مع بعضهم البعض بروح الفريق في سبيل تحقيق الجودة والتميز في الاداء التنظيمي ، فالانترانيت تأخذ معنى مختلف بالنسبة للاشخاص الذين ينتمون الى المنظمة والذين يجمعهم هدف مشترك ، فهي عبارة عن شبكة معلوماتية محلية خاصة بمنظمة معينة تستعمل البروتوكولات والقواعد التي يبنى عليها الانترنت وذلك كي يمكن الافراد والعاملين من الاتصال ببعضهم البعض والوصول الى المعلومات بطريقة سريعة وأفضل وأكثر كفاءة من الأساليب التقليدية المعتادة . (لحمر ،ع .2009: 12)

❖ **البريد الإلكتروني** : رسائل البريد الإلكتروني غالبا ما تكون بديلا للاتصالات الصوتية، فإذا كانت إيجابية فإننا نتمكن من التواصل بشكل غير متزامن وسريع وإن كانت سلبية فإننا ننال الكثير من رسائل البريد الإلكتروني غير المجدية والتي تقلل من عملية نجاح فاعلية الرسالة التي نريد إيصالها الى المرسل . (Pries,k & M.Qugley,J.2013:160) .

و يلعب البريد الالكتروني دورا مهما في عملية ادارة الجودة الشاملة من خلال قيامه بعدة عمليات أهمها السرعة في نقل الأوامر والتعليمات من الادارة العليا وفرق عمل الجودة إلى الموظفين والعمال بمختلف مستوياتهم الوظيفية في المؤسسة ، مما يساهم في تحسين جودة الاداء وزيادة العملية الانتاجية ، بالإضافة إلى عملية الربط والتنسيق الآني بين مختلف الإدارات والأقسام حيث يعد من أهم الادوات المستخدمة في نقل المعلومات .

❖ **الإكسترانت** : هي نتيجة لتداخل كلا من الانترنت والانترانيت فهي شبكة انترانيت مفتوحة على المحيط الخارجي بالنسبة للمؤسسات المتعاونة معها والتي لها علاقة بطبيعة نشاطها ، فإذا كان الاتصال بين المنظمة وشركاء أعمالها مضمون بواسطة خطوط متخصصة تدعى الشبكة بإكسترانيت حقيقية ،أما إذا كان الاتصال بينهما مضمون بواسطة شبكة الانترنت العمومية تدعى شبكة اكسترانيت وهمية ، ويبقى الهدف المشترك بين

الاكسترانيت والانترنيت هو إدارة وتسهيل عملية الاتصال وسيران المعلومات داخل المنظمة وخارجها ، وبالتالي تكون هذه الشبكة أداة حقيقية في العمل على التحسين التدريجي المستمر للسلعة أو الخدمة عن طريق إستثمار الخبرات والبحوث المختلفة المنشورة على الشبكات ، والتي تستعمل عادة من أجل تخفيض تكلفة إدارة المشروع وتصميم المنتجات الخاصة بالمؤسسة (لحمر ،ع .2009: 13– 14).

ولتطبيق ناجح لنظام إدارة الجودة الشاملة لا بد من توفر نظام إتصال فعال يعتمد على التقنيات والأنظمة الإلكترونية الحديثة من أجل نقل وتبادل المعلومات المطلوبة وتوصيلها في الوقت المناسب ، كما لابد على المؤسسة أن تتبني مجموعة من وسائل الاعلام والاتصال الأخرى المناسبة للحصول على التغذية العكسية من المستفيدين والعاملين فيها، والتي تساعد على تحسين جودة السلع والخدمات داخلها.

1–3– المهارات الاتصالية :من حيث المهارات الاتصالية فالمطلوب تحسين هذه المهارات سواء على مستوى الرئيس أو المرؤوسين أو فرق العمل ، من خلال عملية التدريب أو غير ذلك من الوسائل المعروفة ، ومن أهم هذه المهارات: (جودة ، م .2014: 142-143)

1– مهارات القراءة : القارئ الجيد يقرأ ويستوعب مايقرأه بالشكل الصحيح وبدون الحاجة إلى إعادة ما تم قراءته ، كما أنه يقرأ الرسالة الاتصالية بدرجات مختلفة من السرعة ومن الاهتمام .

2– مهارات الكتابة : إن القيام بأداء المهام المتعلقة بإدارة الجودة الشاملة يتطلب إتقان الكتابة بأسلوب واضح ومفهوم ، وبشكل خالي من الأخطاء اللغوية والطباعية ، كماينبغي مراعاة المستوى التعليمي والثقافي للطرف المستقبل ، فالرسالة الموجهة إلى المدراء تختلف في أسلوبها عن الرسالة الموجهة إلى العمال .

3– مهارات الاتصال : هناك فرق بين الانصات والاستماع من حيث أن الاستماع يكون بدون تفرغ ولا تركيز ، أما الانصات فهو يتضمن الاستماع بتفرغ وبتركيز كبير ، ويمكن تحسين مهارات الانصات من خلال الابتعاد عن كل ما يشتت الانتباه ، وتتبع المجالات التي تهم المستقبل أثناء الحديث ، والحكم على المضمون لا على طريقة الكلام ،وكل هذا من شأنه الرفع من الأداء وتحسين جودة العمل.

4– مهارات التحدث : إن من الأفضل على المتحدث أن يركز على جوهر الموضوع أثناء الحديث وان لا يترك الامور تقوده الى مواضيع أخرى بعيدة عن الموضوع الأساسي .

وإجمالا يمكن القول بأن القائد الناجح في المؤسسة يجب عليه أن يتصف بدرجة عالية من القدرة على الاستجابة للمستجدات الطارئة نتيجة لإتقانه المهارات الاتصالية الأساسية ، وهذا النوع من القادة له دور أساسي في نجاح تطبيق ادارة الجودة الشاملة في المؤسسة .

1–4– حلقات الجودة كأداة إتصالية في نظام ادارة الجودة الشاملة : ظهرت فكرة حلقات الجودة لأول مرة في اليابان 1960 من قبل الدكتور كارو إيشكاوا KARU ISHIKAWAمن جامعة طوكيو ،وفي سنة 1962 تم تأسيس أول حلقات للجودة بشركة نيبون للتليفون والتلغراف اليبانية .

وتعرف حلقة الجودة حسب مؤسسها كارو إيشكاوا بأنها مجموعات صغيرة من العاملين منظمة داخل الورشة تقوم بمراقبة جودة العمليات داخل الورشة وكافة عمليات التحسين المتعلقة بها ، كما تعمل هذه المجموعات طواعية ويجتمعون بمحض ارادتهم ساعة في الاسبوع لمناقشة المشكلات وايجاد الحلول المناسبة ويتخذون الاجراءات التصحيحية لمواجهة الانحراف الحاصل بين المحقق فعلا والمخطط له. (جودة،م. 2014: 142-146).

إن مشروع حلقات الجودة مشروع تطوعي وليس إلزامي ، إلا أن هذا لا يمنع أن يكون لها هيكل تنظيمي رسمي داخل المؤسسة يتكون من مجموعة من الأفراد العاملين فيهاوذلك من أجل تحقيق أهدافها ،ويمكن لمؤسسة واحدة أن توجد بها العشرات أو المئات من حلقات الجودة وذلك حسب عدد عمالها وتعدد أقسامها الانتاجية ،ويمكن تلخيص أهمية حلقات الجودة في مايلي: (بومناد ، س.2014: 38).

- تحسين مهارات الفرد في حل المشكلات .
- توسيع مدى إدراك الفرد وزيادة إستعداده لمدى تقبل آراء الآخرين .
- النظرة الشمولية التي يكتسبها الفرد من خلال المشاركة مع أعضاء المجموعة .
- تفعيل الإتصالات بين الرؤساء والمرؤسين بعضهم ببعض .
- المساهمة في تغيير اتجاهات العاملين إلى أتجاهات أكثر إيجابية .

2- **الإتصال كقيمة ثابتة في ثقافة إدارة الجودة الشاملة** : يعتمد نجاح تطبيق إدارة الجودة الشاملة بشكل أساسي على خلق ثقافة تنظيمية جديدة تحتوي على مجموعة من القيم والمبادئ التي يمكن من خلالها تحقيق نهضة إنتاجية وخدماتية شاملة تتميز بالجودة والتحسين المستمر على كافة المستويات التنظيمية والإدارية داخل المؤسسة ، ولا يتأتى هذا إلا من خلال الإنتقال من مفهوم الإدارة التقليدية بما تحمله من قيم وعادات وسلوكات ترسخت عبر الزمن إلى قيم وعادات جديدة تفرضها بيئة إدارة الجودة الشاملة، وتعرف ثقافة الجودة الشاملة على "أنها القابليات التنظيمية والعادات والاعتقادات التي يمكن من خلالها تصميم وتسليم السلع والخدمات التي يمكن من خلالها أن نلبي حاجات ورغبات الزبون ، و بالتالي تحقيق النجاح على المدى البعيد" (Defeo,J. 2005 :4) وتحتوي ثقافة إدارة الجودة الشاملة على مجموعة من القيم والمبادئ المختلفة نذكر منها : قيم تتعلق بالنمو والنجاح ، قيم متعلقة بتنمية الأفراد ، قيم تتعلق بالسلوكيات الأخلاقية ، قيم تتعلق بالإتصال ، وهذه الأخيرة تعد من أهم القيم التي تقوم عليها ثقافة إدارة الجودة الشاملة ، حيث يتم من خلالها القيام بتزويد العاملين بالمعلومات والبيانات الصادقة والدقيقة ، كما يمكن الإعتماد عليها أيضا في الاستماع إلى آراء الآخرين وأفكارهم ، و يمكننا تحقيق كل هذا عن طريق : (توفيق ، ع . 2003 : 91-92)

- التأكيد على أن المسؤولية الرئيسية للمديرين هي تعزيز الاتصال أفقيا ورأسيا.
- تعليم وإطلاع العاملين بالمنظمة على خططنا المتعلقة بالمستقبل وكيفية تحقيقنا لأهدافنا .

- التشجيع والإعتراف وتقدير الأفراد الذين يعززون الاتصال الفعال .
- الأمانة وإطلاع الأخرين على ما تفكر فيه، بدلا من جعلهم يستمعون فقط لما تقول .
- الإقتناع بأن هناك وجهات نظر مختلفة بالنسبة للموضوعات المطروحة وهناك إختلافات في المنظور مما ينتج عنها آراء ووجهات نظر متباينة بالنسبة للموضوع الواحد .
- بناء فريق العمل ، والعمل معا بروح الفريق .

كما يعتبر الإتصال أيضا قيمة مهمة من القيم الستة لثقافة الجودة والتي حددها John A Woods كما يلي: (مصطفى،أ .1998: 100)

- القيمة الأولى : كلنا نعمل سويا شركاء ، المؤسسة والعملاء والموردون .
- القيمة الثانية : إنسانية العلاقات الرسمية بالعمل ، وتخفيف الرسميات بين الرؤساء والمرؤوسين .
- القيمة الثالثة : الإتصال الصادق المنفتح حيوي وضروري .
- القيمة الرابعة :لكل فرد فرصة الحصول عن كافة المعلومات .
- القيمة الخامسة :أهمية التركيز على العمليات .
- القيمة السادسة :ليس هناك نجاح وفشل ، وإنما خبرات التعلم

إن هذه القيم الستة لثقافة إدارة الجودة الشاملة يمكن أن تبنى عليها ثقافة ناجحة وفعالة للجودة ، نظرا لما يصاحبها من تغيير في الأفكار والسلوكيات ، وتعتبر قيمة الاتصال من أهم هذه القيم تأثيرا في سلوكيات وإتجاهات العمال والموظفين داخل المؤسسة ، وذلك من خلال عدة عناصر أبرزها وضوح الرسالة الاتصالية وأهدافها ومدى مطابقة هذه الرسالة لأهداف المؤسسة وإستراتجيتها العامة بالإضافة إلى ضرورة ترابط هذه القيمة مع القيم الاخرى للجودة من أجل تشكيل ثقافة متماسكة ووحدة تنظيمية مترابطة داخل المؤسسة .

3 – أهمية الاتصال الداخلي في مجال تحسين نظام إدارة الجودة الشاملة : تبرز أهمية الاتصال في إدارة الجودة الشاملة من خلال كونه عامل إستراتيجي وفعال في كافة مراحل العملية الإدارية : (مناصرية ،ر . 2012: 196-197).

- **التخطيط** : يعتبر الاتصال الوسيلة الأمثل التي تكفل تحديد الأهداف بالإضافة إلى التعرف الواقعي على الإحتياجات والإمكانيات ، كما يعد أداة فعالة في إعلان الخطة ومتابعتها .
- **التنظيم** : إن الاتصال هو العنصر الحيوي في فاعلية التنظيم ، حيث أن وجود قنوات واضحة للاتصال بين الافراد ، يؤدي الى فاعلية التنظيم في تحقيق أهدافه .
- **التوجيه** : للاتصال دور أساسي في نجاح مهام القادة وفي توافر الفاعلية للحوافز والتعرف على حاجات الأفراد ودوافعهم .

- **الرقابة** : يعد الاتصال روح العملية الرقابية في كشف الاخطاء والانحرافات وتوفير التوجيه المناسب لانجاح الاجراءات التصحيحية .
- **اتخاذ القرارات**:يمثل نظام الاتصال مجموعة من الاجراءات التي تكفل إستخدام البيانات اللازمة توفرها لاتخاذ قرارات سليمة وواضحة.

كما تبرز أهمية الاتصال في إدارة الجودة الشاملة على أنه العملية والأداة التي تسمح بتدفق العمليات اللازمة لعمليات التحسين المستمر وحل المشكلات التي تواجه العمليات التسييرية بالإضافة الى المساهمة في وضع الاقتراحات للخطط الاستراتجية الخاصة بالمؤسسة.

إن الاتصال الداخلي العالي الجودة هو من أهم متطلبات نجاح تطبيق إدارة الجودة الشاملة وأداة مهمة فيه، لذا يجب تجنيد الكفاءات البشرية ذات المهارات المتعلقة بالجوانب الادارية والمهنية وكفاءات التأثير والتفهم ومختلف الكفاءات الشخصية المناسبة للعمل لتحقيق تواصل سلس وناجح من جميع أطراف العمل ، إن الأساليب المختلفة للإتصال من شأنها المساهمة وبشكل فعال في زيادة تفعيل تطبيق إدارة الجودة الشاملة بالمؤسسات الاقتصادية وبالتالي تحقيق الأهداف التي تسعى اليها هذه المؤسسات.

خامسا : مكانة الاتصال ضمن مواصفات التقييس الدولي للجودة (ISO) : تتضمن معايير الإيزو مجموعة من الشروط يتوجب على المنظمة تطبيقها كاملة حتى تتحصل على شهادة الإيزو ، وتتعلق هذه الشروط بمختلف الوظائف القائمة في المنظمة والتي من بينها وظيفة الاتصال، وفيما يلي سوف نحاول إكتشاف المتطلبات والشروط التي تخص الإتصال، بحيث إقتصرت هذه الدراسة على المعايير التي لها علاقة مباشرة بالاتصال وهي كالتالي :

1 – مكانة الاتصال ضمن معايير تأكيد الجودة ومعايير مراجعة الجودة: إن سلسلة المواصفات القياسية الايزو 9000 تتألف من خمسة مواصفات أساسية هي : (محمد صالح ،إ .2013: 196)

- المواصفة ذات رقم الايزو 9000 : تتضمن إرشادات للاختبار والاستخدام وتتناول جميع الصناعات بما فيها المنتجات الجاهزة.
- المواصفة ذات رقم الايزو 9001 : تتضمن نموذج لتوكيد الجودة في التصميم والتطوير والإنتاج والفحص والاختبار والتركيب أو الخدمة وتشتمل على (20) عنصرا وتنطبق هذه المواصفات على كافة المنظمات التي يتضمن عملها التصميم والتطوير والإنتاج والتجهيز وخدمات ما بعد البيع.
- المواصفة ذات رقم الايزو 9002 : تتضمن نموذج لتوكيد الجودة في الإنتاج والتجهيز وتشمل(18) عنصرا ، أي إن هذه المواصفة تغطي كل المجالات السابقة ، عدا التصميم والتطوير وخدمات ما بعد البيع.
- المواصفة ذات الرقم الايزو 9003: تتضمن نموذج لتوكيد الجودة في عمليات الفحص والاختبار النهائي وتشتمل على (16) عنصرا ، وتعد هذه المواصفة من المواصفات المحدودة الاستخدام.
- المواصفة ذات الرقم الايزو 9004 : تتضمن نموذج لتوكيد الجودة في مجال توفير التوجيهات والإرشادات اللازمة لإدارة الجودة وتستخدم هذه الإرشادات لكافة الصناعات والخدمات .

إن الهدف من هذه الدراسة يكمن في تحديد مكانة الاتصال ضمن هذه المعايير، فبالنسبة للطبعة الأولى لمعايير ISO 9001 ، ISO 9002 و ISO9003 فلم يكن الإهتمام فيها سوى بعملية تدريب الموارد البشرية ، أما المواصفة ISO 9001 إصدار 2000 فقد إهتمت بتشجيع العمل الجماعي ، وذلك عن طريق دفع الإدارة لفسح المجال أمام العمال للمشاركة في عملية اتخاذ القرارات وتقديم الاقتراحات والحلول المناسبة للمشاكل الموجودة في المؤسسة ،كما دعت بأن تكون الادارة متفتحة ومسؤولة عن تقديم النصح والتوجيه لكل الافراد العاملين فيها ، إن هذه العمليات والمهام من شأنها رفع الروح المعنوية للعامل وبالتالي تحقيق الزيادة في إنتاجيته وتحسين آدائه.

إن هذه المواصفة لم تتطرق الى الاتصال بشكل مباشر وواضح، بل جعلت منه عنصرا مهم في عملية التدريب وتأهيل الموارد البشرية وأداة رئيسية تستخدمها الادارة في عملية تقديم الارشادات والنصائح للعمال داخل المنظمة كما هو الحال بالنسبة لمعيار الايزو 9004 الذي يهتم هو الآخر بتقديم الأرشادات والتوجيهات التي تسمح بالإستجابة لرغبات الزبون ، كما تركز إدارة الجودة الشاملة ومعايير الإيزو على ضرورة استثمار العنصر البشري بشكل جيد من خلال التأهيل والتدريب المستمر له،حيث ترى بأن العنصر البشري أهم مورد في المؤسسة ، فهو الذي سيطبق إدارة الجودة الشاملة ، ولايمكن تطبيق هذه الاخيرة بدون تدريب ، ويحتل الاتصال مكانة مهمة في عملية التدريب على إدارة الجودة الشاملة ،ومن المجالات الرئيسية للتدريب نجد : (مناصرية ،ر. 2014: 126-127)

- **التدريب لفهم وادراك الجودة الشاملة** : يتم التركيز في هذا النوع من التدريب على الاطار الفكري والفلسفي لإدارة الجودة الشاملة بإعتبارها مدخلا وفلسفة جديدة للنظام للإدارة في المؤسسة حيث يتضمن موضوعات جديدة تتمثل أساسا في الإطار المفاهيمي لإدارة الجودة الشاملة من خلال التركيز على مفهومها وأبعادها ومراحل تطورها بالإضافة الى أهميتها بالنسبة للمؤسسة والأفراد العاملين فيها. **التدريب على طرق التحسين** : ويشمل هذا النوع من التدريب على إستخدام تقنيات معينة تستخدم بواسطة الأفراد أو المجموعات للوصول الى نتائج محددة سلفا ، ومن هذه التقنيات نجد مخطط باريتو ، مخططات التدفق ، هيكل عظم السمكة.....الخ .
- **التدريب على مهارات الفريق** : ومن موضوعاته طرق ومهارات الاتصال والمهارات الاجتماعية ومهارات تسهيل إنجاز المسائل والموضوعات ومهارات اتخاذ القرار للفريق ، وهي موضوعات تكون موجهة لقادة الفرق والمنسقين ورؤساء على العمال.

أما بالنسبة لمواصفات تأكيد الجودة الإيزو 9001 اصدار 2008 : فهي مواصفة إدارية تنصب كلها على المنظومة الادارية للمؤسسات بكافة أنواعها وأحجامها ، صناعية كانت أم خدمية ، وهي مواصفة في النهاية تبحث عن كفاءة أداء المنظومة الادارية والتطور الذي تحققه ومواصفة ISO9001 نسخة 2008 ظهرت في

2008/11/15 حيث تلغي النسخة السابقة للايزو 9001.(مناصرية ، ر .2012: 195) ، ويمكن إبراز مكانة الاتصال فيها ضمن عنصر المسؤولية والصلاحية والاتصال حيث ترى هذه المواصفة بأنه يجب على الادارة العليا التأكد من أن عمليات الاتصال الموجودة داخل المنشأة قد تم إنشاؤها بشكل ملائم مع ادارة الجودة الشاملة، وان عملية الاتصال تشمل فعالية نظام إدارة الجودة ، كما أكدت على انه يجب على المؤسسة أن تحدد وتطبق ترتيبات فاعلة للاتصال بالزبون فيما يتعلق بالآتي : (المواصفة الدولية القياسية .2008: 5-8)

أ- معلومات المنتج .

ب- الطلبات وتداول العقود ،وأوامر التوريد متضمنة تعديلاتها .

ج- التغذية الراجعة من الزبون متضمنة شكاواه .

ويعتبر الإيزو 9001 إصدار 2008 أول نسخة من إصدارات سلسلة الايزو تنص صراحة على الاتصال كمطلب أساسي وضروري في عملية تطبيق إدارة الجودة الشاملة ، حيث كانت سابقا جل الاصدارات تعتبره كملحق مهم وأساسي في عملية تنمية وتدريب الموارد البشرية داخل المنظمة.

2- مواصفة إدارة شكاوى العملاء ISO 10002 : توفر هذه المواصفة الدولية دليلا إرشاديا حول تصميم منهجية ذات فاعلية وكفاءة لتناول الشكاوى الخاصة بكافة أنواع الانشطة التجارية وغير التجارية ، فالمعلومات التي يتم الحصول عليها أثناء عملية تناول الشكاوى من الممكن أن تساهم هذه الشكاوى في تحسين المنتجات وعمليات الإنتاج ويمكن أن تساهم أيضا في تعزيز سمعة المنشأة وصورتها لدى زبائنها والعاملين فيها على حد السواء (http://www.slideshare.net).

2-1- خصائص معيار إدارة شكاوى العملاء : هناك مجموعة من الخصائص يتميز بها معيار شكاوى العملاء ISO 10002 نلخصهافي النقاط التالية :

- تحقيق الكفاءة التشغيلية لتحديد اتجاهات وأسباب الشكاوى؛
- حل المزيد من الشكاوى من خلال تبني المزيد من المناهج المرتكزة على العميل؛
- إشراك الموظفين في فرص جديدة للتدريب على خدمة العملاء؛
- دمج معيار ISO 10002 مع معيار ISO 9001 لتحسين الكفاءة الكلية؛
- متابعة عملية تناول الشكاوى وتحسينها باستمرار (http://www.bsigroup.com).

ويعتبر هذا المعيار من أهم معايير الايزو التي تولي اهتمام كبير بالعلاقات الاتصالية مابين العميل والمؤسسة حيث تؤكد متطلباته على ضرورة الاهتمام بالشكاوى والاقتراحات المقدمة من طرف العملاء والموظفين ، بالاضافة إلى عملية تنمية وتدريب المورد البشري من أجل توفير خدمات أفضل للعميل الخارجي .

الإستنتاجات العامة للدراسة :من خلال هذه الدراسة توصلنا إلى مجموعة من النتائج نلخصها في النقاط التالية :

1. الإتصالات الفعالة هي أحد أهم المرتكزات التي تقوم عليها إدارة الجودة الشاملة في المؤسسة الاقتصادية ، كما أنها تعد أساس التميز والتحسين المستمر في العلاقات الوظيفية والادارية داخلها.
2. يعتبر فريق الجودة أحد أكثر الأساليب الاتصالية تأثيرا في عملية تحسين الجودة داخل المؤسسة الاقتصادية وأداة مهمة في حل المشكلات والعوائق المتعلقة بتطبيق نظام إدارة الجودة الشاملة في المؤسسة .
3. تلعب تكنولوجيات الاعلام والاتصال دورا بارزا في نظام إدارة الجودة الشاملة من خلال عملية حفظ المعلومات ونقلها وتبادلها بين الاقسام والوحدات الادارية المختلفة في المؤسسة وخارجها بطرق سريعة وآمنة
4. يعتبر الاتصال قيمة ثابتة من قيم ثقافة ادارة الجودة الشاملة ،وآداة مهمة في التغيير الثقافي للمنظمات حيث تسعى المؤسسة من خلال هذه القيمة إلى الربط بين مختلف القيم الاخرى وتنميتها وتطويرها .
5. يساهم الاتصال في تنمية وتدريب العنصر البشري في المؤسسة عن طريق جملة من الأساليب والطرق أبرزها أسلوب فريق العمل و أسلوب المشاركة عن طريق صندوق الاقتراحات ،بالإضافة إلى دعم المهارات الاتصالية .....الخ ، وذلك من أجل تطبيق ناجح وفعال لإدارة الجودة الشاملة .
6. تسمح العملية الاتصالية المطبقة في نظام إدارة الجودة الشاملة بتدفق العمليات اللازمة لعمليات التحسين المستمر وحل المشكلات التي تواجه العمليات التسييرية والتنظيمية داخل المؤسسة .
7. يعد الاتصال أداة مهمة في عملية تدريب الموارد البشرية في المؤسسة الاقتصادية ، ومطلب رئيسي فيها وفق معيار الايزو ISO 9001 إصدار 2000 ،كما إهتم هذا المعيار أيضا بعملية المشاركة وإتخاذ القرار لدى العاملين في المؤسسة .
8. تعتبر مواصفة الإيزو 9001 الصادرة 2008 ، من أبرز المواصفات التي نصت صراحة على تطبيق عنصر الإتصال كمطلب رئيسي في نظام إدارة الجودة الشاملة .

الخاتمة :

وخلاصة القول يمكن أن نستنتج في نهاية دراستنا هذه عدة نتائج قد تساعدنا على تحديد أهم النقاط التي تظمنتها كل من إدارة الجودة الشاملة و معايير المواصفات الدولية للجودة (iso)، والتي تختص بالإتصال كشرط ضروري ومهم لنجاح عملية إدارة الجودة الشاملة، لقد أكدت هذه الدراسة على أن المكانة التي يحظى بها الاتصال في الجودة الشاملة أكبر منها في معايير الإيزو، إذ أن إدارة الجودة الشاملة تهتم بتحقيق جودة الإتصال في مجموعة من الإجراءات الإدارية والتنظيمية الخاصة بالمؤسسة ، ولعل أهم هذه الإجراءات تتعلق أساسا بعمليات تحسين جودة التنظيم والتميز في التنسيق بين المصالح والإدارات المختلفة للمؤسسة بالإضافة إلى مساهمته في تنمية وتدريب العنصر البشري والتأثير فيه بمختلف الوسائل والإمكانيات الاتصالية من أجل تحقيق المؤسسة لأهدافها

الرئيسية ، بينما يكون الإتصال في معايير الإيزو عبارة عن مجموعة من المعايير التي يجب أن تطبقها المؤسسة على مختلف النشاطات والوظائف الموجودة داخلها ، ونجد في معظمها أن عنصر الاتصال لايكاد يظهر إلا نادرا وغالبا ما يكون ملحق أو عنصر تابع لمتطلب التدريب الخاص بالموارد البشرية ، وعلى الرغم من هذا فقد أعطت المواصفة الدولية للتقييس رقم 9001 الصادرة سنة 2008 أهمية ملموسة للاتصال داخل المؤسسة، وأعتبرته مطلب رئيسي وهام لتطبيق ناجح وفعال لإدارة الجودة الشاملة ، وضرورة لا بد من توفرها من أجل الحصول على هذه الشهادة ، وبذلك فإن الاتصال يتساوى في أهميته مع المتطلبات والشروط الأخرى الموجودة في معايير الإيزو (iso).

قائمة المراجع المعتمدة :

أولا : المراجع باللغة العربية

الكتب :

1-أبو نصر، مدحت محمد . (2007). ادارة الموارد البشرية الاتجاهات المعاصرة ، القاهرة .مجموعة النيل العربية، .

2- بلخيري، رضوان والجابري، سارة .(2013) . مدخل للاتصال والعلاقات العامة . ط1. الجزائر.دار جسور للنشر والتوزيع . الجزائر

3- بن الصديق ،عيسى .(2010). التسيير الاستراتيجي للموارد البشرية .الجزائر. د ن .

4 – جودة، محفوظ أحمد .(2014). إدارة الجودة الشاملة مفاهيم وتطبيقات . ط7. عمان . دار وائل للنشر والتوزيع

5 – حمدي، محمد الفاتح و بوسعدية ، مسعود وقرناني، ياسين . (2011) .تكنولوجيا الاتصال والإعلام الحديثة الإستخدام والتأثير .ط1. الجزائر ، مؤسسة كنوز الحكمة للنشر والتوزيع .

6- مأمون، الدرادكة والشبلي، طارق .(2002). الجودة في المنطومات الحديثة، عمان .دار صفاء للنشر و التوزيع

7- مجاهد ،جمال و شيبة ،شدوان والخليفي ،طارق. (2003). مدخل إلى الاتصال الجماهيري .مصر . دار المعرفة الجامعية .

8- محمود ،أبو بكر مصطفى و البريدي، عبد الله عبد الرحمان .(2008).الاتصال مدخل استراتيجي سلوكي لجودة العلاقات في الحياة والاعمال ، الاسكندرية. الدار الجامعية .

9-مصطفى ، أحمد سيد . (1998).إدارة الجودة الشاملة و إلإيزو 9000 دليل علمي ، مصر ،جامعة الزقازيق .

10-السلمي، علي.(1999). إدارة الجودة الشاملة ومتطلبات التأهل للأيزو،القاهرة ، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع .

11- العزاوي ، محمد عبد الوهاب . (2005) .إدارة الجودة الشاملة، الأردن. دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع.

12- عقيلي ، عمرو وصفي .(2000). المنهجية المتكاملة لادارة الجودة الشاملة ، ط1 ، عمان . دار وائل للنشر والتوزيع ،

13- الشافعي، حسين أحمد .(2006).معايير تطبيق ادارة الجودة الشاملة في المؤسسات الرياضية بالمجتمع العربي ، مصر .دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر .

14 - توفيق ،عبد الرحمان .(2003). الجودة الشاملة (الدليل المتكامل للمفاهيم والادوات) ، مصر ,مركز الخبرات للإدارة بميك

الرسائل والأطروحات :

1- بومناد، سيف الدين. (2014) . ممارسات ادارة الموارد البشرية ،رسالة ماجستير ، جامعة وهران .الجزائر .

2- بوعنان، نور الدين . (2007). جودة الخدمات وأثرها على الزبون ،رسالة ماجستير ، جامعة محمد بوضياف المسيلة .الجزائر.

3- بلقاضي ،الامين. (2011) . الاتصال الداخلي ودوره في تحقيق الفعالية التنظيمية داخل المؤسسة ، رسالة ماجستير ، جامعة الجزائر 2 ، الجزائر

4- جباري ، فادية.(2011). تأثير جودة الخدمة على رضا الزبون ، رسالة ماجستير ، جامعة أبو بكر بلقايد تلمسان الجزائر

5- موزاوي ، سامية.(2005). مكانة تسيير الموارد البشرية ضمن مهايير الإيزو و إدارة الجودة الشاملة .رسالة ماجستير جامعة الجزائر، الجزائر .

6- مناصرية ،رشيد .(2014)،الكفاءات البشرية أهميتها في تطبيق إدارة الجودة الشاملة في المؤسسة الاقتصادية ،أطروحة دكتوراه ، جامعة قاصدي مرباح ورقلة ، الجزائر

البحوث والدوريات :

1- لحمر ، عباس. (10-11 نوفمبر 2009) . تكنولوجيا الاعلام والاتصال ، المعرفة وتفعيل أدارة الجودة والتنافية في منظمات الأعمال ، الملتقى العلمي حول إستراتجيات التدريب في ظل إدارة الجودة الشاملة كمدخل لتحقيق الميزة التنافسية ، جامعة سعيدة.

2 - محمد صالح ، إسلام طالب .(2013) . دور تطبيق مواصفة الايزو 9000 في تحقيق ادارة الجودة الشاملة ، مجلة كلية بغداد للعلوم الإقتصادية ، العدد : 35 ، 189- 224.

3- مناصرية ، رشيد . (2012). أهمية الكفاءات البشرية في تطبيق إدارة الجودة الشاملة ، مجلة الباحث ، العدد :11، ص: 193 –203 .

ثانيا : المراجع باللغة الأجنبية :

Books

1-Cailley, Bernard.(1996). Politique de l'entreprise et performance économique, France . les éditions d'organisations.

2-Defeo , Joseph A . (2005) . The New Quality Culture" and What's Wrong With Yours? Retrieved in 13/09/2015 From the website: www. Asplongisland.org/*seminars/The*_New_Quality_Culture.*pdf*

3-Pries, Kim .H & M.Qugley, Jon.(2013).Total Quality management for project . London. crc press .

4-Souterain, Jean François & Farcet, Philippe .(2007). Organisation et gestion de l'entreprise. Alger .éditions Berti.

periodicals:

Debruyne,Michel. (Mars-Avril, 2002). La certification qualité selon les normes ISO , Revue des sciences de Gestion" Compétence et Management" , N°194,57-72.

مواقع الانترنت :

1- المواصفة القياسية الدولية ، ايزو 9001 ،(2008/11/15) ،نظم ادارة الجودة – المتطلبات - الاصدار الرابع - ،استرجعت في 2015/11/11 من الموقع الإلكتروني -*cucqae.cu.edu.eg/materials/ISO%209001-2008*

2- http://www.bsigroup.com/ar-AE/-ISO-10002, Retrieved in: 12 /10/2015.

3- http://www.slideshare.net/ssuser1cbb49/iso-10002-2004-arabic,Retrieved in:15 /10/2015.

تاريخ الاستلام: 2016/06/06- تاريخ التحكيم: 16/08/ 2016 -تاريخ النشر2016/12/30

مؤسسات النشر ودورها في إرساء قواعد مجتمع المعرفة
الديوان الوطني للمطبوعات الجامعية OPU "أنموذجا"

د.بونيف محمد لمين، أ. مرزقلال إبراهيم
جامعة محمد بوضياف بالمسيلة – الجزائر

❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁

الملخص :

ذكرت منظمة اليونيسكو في تقريرها السنوي لعام 2005 والذي يحمل عنوان "من مجتمع المعلومات الى مجتمع المعرفة"...لابد من التذكير أن الصحافيين والناشرين ومديري البرامج في الإذاعات والتلفزيون هم الوسطاء لحرية انتقال المعلومات والأفكار وضمانة لها، يمكن لهم إذن أن يكونوا فاعلين أساسين في ازدهار المجتمعات الحقيقية للمعرفة...

لذا فإن اليونيسكو تهتم بشكل خاص بهذه المهمة الملقاة على عاتقهم، هذه المسؤولية الخاصة تفرض عليهم المساهمة قدر ما يستطيعون في نشر مضامين جيدة المحتوى تعمل على فتح عقول الأفراد على الثقافة والمعرفة.

فمن المؤكد أنه كلما ازدادت أعداد النسخ الموزعة من كل مصدر معلومات، فإن هذا ينعكس بالطبع إيجابا على مسيرة التنمية في الوطن وبالتالي من مستوى الفرد العلمي والثقافي والمعرفي،إذ يعمل مختلف الناشرين الجزائريين على نشر وتسويق منتجاتهم العلمية بكل الطرق والوسائل المتوفرة خاصة التكنولوجية منها، وهذا مساهمة منها في دعم مسار توجه الجزائر نحو مجتمع المعرفة واندماجها في هذا الأخير.

وقد جاءت هذه الدراسة لتبين مدى مساهمة مؤسسات النشر الجزائرية في إرساء قواعد مجتمع المعرفة، وذلك من خلال العينة محل الدراسة إذ اخترنا الديوان الوطني للمطبوعات الجامعية باعتباره مؤسسة نشر لها تواجد متميز على الساحة الوطنية من خلال ما يقدمه من منشورات علمية تخص المجتمع الجامعي، وقد كانت الدراسة تحليلية لمنشورات الديوان الوطني.

الكلمات المفتاحية : مؤسسات النشر ، مجتمع المعلومات ، مجتمع المعرفة ، الديوان الوطني للمطبوعات الجامعية ، الجزائر

Abstract :

UNESCO said in its 2005 annual report, "From the information society to the knowledge society" ... journalists, editors and directors of radio and television programs are the true mediators of free movement information.

Therefore, UNESCO is particularly concerned about the task entrusted to them to contribute as much as possible in the dissemination of the content of these programs and also to the development of mind and individuals to culture and knowledge.

Certainly the number of copies distributed by each source of information has a positive impact on the country's development process.

Thus Algerian publishers have understood the importance of working on the publication and commercialization of science and technology product by all means available.

To contribute to the integration of Algeria in the knowledge society

The study demonstrated try the contribution of Algerian publishing institutions in creating a knowledge society, and through the sample in the study.

We chose the OPU characterized by these scientific publications on the national stage.

Keywords:Knowledge society , Information Society, Publishing houses , Office of academic publication.

مقدمة :

إن المعلومات أو المعرفة بصفة عامة كانت منذ الأزل بمثابة الحركية الفاعلة في تقدم الأمم والشعوب ، وكذلك في بناء معالم تاريخ كل أمة ، ولأن الإنسان يمتاز عن غيره من الكائنات الأخرى بالعقل الذي ميزه الله به ، ولاكتمال هذا الأخير – العقل – لا بد من ثقافة ومعرفة لتكوينه.حيث يعتبر الإنتاج الفكري والمعرفي للإنسان

وسيلة التعامل مع الآخرين فيؤثر فيهم ويتأثر بهم ، وبالتالي زيادة أكبر في الكم المعرفي والعلمي ، ومع تطور وازدهار الحياة البشرية ، كان لزاما له تطور آخر في مجال معرفته وعلومه بمختلف أنواعها ، ولعل من بين أهم العوامل التي أدت إلى ارتقاء أمم وتطورها ، وإبادة أمم أخرى وفنائها يرجع ذلك إلى تعاملها المعرفي وتطورها العلمي.

ولكي يحافظ الإنسان على وجوده كان عليه الإنتاج والإبداع، وحتى يقوم بذلك لابد أن يكتسب المعرفة للتواصل مع الآخرين، فيؤثر فيهم ويتأثر بهم وذلك من خلال تبادل المعارف والخبرات معهم، وكان تبادل المعلومات يعتمد في بدايته على المشافهة أو كما يصطلح عليها بالرسالة الشفوية، وبعد ذلك تطورت وسائل وتقنيات نقل وتبادل المعلومات مرورا بالرسالة المكتوبة من خلال الفاكس وحتى ساعي البريد ثم الرسالة المسموعة من الهاتف ووصولا الى الرسالة الالكترونية من خلال الشبكة العنكبوتية التي ألغت كل الحواجز الزمنية والجغرافية.

كل هذه الصفات يمتاز بها مجتمعنا الحالي وهو ما يصطلح عليه حاليا بمجتمع المعرفة أو مجتمع المعلومات، هذا الخير لها عدة أطراف فاعلة فيه سواء كان أفراد أو مؤسسات، ولعل من بين أهم المؤسسات التي لها دور بارز في مجتمع المعرفة نجد مؤسسات النشر لما لها من دور فعال في طبع ونشر الأوعية المعلوماتية في المجتمع، فمن المؤكد أنه كلما ازدادت أعداد النسخ الموزعة من كل مصدر معلومات، فإن هذا ينعكس بالطبع إيجابا على مسيرة التنمية في الوطن وبالتالي من مستوى الفرد العلمي والثقافي والمعرفي،إذ يعمل مختلف الناشرين الجزائريين على نشر وتسويق منتجاتهم العلمية بكل الطرق والوسائل المتوفرة خاصة التكنولوجية منها، وهذا مساهمة منها في دعم مسار توجه الجزائر نحو مجتمع المعرفة واندماجها في هذا الأخير.

وقد تناولنا في هذه الدراسة مدى مساهمة مؤسسات النشر الجزائرية في إرساء قواعد مجتمع المعرفة، وذلك من خلال العينة محل الدراسة إذ اخترنا الديوان الوطني للمطبوعات الجامعية باعتباره مؤسسة نشر لها تواجد متميز على الساحة الوطنية من خلال ما يقدمه من منشورات علمية تخص المجتمع الجامعي، بصفة خاصة والمجتمع الجزائري عامة وانطلاقا من هذا فقد حاولنا في هذه الدراسة الإجابة على التساؤل التالي: كيف يمكن لمؤسسات النشر أن تساهم في بناء مجتمع المعرفة؟ و ماهو دور الديوان الوطني للمطبوعات الجامعية في ذلك بما انه مؤسسة نشر لها تواجد متميز على الساحة الوطنية؟

1- مفهوم النشر:

1-1 المعنى اللغوي: جاء في قاموس " المحيط" للفيروز أبادي تحت مادة (ن ش ر) لكلمة نشر معاني كثيرة منها الريح الطيبة انتشار الورق ، إذاعة الخبر ...مشتقاته انتشر الخبر أنذاع و(المنشور) الرجل المنتشر الأمر ،وما كان غير مختوم من كتب السلطان . (الهجرسي ، س ، 2001 : 60) .

1-2 التعريف الاصطلاحي : كما عرفت دائرة المعارف البريطانية النشر بأنه " ذلك النشاط الذي يتضمن اختيار وتجهيز وتسويق المواد المطبوعة والوظائف المميزة للناشرين ، كما أنه اختبار وتحرير وإعداد المادة ونشرها وتنظيم إنتاجها وتوزيعها وتحمل المسؤولية المالية وكافة المسؤوليات الأخرى المرتبطة لها " (**وجدي ، م ، 1971 ، مج 10 : 196**).

كما يعرف بأنه " العملية التي بمقتضاها يتم توصيل الرسالة الفكرية التي يبدعها المؤلف إلى القراءة والنشر رسالة والمقصود هنا أن للناشر رسالة علمية أي عليه أن يبحث عن الأعمال الجيدة وأن يفكر في المشاريع العلمية والأعمال والمراجع ذات القيمة العلمية وأن يتقبلها وينشرها حتى ولو كانت غير مربحة أحيانا ". (مرزقلال، إ ، 2011: 71)

2- مفهوم "الناشر"مؤسسات النشر :

هو الشخص أو الهيئة الذي يحصل من المؤلف على الكتاب ويؤجره على مادته العلمية ،ويدفع به إلى الرسام أو المصمم إن كان الكتاب في حاجة إلى تصميمات ورسومات ويؤجره هو الآخر على عمله ثم يدفع بالعمل إلى المطبعة ويتفق معها على طبع عدد معين من النسخ لهذا العمل ويقدم لها تكاليف الطباعة وحيث تصبح هذه النسخ ملكا له يتسلمها ويدفع بها إلى منافذ التسويق المختلفة "تجارة الجملة تجارة التجزئة ، نوادي الكتب ، الاشتراكات "....ويحصل الناشر من هذه المنافذ على أثمان النسخ التي يبيعها لهم بهد ترك هامش الربح المتفق عليه لهم . (خليفة ، ش، 1998: 76)

وللنشر نوعان أساسيان النشر التجاري والنشر غير التجاري. كما أن للنشر وظائف في جميع المجالات والمستويات أهمها:

- المجال الاقتصادي : إن كل نشاط اقتصادي في الجزائر كان يسري بترياق النظام الاشتراكي ،إذ كان كل تحرك في يد الدولة فالكتاب كان مدعم والمؤلف في الجزائر يدفع له مالا يدفع للمؤلف في الحالة العادية وهذا ما دعا إلى ضرورة التحول من النظام الاشتراكي إلى نظام اقتصاد السوق ، فدور النشر الحكومية تستطيع المقاومة كالمؤسسة الوطنية للكتاب خاصة في ظل ما فرضه صندوق النقد الدولي وتتعلق بقوانين النقد والقرض والتمويل المالي للدولة عن طريق مؤسسات النشر وتأسيسها لأن هذا سيدر الكثير من المال لخزينة الدولة .
- المجال الاجتماعي : يقال أن شعب يقرأ شعب لايجوع ولا يستعبد ، وبعد كل المحاولات التي قام بها الجزائريون فيما يخص القضاء على الأمية وزرع التعليم والمعرفة عن طريق النشر وكثرة الأوعية الفكرية وتنوعها لغرس عادات القراءة في أوساط أفراد المجتمع ،وبالفعل استطاعت الجزائر رغم العراقيل التي كانت تواجهها النهوض بالنشر وزرعه في المجتمع الجزائري .
- المجال الثقافي : إن النشر يعتبر حلقة ربط بين المؤلف والقارئ إذ يربط بين عرض المؤلفين ورغبات القراء من أجل إبراز الأفكار وآراء صادرة عن كتاب ومؤلفين للتعبير عن بيئة ثقافية تقدم على شكل إنتاج فكري قصد إيصاله إلى جمهور القراء لتلبية حاجياتهم لخدمة الثقافة بمفهومها الواسع.

3- من مجتمع المعلومات الى مجتمع المعرفة:

نجد في الغالب خلطاً عند بعض الناس، بين مصطلحين حديثين هما مجتمع المعلومات (Information Society)، ومجتمع المعرفة(Knowledge Society) ، وفي بعض الأحيان يعتبرونهما وجهين لعملة واحدة، ولكن الواقع خلاف ذلك، بل إن هنالك اختلافا بينهما؛فمجتمع المعلومات مبني على التعاملات

الإلكترونية، وأن هذه التعاملات "تعد من أحد أهم الأدوات التي تشارك في بناء مجتمع المعلومات، فيمكن وصفها بأنها استخدام تكنولوجيا المعلومات والاتصالات في دعم كافة أنشطة الأعمال، التي تمس جميع شرائح المجتمع"، إذن يركز هذا المجتمع أكثر على ترابط شبكات الاتصالات والوصول بينهاConnectivity، ويتيح للمعلومات سرعة التداول بسهولة تامة.و المعلومات هنا سلعة أو بضاعة، أي مقتنيات، وأن التعاملات الإلكترونية تقنيات تقوم على إدارة هذه المقتنيات، بذلك يتكون لدينا المجتمع التقني "مجتمع المعلومات" ولا يتجاوز ذلك الترابط والاتصال إلى التركيز على محتوى شبكات الاتصال. لأن المحتوى هو ما يقوم عليه مجتمع المعرفة. (الفته ، م ، 2009)

أما مجتمع المعرفة هو مجموعة من الناس ذوي الاهتمامات المتقاربة، الذين يحاولون الاستفادة من تجميع معرفتهم سويا بشأن المجالات التي يهتمون بها، وخلال هذه العملية يضيفون المزيد إلى هذه المعرفة، وهكذا فإن المعرفة هي الناتج العقلي والمجدي لعمليات الإدراك والتعلم والتفكير.وقد صدر تقرير لمنظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة اليونسكو في عام 2005 بعنوان (من مجتمع المعلومات إلى مجتمع المعرفة)، وقد ورد فيه تحت عنوان: (لا يمكن اختزال مجتمعات المعرفة إلى مجتمع معلومات):

لا ينبغي لبروز مجتمع عالمي للمعلومات، باعتباره ثمرة لثورة التكنولوجيات الجديدة، أن ينسينا أنه لا يصلح إلا وسيلة لتحقيق مجتمع حقيقي للمعرفة، فازدهار الشبكات لا يمكن له وحده، أن يقيم قواعد المعرفة. لأنه إذا كانت المعلومات فعلا وسيلة للمعرفة، فليست هي المعرفة. على الرغم من ظهور هذا المصطلح منذ ثلاثيين عاما. (بيـــزان ، ا ، 2012: 31)

فإذا ما أردنا بناء مجتمع المعرفة "مجتمع التعلم "Learning society ينبغي اعتبار أربعة مبادئ رئيسة في عملية البناء وهي:

- المساواة في الأحقية في الحصول على التعليم وتيسيره.
- حرية التعبير.
- توفر المحتوى ووجود قطاع للمعلومات قومي ووطني.
- المحافظة على التعدد الثقافي واللغوي، وتنميتهما.

وكحوصلة لما تم ذكره يمكن اعتبار المعرفة في مجتمع المعرفة قيمة مضافة للفرد والمجتمع، وأن هذه القيمة هي المسؤولة عن تحسين نوعية الحياة، والعيش في تقدم مستمر، وهذا الفرق بين مجتمع المعلومات ومجتمع المعرفة يرجع في جوهره للفرق الموجود بين المعلومات والمعرفة إذا يرى أكسفورد أن المعرفة هي عملية تمثيل للحقائق فالمعرفة أمر شخصي بالنسبة للإنسان فهي تتجسد في شخصيته يستعملها فهي مسألة شخصية خصوصية أما المعلومات فهي على العكس من ذلك عامة و يمكن الحصول عليها.المعلومة أكثر أساسية من المعرفة لكنها ليست أكثر منها

أهمية، أي بلا معلومة يستحيل تصور معرفة لكن العكس بلا معرفة يمكن تصور معلومة .المعرفة = المعلومات+المحاكمة العقلية.

إنّ مجتمع المعرفة لا يقتصر على إنتاج المعلومة وتداولها، وإنما يحتاج إلى ثقافة تقيّم وتحترم من ينتج هذه المعلومة ويستغلها في المجال الصحيح، مما يتطلب إيجاد محيط ثقافي واجتماعي وسياسي يؤمن بالمعرفة ودورها في الحياة اليومية للمجتمع .

4- الجزائر ومجتمع المعرفة:

بعد استقلال الجزائر كانت تعاني من تخلف ونقص على جميع الجوانب وأهمها عجز في ميدان التعليم والتكوين المهني ومحو الأمية فتولدت رغبة لدى أفراد المجتمع الجزائري لاكتساب العلم والمعرفة وهذا راجع إلى الاستقرار بعد الاستقلال ، هذه الرغبة فرضت وألحت على الدولة الجزائرية أن تأخذ بعين الاعتبار هذا المطلب الشرعي ، بالإضافة إلى أن الطبقة المثقفة والعليا في البلاد كانت على وعي تام بأهمية التربية والتعليم والتكوين وهذا ما سيؤدي بها إلى التعجيل بالرقي والتطور الاقتصادي والاجتماعي ولخدمة سياسة الجزائر بالدرجة الأولى .

إن القطيعة مع الاستعمار الفرنسي كانت شاملة ، لهذا فإنه من غير المنطقي الاستمرار في تدريس الكتاب الأجنبي في المدارس الجزائرية خاصة وأن قيم وأخلاق المجتمع الفرنسي تتعارض مع قيم المجتمع الجزائري وبعد إجبارية التعليم في الجزائر ومجانيته كان الشكل المنطقي والمناسب لنظام مجانية التعليم والرغبة الشديدة للحفاظ على الشخصية الوطنية وهو إنشاء صناعة وطنية عمومية للنشر والتوزيع والإعلام والطبع ...فتم فعلا إنشاء المعهد الوطني البيداغوجي والشركة الوطنية للنشر والتوزيع وديوان المطبوعات الجامعية...الخ .(شرقي ، ف ،1997 :77).

وقد حاولت الجزائر الاندماج في مجتمع المعرفة من خلال عدة مشاريع وسياسات تهدف الى مواكبة التطورات الحاصلة في العالم، وذلك من خلال مجانية التعليم والقضاء على الأمية وأيضا مشروع – حاسوب لكل أسرة- ناهيك على سياسة الجزائر في تطوير بنيتها التحتية لتكنولوجيات الإعلام والاتصال.

5- مؤسسات النشر ومدى مساهمتها في مجتمع المعرفة:

إن الحديث عن أوعية المعلومات حديث مهم وشيق , كيف لا وهذه الأخيرة هي وعاء الثقافة والفكر المستقر وهي خزانة المعارف الإنسانية ومستودع التجارب البشرية المتراكمة يحفظها السلف للخلف كي ينطلق الخلف منها ويبني عليها

إن نشر وتسويق هذه الأوعية في الدول المتقدمة يلقى اهتماما كبيرا ، خاصة لما تأثير النشر ورواج أوعية المعلومات بين مختلف فئات المجتمع ، وهذا ينعكس طبعا على مستوى التنمية والرقي الثقافي لأفراد المجتمع، خاصة ونحن في معترك عالم المعرفة ، وأصبح من لايملك المعلومات لاحق له في البقاء ، وبمفارقة بسيطة نجد إن أهم المؤسسات إن لم نقل أولها اهتماما بأوعية المعلومات هي " دور النشر" لما لها من أسبقية في نشر وتسويق المعرفة ، وكغيرها من دور النشر العالمية تسعى دور النشر الجزائرية جاهدة في محاولة منها لنشر أكبر عدد ممكن من أوعية المعلومات بمختلف الطرق وشتى الوسائل ، فمن المؤكد أنه كلما ازدادت أعداد النسخ الموزعة من كل وعاء معلوماتي ، فإن

هذا ينعكس إيجابا على مسيرة التنمية في الوطن وبالتالي على مستوى الفرد العلمي والثقافي والمعرفي ، وهذا ما يجعلنا نلج مجتمع المعرفة ،أو على الأقل محاولة الاندماج. وبالتالي مسايرة التطورات الهائلة في مجتمع كوني لايؤمن إلا بالأقوى – الأقوى معلوماتيا طبعا .(معمري، خ : 2012).

لذا فإن عملية النشر في الجزائر تلقى اهتماما كبيرا من طرف الدولة وذلك من دعم حركية النشر خاصة الكتاب التعليمي "المدرسي والجامعي". وهنا تجدر الإشارة إلا انه من المفروض أن تكون علاقة الناشر بالكتاب علاقة ثقافة لا تجارة فالكتاب ينظر له كمجرد سلعة تباع وتشترى وليس كوسيلة تعليمة وتربوية، وهذه الوضعية قد لا يكون الناشر دائما هو المتسبب فيها إنما هي نتاج للوضعية العامة للكتاب في الجزائر، وهناك من يرجع ذلك الى عدم وجود قانون لحماية الناشر وهو ما يخلق نوعا من حركة الفوضى في سوق النشر الجزائري والتي تنعكس على واقع الكتاب في صورتين:

الأولى: إهمال الناشرين لبعض الميادين الهامة والمفيدة في الرفع من مستويات القراءة ومنها كتاب الطفل الذي يعاني من حالة الاكتراث سواء على مستوى الصناعة أي ما تعلق بالشكل والإخراج وطبيعة الخط والصور أو على مستوى المضمون من خلال اختيار اللغة والرموز والجوانب الجمالية المتوافقة مع سن الطفل ومستواه. وأيضا هناك نوع آخر من الكتاب الذي يكاد يكون منعدما في مكتباتنا ألا وهو الكتاب المتخصص وهو الموجه أساسا لشريحة معينة من القراء وهنا تتبدى مسؤولية الديوان الوطني للمطبوعات الجامعية الذي تدعمه الدولة لنشر الكتاب المتخصص، وبملاحظة بسيطة يسجل هذا الإهمال في ظل تزايد الاهتمام بالكتاب الديني على سبيل المثال الذي يحتل نسبا متقدمة من منتج دور النشر والمكتبات ويمكن التوقف عند هذه الحقيقة عبر المعارض الوطنية أو الدولية للكتاب والتي يزيد فيها الإقبال على الكتاب الديني دونا عن غيره من الكتب الأخرى الأمر الذي يشكل سوقا استهلاكية في الجزائر تفرض منطقها على المؤلف والناشر على حد سواء.

الثانية: المناسباتية في عمل بعض من دور النشر حيث يتزامن في مرات عديدة إنتاجها مع إقامة الاحتفاليات والتظاهرات الثقافية الأمر الذي يصل في بعض الأحيان لحد ولادة دور نشر وهمية تعمل بشكل موسمي.

كل هذه الإشكاليات جعلت من دور النشر الجزائرية مجرد مؤسسات تجارية تسعى وراء الربح لاغير، هذا من شانه أن يؤثر على توجه الجائر نحو الاندماج في مجتمع المعرفة. (الديوان الوطني للمطبوعات الجامعية : 2015).

6- الديوان الوطني للمطبوعات الجامعية OPU"الجزائر"– نموذجا–:

يعتبر الديوان بمثابة مؤسسة نشر لها تواجد على الساحة الوطنية خاصة المجتمع الجامعي منذ 1975، فمعظم المنشورات التي يصدرها الديوان تخص المجتمع الجامعي. إن جملة المهام والخدمات المقدمة من طرف ديوان المطبوعات الجامعية تقدم في إطار احترام مبدأ الخدمة العمومية من أجل تحسين نوعية العمل البيداغوجي وانطلاقا من بنية الأسعار التي تسمح للأسرة الجامعية من الاستفادة منها.

- ومن خلال ذلك فإن ديوان المطبوعات الجامعية مكلف بـ:

- نشر وطبع المطبوعات والمؤلفات والمجلات والوثائق وكل الركائز التربوية والتعليمية لصالح المؤسسات الجامعية وبأسعار جد مدروسة وفي متناول كل الطبقات الاجتماعية في الوسط الجامعي.
- تطوير وتوسيع شبكة التوزيع بفتح المزيد من المكتبات ونقاط البيع في وسط الحرم الجامعي.
- شراء حقوق إعادة طبع المؤلفات ذات الأهمية البالغة للأسرة الجامعية من أجل ضمان تطوره وتحسين مستوى ونوعية الأساتذة وبالأخص استحداث المعارف .
- نشر مجموعة من أهم المحاضرات التي تتيح قدرة استيعاب أكبر لا سيما في الفروع التي تعرف اكتظاظ في صفوف الطلبة.
- ترويج العناوين على التخصصات والفروع النادرة أو قليلة التزويد بالطبعات دون التأثير على أسعار البيع .
- المشاركة في تثمين نتائج البحث بترقية ونشر وتوزيع أعمال بحوث مخابر ووحدات ومراكز البحث الوطنية .

نشر وتوزيع المؤلفات لتعميم المعارف العلمية.

6-1 **إجراءات النشر داخل الديوان:** يحق لكل أساتذة الجامعات والمراكز الجامعية والمدارس والمعاهد ومخابر ومراكز البحث العلمي أن تقوم بالنشر داخل الديوان، إذ يقوم الديوان الوطني بنشر كل أعمال المؤلفين الذين يشاركون في تحسين مستوى التعليم العالي والذين تتطابق مواضيعهم مع المحتوى البيداغوجي للتعليم العالي والبحث العلمي الجزائري .

6-2- **طريقة النشر في ديوان المطبوعات الجامعية** : تقدم الأعمال إلى ديوان المطبوعات الجامعية على شكل ملف معلوماتي مرفق بسحب تجريبي للمراقبة ومؤشر من طرف لجنة علمية للجامعة التي ينتمي إليها المؤلف في انتظار تشكيل لجنة علمية للديوان،خلافا لأعمال أساتذة الدولة (الحائزين على درجة أستاذ دولة) التي تنشر على طبيعتها، فان الأعمال المقدمة من باقي الأساتذة تخضع لرأي المجلس العلمي للمؤسسة الجامعية التي يتبعون لها. يجب أن تكون أعمال الأساتذة المتقاعدين وغيرهم مطابقة للمواد المدرسة وأن تخضع لرأي المجلس الاستشاري المناسب. (الديوان الوطني للمطبوعات الجامعية، دليل : 2008).

6-3- **شبكة التوزيع في الديوان:** يحتوي الديوان الوطني للمطبوعات الجامعية على شبكة توزيع تشمل كافة القطر الوطني قدرت بحوالي 45 نقطة بيع أهمها المراكز الجهوية الثلاثة – الجزائر- قسنطينة –وهران .

6-4- **نشاط الديوان الوطني للمطبوعات الجامعية:**

لقد سجل ديوان المطبوعات الجامعية ككل سنة حضوره في كل التظاهرات الوطنية الكبرى ناهيك عن التظاهرات الدولية:

- المشاركة في الصالون الحادي عشر للكتاب في الجزائر : حيث نال جائزة أحسن ناشر علمي .
- المشاركة في المعارض الجهوية : تنظم هذه التظاهرات الجهوية في وسط الحرم الجامعي من خلال معارض تراعي محاورها الفروع المدرسة. ولقد أحصينا 20 معرضا منها ما نظم في الشرق وفي الوسط وفي الغرب .

- المشاركة على الصعيد الدولي والاقليمي : لقد شارك ديوان المطبوعات الجامعية في صالونات : باريس، الدار البيضاء، تونس والقاهرة.

6-5- دراسة منشورات الديوان من سنة 2007إلى غاية 2010:

يقوم الديوان الوطني بنشر للكتب الجديدة وأيضا إعادة طبع الكتب، وذلك وفق برنامج يعد سلفا حسب مدير الديوان، ويقوم الديوان بطرح منشوراته حسب التصنيف المعتمد داخل الديوان على النحو التالي:

0- عموميات

0.01 قواميس

0.02 موسوعات

0.03 مجلات عامة

1- العلوم الدقيقة، علوم الأرض والطبيعة

1.00 عموميات

1.01 رياضيات

1.02 فيزياء

1.03 كيمياء

1.04 بيولوجيا

1.05 جيولوجيا

1.06 جغرافيا

2- تكنولوجيا

2.00 عموميات

2.01 فلاحة

2.02 ري

2.03 هندسة مدنية

2.04 هندسة معمارية

2.05 ميكانيك

2.06 إلكتروتكنيك

2.07 إلكترونيك

2.08 إعلام آلي

2.09 مناجم

2.10 كيمياء صناعية

2.11 اتصال لاسلكي

2.12 هندسة نووية

2.13 ضوء

3- علوم طبية

3.00 عموميات

3.01 طب

3.02 جراحة أسنان

3.03صيدلة

3.04 بيطرة

4- علوم اجتماعية

4.00 عموميات

4.01 علوم اقتصادية

4.02 علوم قانونية وإدارية

4.03 علم الاجتماع

4.04 علوم الإعلام والاتصال

4.05 علوم سياسية وعلاقات دولية

4.06 التربية وعلم النفس

4.07 تاريخ

4.08 فلسفة

4.09 أدب عربي

4.10 لغات وآداب أجنبية

4.11 ترجمة

4.12 علم الآثار

4.13 تربية بدنية ورياضية

4.14 اقتصاد المكتبات

4.15 فنون، موسيقى، سمعي- بصري

4.16 علوم إسلامية

عدد منشورات الديوان حسب السنوات:

- سنة 2007: يتصدر برنامج النشر لسنة 2007 سياسة النشر لديوان المطبوعات الجامعية والتي تسعى إلى تلبية احتياجات الأسرة الجامعية، من خلال برنامج نشر هام لإعادة الطبع من جهة ومن أجل تشجيع نشر المؤلفات الجديدة .

وعليه، فإنه تم طبع 260 عنوان يغطي أهم التخصصات (علوم اجتماعية، علوم دقيقة، علوم البيولوجيا والطب) حيث تمثل نسبة إعادة الطبع فيه 77 % أي ما يقارب 200 عنوان وتبقى نسبة 23 % تمثل العناوين الجديدة حوالي 60 عنوان والتي يمكن أن تعرف زيادة تدريجية حسب تصديق اللجنة العلمية واستلام أعمال جديدة .

- سنة 2008: أما في سنة 2008 فقد تم نشر ما يقارب 290 كتاب
- سنة 2009: وفي هذه السنة تم نشر أكثر من 337 كتاب، كان للعلوم الاجتماعية حظ الأسد منها. (الديوان الوطني للمطبوعات الجامعية، دليل : 2009).
- سنة 2010: في إطار تقريب الكتاب إلى الطالب والباحث الجامعي وهواة المطالعة، قرر ديوان المطبوعات الجامعية ضمن مخططه الإنتاجي لسنة 2010 طبع أكثر من 200 عنوان جديد وإعادة طبع أكثر من 150 عنوانا في شتى التخصصات العلمية الأخرى.

جدول يوضح نشر الكتب حسب السنوات:

السنة	2007	2008	2009	2010
طبع جديدة	60	80	107	200
إعادة الطبع	200	210	230	150
المجموع	260	290	337	350

يتضح لنا من خلال الجدول المبين أعلاه، والذي يمثل سنوات النشر بالنسبة للديوان الوطني فإن الملاحظ إن الديوان عادة ما يقوم بإعادة طبع كتب طبعت من قبل وهذا خلال سنوات 2007-2008-2009 مع ارتفاع طفيف للكتب الجديدة عام2009.

بينما في سنة 2010 ولأول مرة فاقت عدد الكتب المطبوعة الحديثة والجديدة عدد الكتب التي تم إعادة طبعها، هذا ما يفسر المجهودات المبذولة من طرف الديوان الوطني للمطبوعات الجامعية، في سبيل النهوض بقطاع النشر في الجزائر.

أما في ما يخص التشتت الموضوعي وحسب المعلومات والبيانات المنتقاة من الادلة التي يصدرها الديوان، فإن النشر حسب التخصصات جاء على النحو التالي:

1- العلوم الاجتماعية.
2- العلوم الدقيقة والعلوم الطبيعية.
3- العلوم التكنولوجية.

4- عموميات.

خاتمة:

انطلاقا مما تقدم ولكي تكون الجزائر ضمن أسرة مجتمع المعرفة ولغرض مواكبة التقدم في مجال المعلومات ولاتصالات واللحاق بركب الدول التي حققت قفزات كبرى في هذا المجال ينبغي إعطاء أهمية أكبر للوعي بقيمة المعلومات لدى الفرد والجماعة والاهتمام بإدخال تقنيات المعلومات في مؤسساتنا ومراكزنا العلمية والبحثية . على اعتبارها بأنها تمثل أهم عناصر الإنتاج في الوقت الحاضر، ولا بد من إدراك الفوائد التي يترتب عليها استخدام تقنيات المعلومات والاتصالات .إذ يتمثل الاستخدام الأمثل للمعلومات عبر شبكة ونظم المعلومات الحديثة والمتطورة إلى تخفيضات كبيرة في كلفة العديد من الخدمات التي تقدمها إليهم في مختلف المجالات التعليمية و الصحية والثقافية والرعاية الاجتماعية وغيرها، وأيضا إعطاء الأولوية للمؤسسات التي لها دور فعال وبارز في عالم المعرفة، لأنه ليس من السهل الولوج الى عالم المعرفة دون بنية هيكلية ومؤسساتية قوية، وتعتبر مؤسسات النشر بشتى أنواعها وفي مختلف صورها عنصرا فعالا في طريق الجزائر لمواكبة التطورات الحاصلة ومحاولة اللحاق بالركب.

وقد حاولنا في هذه الدراسة تسليط الضوء على واحدة من أهم مؤسسات النشر الجزائرية التي لها تواجد على الساحة الوطنية، وقد بينا مدى مساهمتها في سبيل تيسر المعرفة للمجتمع الجامعي وبالتالي زيادة في الكم المعرفي لمختلف فئات المجتمع الجامعي، وهذا من شأنه أن ينعكس على المجتمع الجزائري بصفة عامة.

إن توجه الجزائر نحو الاندماج في مجتمع المعرفة لن يكون إلا من خلال تكاثف المجهودات كل في مجاله، سواء أفراد أو مؤسسات في القطاع العام او القطاع الخاص لذا وجب الالتفات الى هذه المؤسسات لما لها من دور جلي في نشر وتسويق المعرفة وإيصالها الى مستحقيها، وفي المقابل على هذه المؤسسات ان تتخذ النشر كثقافة لا كتجارة، وعليها تكوين الكوادر البشرية التي تشرف عليها حتى يتسنى لها فرض نفسها على الساحة الوطنية ولما لا الدولية.

قائمة المراجـــــــــع :

الكتب :

- الهجرسي،سعد محمد .(2001) .الاتصالات والمعلومات والتطبيقات التكنولوجية .مصر . الإسكندرية :دار الثقافة و النشر.
- خليفة ، شعبان عبد العزيز. (1998) .النشر الحديث ومؤسساته . مصر .القاهرة : دار الثقافة العلمية
- وجدي ، محمد فريد .(1971). دائرة معارف القرن العشرين (ط3).مج 10 . لبنان. بيروت :دار المعرفة

مقالات منشورة على الانترنت :

- الفته ، ماجد . (10.01.2009). مجتمع المعلومات ومجتمع المعرفة. استرجعت بتاريخ : 2015/09/20 من الموقع الالكتروني :

http://www.mohyssin.com/forum/showthread.php?t=678

- بيزان ، حنان الصادق. (2012) . هوية التخصص في مفترق الطرق ، ما بين العلوم الانسانية والبحتة التطبيقية .استرجعت بتاريخ : 2015/09/20 من الموقع الالكتروني :

http://www.journal.cybrarians.org/

- معمري، خالد. (2012/09/28) . المقروئية في الجزائر. استرجعت بتاريخ : 2015/09/21 من الموقع الالكتروني http://www.thakafamag.com/index.php?option=com_content&view

رسائل جامعية :

- شرقي ، فتيحة .(1997) . نشر كتب الأطفال في الجزائر : دراسة وصفية تحليلية لدور النشر ، مذكرة ماجستير: علم المكتبات. جامعة منتوري قسنطينة، غير منشورة .
- مرزقلال، إبراهيم . (2011).إستراتيجية التسويق الالكتروني للكتاب في الجزائر: دراسة تقييميه لمواقع الناشرين الجزائريين، مذكرة ماجستير: علم المكتبات. جامعة منتوري قسنطينة، غير منشورة .

أدلـــــــــــة :

- الديوان الوطني للمطبوعات الجامعية. (2008) .دليل
- الديوان الوطني للمطبوعات الجامعية. (2009) .دليل
- الديوان الوطني للمطبوعات الجامعية.(2015/09/21) استرجعت بتاريخ : 2015/09/21 من الموقع الالكتروني : http://www.opu-dz.com/Ar/index.php

تاريخ الاستلام: 2016/04/05- تاريخ التحكيم: 2016/08/08 - تاريخ النشر2016/12/30

كرونولوجيا مفهوم الرأي العام في بحوث الاعلام

أ. فاطمة الزهراء قيطة

جامعة الجزائر3- الجزائر

❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁

ملخص:

تهدف هذه الدراسة النظرية إلى الوقوف عند السيرورة التاريخية لمفهوم الرأي العام، الذي أثار ولا زال يثير العديد من الإستفهامات على مستوى الدراسات الإجتماعية والإنسانية، فلقد ظهرت نظريات عُنيت بتفسيره، ودراسة علاقته بمفاهيم وظواهر أخرى، ولعل نظريتي الأجندة ولولب الصمت من بين أهم النظريات الرائدة في بحوث الرأي العام.

لكن ما نود الإشارة إليه في هذه الدراسة هو الكيفية التي تطور بها المفهوم إلى أن وصل بالشكل الذي يظهر عليه الآن وذلك بالعودة إلى كرونولوجيته من العصور القديمة ووصولا إلى العصر الحديث، وبالوقوف عند أهم التعاريف الخاصة به وكذا مناقشة مفهومي المخيال الإعلامي و مفهوم الرأي العام عند بيار بورديو.

الكلمات المفتاحية: الرأي العام، الاتفاق العام، صوت الجماهير، المخيال الاعلامي، الفقاعة المصطنعة.

Abstract:

This theoretical study aims to stand at the historical process of the concept of public opinion, which has raised and still raises many question on the level of social and human studies, it has emerged theories are meant to interpret, and the study of its relationship to the concepts of other phenomena, and perhaps my theory Agenda and spiral of silence among the most important theories leading public opinion research.

But what we would like to refer to it in this study is how the evolution of the concept to be reached as it appears it now and then to return to Kronologith from antiquity through to the modern era, and stand at the most important definitions of its own, as well as discuss the concepts of media imagination and the concept of public opinion when Pierre Bourdieu.

Key words: public opinion, the General Agreement, the voice of the masses, the media imagination, artificial bubble.

مقدمة:

مرّ مفهوم الرأي العام بمراحل متعددة إلى أن تجسد بالشكل الذي عليه الآن، فلقد اختلفت وجهات النظر حوله بإختلاف الأماكن والأزمنّة، حتى باختلاف الباحثين الذين إهتموا به كظاهرة تستحق الدراسة، ومع التطورات التي عرفتها المجتمعات خاصة فيما تعلق منها بظهور وسائل الاعلام والثورة الرقمية فيما بعد كل هذه الأمور أدت الى زيادة الإهتمام به وإعطاءه مجالا للدراسة.ونهدف من خلال هذه الورقة الإجابة على التساؤل المتعلق بتطور المفهوم إنطلاقا من العصور القديمة ووصولا إلى العصر الحديث، بالإضافة إلى محاولة معرفة واقعية المفهوم ومدى تجسيده.

أولا: الخلفية التاريخية لمفهوم الرأي العام

☜ الرأي العام في ارتباطه بالبعد الفلسفي:

إنبثق مفهوم الرأي العام من جملة الأفكار التي طرحها الفلاسفة في الأزمنة الماضية، فلقد إرتبط المفهوم في بداياته بما قدمه الفلاسفة **اليونانيين والرومانيين** بالإضافة إلى **الصينيين**، على الرغم من أنّه لم يتجسد حسب بعض الباحثين إلا في القرن الثامن عشر.

فعلى الرغم من أنّ هذه الظاهرة لم تدرس وبشكل علمي من قبلهم، الا أنهم إستطاعوا أن يتصوروا مفاهيما خاصة بها بناء على ما هو متواجد في دولهم، فلقد عكست المناقشات العامة التي كانت تدور حول حق المشاركة في الحياة السياسية وفي الهيئات التمثيلية، أمثال **المؤتمر العام ومجلس الخمسمائة**، بوادر بروز الرأي العام (سكري،ر,1984: 12)

وشكلت كتابات كل من **أفلاطون وأرسطو** بداية متواضعة لدراسة المفهوم، فيرى **أفلاطون** (427_347 ق.م) أن مستلزمات السياسات لا يمكن أن تتأثر بمواقف العامة (عزي،ع.1990: 32)، وبالتالي فقد سارع الى ذم السياسة الديمقراطية، مصورا الفلسفة على أنّها الموجه الصحيح للأمور الإنسانية، فهو ينظر إلى رأي الناس أي العامة بدرجة ضئيلة من الإحترام، لأنه يحبذ قيام الدولة الأرستقراطية من خلال النظر إليها بإعتبارها دولة ذات صبغة عقلانية وطبقية، قائمة على أساس موافقة المحكومين وقبولهم، ويكون فيها الحكام هم الأوصياء على الصالح العام (حاتم،م.1973: 14)، على عكس تلميذه أرسطو الذي إعترف بجدوى الحكومة الدستورية وبحق بعض فئات الشعب من التعبير عن آرائها لكبح جماح الطبقة الحاكمة.

وهكذا فلقد عرف **اليونانيون** مفاهيم قريبة من الرأي العام **كالإتفاق العام** أو **الإتجاهات السائدة**، فقد أوجد مواطنو المدن جوا لإبداء آرائهم وأفكارهم وذلك لمكافحة الأرستقراطية والطغيان، فتجسد الرأي العام في مناقشاتهم الجدلية التي عُرفت بالتنظيم، من خلال تشكيلهم لما سُمي آنذاك **بالجمعية العامة** التي تمثل ما يطلق عليه الآن البرلمان والحكومة والقضاء، فلقد كانت القرارات تُتخذ من طرف تلك الجمعية بأغلب أصوات المجتمعين الحاضرين طبعا. وفي هذا الشأن يقول **جيمس براين** في كتابه الديمقراطية الحديثة " لم تترك جمعية المواطنين أي ميدان الا وطرقته فهي التي كانت تختار قادة الجيش والموظفين وتعلن الحرب وتعقد المعاهدات وتأمر بإقامة الحفلات العامة وتسن القوانين وتفرض الضرائب وتحكم في القضايا المدنية والجنائية وأحكامها تصدر أحيانا دون محاكمة فلا ردّ لقراراتها ولا معقب عليها (طرشي،ف:42).

وكما قال **أرسطو**" فإنّ تلك الجمعية كانت تفعل ما تشاء لا يحكمها سوى صوت الأغلبية"(طرشي،ف:42) وهكذا كان في عصر الديمقراطيات اليونانية يُتاح لكل مواطن فرصة التكلم وإبداء الرأي.

ومع ظهور الإمبراطورية **الرومانية** برز ما سمي آنذاك **بصوت الشعب أو صوت الجماهير Vox Populi** وتكلموا عن الآراء الشائعة بين الناس، وظهر ناقلوا الأخبار المحترفون، وأدى ذلك الى نشاط عملية الإتصال والرأي العام، ولقد كان لكل من **شيشرون وأخيه كونتيوس** دورا كبيرا في تشكيل الرأي العام الروماني آنذاك (سكري:12) .

☜ **الرأي العام في ارتباطه بالبعد الديني**

شكل الصراع بين الكنيسة (السلطة الدينية) والملك (السلطة الدنيوية) في فترة **العصور الوسطى** مدخلا أساسيا لتبلور وظهور الرأي العام، ويذهب كثير من الباحثين إلى أن الرأي العام في هذه المرحلة كان سلبيا، مرجعين ذلك إلى السيطرة المطلقة للحكام والمعتقدات الدينية، ومع ذلك فلقد عرف العالم المسيحي عبارة **الإتفاق العام Consensus** وهي مبنية على المفهوم الرواقي لفكرة **الشعور الجمعي communis Sensus** التي كان يستعملها أنصار البابا وخصومهم أنصار الإمبراطور للتعبير عن التقاليد السائدة والإتجاهات العامة للرأي العام في المناطق المختلفة المتنازع عليها (بدر،أ.2010: 46). ولقد ظهر في هذا العصر مجموعة من الكتاب منهم **ألسيون Alcuin ووليم مالمسبوري Malmesbury** ثم **مكيافيللي** بعد ذلك، كمّا ظهرت تعابير جديدة منها، **انّ صوت الشعب من صوت الله**، والعقل العام لدى **مونتسكيو وجان جاكروسو** الارادة العامة (بدر: 46).

ولقد حدث تطورا ملحوظا في الكتابات التي تناولت الرأي العام في هذا العصر خاصة ماإرتبط منها **بمكيافيللي** (1469_1537) فهو يرى أنّ الرأي العام عنصر لابد أن يؤخذ في الحسبان في عملية الصراع من أجل السلطة ويورد في **كتابه الملك** " **إن أحسن حصن يوجد في محبة الناس، إذ بالرغم من أنك قد تمتلك عدة حصون فإنها لن تحميك إذا كنت مكروها من هؤلاء الناس**" (**عزي،ع: 32**) فهو يرى بأنه ينبغي إستعمال الرأي العام من أجل الوصول إلى السلطة.

كما كان للرأي العام في عصور النهضة الإسلامية دورا فعالا في مختلف جوانب الحياة الإسلامية، فقد أولى الإسلام أهمية للحريّات منها حرية المعتقد والحرية الشخصية، كما وضع أصولا عاما للحكم منها مبدأ الشورى،

وأقرّ بحق الشعب في مقاومة طغيان الحاكم، فالخليفة مجبر على إتباع القرآن والسنة فإذا خرج عليها وجب معصيته، وهكذا فلقد كان الخلفاء الراشدون يبدون عناية شديدة بمعرفة آراء الرعية وإتجاهات الرأي فيها.

فالإسلام جاء ليُقيم من مبدأ إجتماع الكلمة أساسا لتولي مقاليد الحكم في الدولة الإسلامية، فأعطى بذلك للرأي العام المعبر عنه في صورة الإجماع صلاحيات جوهرية منها تقويم الحاكم إذا جانب الصواب في قوله أو فعله، وفي ذلك الإطار كانت الكلمة العليا في شؤون السياسة والحكم للرأي العام القائد من خلال صفوة الأمة وأهل الرأي والمشورة فيها.

إذن فالشورى ترتبط إرتباطا وثيقا بالمؤسسة السياسية، ويرى **محمد عمارة** أنّ "**الشورى فريضة في سياسة الدولة أو الأمة، بل وشرط في طاعة الرعية للراعي**" (عزي، ع:40) وهكذا فلقد وضع المنهج الإسلامي تعاليما خاصة تربط وتضع علاقة بين الحاكم والمحكوم متجاوزة بذلك ما طرحه الفلاسفة فيما أسموه **بالعقد الاجتماعي**.

فالشريعة الإسلامية تولي أهميّة كبرى للرعية من خلال مبدأ الشورى، كما أنّها تحدد الفئة التي يجب إستشارتها. فالنص القرآني يشير إلى سؤال **أهل الذكر، وأولي الأمر**، والمقصود هنّا أن الإستشارة والآراء التي يطلقها هؤلاء تكون مؤسسة ومبنية على أسس علمية، وبالتالي تكون مقومة لعمل الحاكم إزاء محكوميه.

☜ **الرأي العام في إرتباطه بالبعد الأمبريقي**

شكل ظهور الطباعة على يد جوتنبرغ وما نتج عنه من زيادة في المطبوعات، والذي أدى بدوره إلى زيادة عدد القراء وكذلك ظهور حركة الإصلاح الديني، كل هذه العوامل وغيرها ساهمت في زيادة الإهتمام بظاهرة الرأي العام.

وقد ساعدت الحروب والمنازعات التي قامت في إنجلترا وفرنسا وأمريكا حول المسائل السياسية الدينية على تداول معاني الرأي السائد، ففي خضم الثورة الفرنسية ظهر إصطلاح الرأي العام على لسان وزير المالية الفرنسي **جاك نيكر** عندما توجه للجماهير الفرنسية طالبا منهم المساهمة المالية في بورصة باريس، وهكذا فلقد كان **نيكر** أول من ساهم في نشر مفهوم الرأي العام وأقرن بين ظهور المفهوم والعدالة السياسية وبروز الطبقة المتوسطة في فرنسا (عزي، ع:33).

عمّت أوربا بين القرن السادس والثامن عشر حركة فكرية في كل الميادين، حيث عالج بعض الكتاب مواضيع جديدة كانت أغلبيتها تدور حول الرأي العام والاعلام، السلطة والرأي العام، دور الصحافة في تشكيل الرأي العام، ومن الكتاب الذين تناولوا هذه المواضيع وغيرها،**جان جاك روسو، جون ستيوارتميل** (سكري:14).

ففي فرنسا أكد روسو في كتاباته على ضرورة إحترام الحكومة **للإرادة العامة،** وأشاد بقوة الإرادة العامة وأهميتها بالنسبة للحكم الإستبدادي، كما أعلن إعتماد جميع القوانين سياسية كانت أم مدنية جنائية على الرأي العام أو الإرادة العامة كما سمّاها، وربّما كان من بين أوائل الفلاسفة الذين وصلوا إلى إصطلاح قريب من الرأي العام تمثل عنده في الإرادة العامة.

ويرى بعض الباحثين بأنّ **روسو** هو من إستخدم تعبير الرأي العام فلقد إعتبره في كتابه "**العقد الاجتماعي**" بأنه "**الرغبة العضوية للجماعة المعُبر عنها في الرغبات العامة لأفرادها**" (عزي، ع:33)

كما شجعت **الثورة الفرنسية** المناقشات المتعلقة بالرأي العام في كل من ألمانيا وإنجلترا، وكانت هذه المناقشات في عقول واضعي الدستور 1787 في الولايات المتحدة الأمريكية، ففي ألمانيا أكد **ويلاند C.M.Wieland** في كتاباته على أن الحكومة لم تعد تستطيع أن تحكم دون إحترام الرأي العام ورضاه (بدر،أ: 49).

إهتم **هيجل Hegel** بالرأي العام وإعتبر أنّه يستحق الإحترام أحيّانا ويستحق الإزدراء أحيّانا أخرى، وفي إنجلترا شدد **جون ستيوارت ميل** على أهمية الرأي العام وقال:" **لو إتفق العالم كله على رأي معين ماعدا شخص واحد فليس للعالم الحق في إسكات وقمع ذلك الرأي**" (سكري: 14) ولقد حاول **ميل** من خلال هذا الطرح التأكيد على أهمية ودور الرأي العام.

وكان لأفكار الفلاسفة والمفكرين التحرريين الذين يؤمنون بحرية الرأي والعقل أهمهم **مونتسيكيو، فولتير وروسو** الفضل في التمهيد لبلورة الرأي العام، وتنويره بالإضافة للدفع القوي إتجاه العمل السياسي وظهوره كقوة ضغط داخل الأنظمة السياسية المعاصرة.

ومع حدوث **الثورة الصناعية** إنتقل مركز الثقل في نشاط الفكر السياسي من فرنسا الى إنجلترا، حيث سادت الفلسفة النفعية **لجيرمي بنتام Jeremey Bentham** والقائمة على "**أكبر السعادة لأكبر عدد من**

الشعب"(**بدر**،أ:**50**)، وحلّت هذه النظرية محل القانون الطبيعي الذي ساد في القرن الثامن عشر، وقد أضافت نظرية المنفعية الى الجانب العقلاني للرأي العام جانبا آخر فرديا.

إنّ هدف الفرد في حياته العامة هو الحصول على السعادة، وهو ليس بحاجة إلى نخبة تفكر له وتدلُه على مصالحه في المجتمع لتحقيق ذلك، حيث يؤهله حسه لإدراك شؤونه بصورة عامة، ويستطيع أن ينمي هذا الحس بالتربية والتعليم، وبناء على ذلك فإن الشعب بأجمعه يستطيع أن يميّز الصالح وأن يفتش عن سعادته.

وهكذا فلقد أكد "**بنتام**" في كتاباته على أهمية الرأي العام كأداة **ضبط إجتماعي** وجعل منه صمام أمان ضد أي نظام إستبدادي، وبالتالي فلقد ربطه"**الرأي العام**" بالنظرية الديمقراطية وإعتبره جزءا لا يتجزأ منها (سكري:15) بالإضافة إلى أنّه أعطى للصحافة دورا مميزا نظرا لدورها في تكوين الرأي العام والتعبير عنه، أدت هذه الكتابات من قبل أغلب مفكري عصر النهضة الى الاهتمام بالرأي العام وظهر كقوة لا يستهان بها لدى أغلب الحكومات في مطلع القرن العشرين.

إذن فالقرن التاسع عشر حمل معه تطورا واضحا على مستوى مفهوم الرأي العام، فما أتاحته الثورة الصناعية أدى الى نشوء علاقات إجتماعية جديدة، وبدأت النظريات تتصارع في شتى الميادين الدينية والثقافية والسياسية وحتى الإقتصادية، وهذا كله زاد من فعالية الرأي العام وأهميته.

ولقد عرف القرن العشرين تطورا على مستوى مفهوم الرأي العام من خلال ما أنتج في هذا القرن من كتب تعالج هذا المفهوم، منها المؤلف الذي سُمي **بالرأي العام والحكومة الشعبية**(Public Opinion and Government Popular)والذي أعاد طرح إشكالية الرأي العام وما تثيره من تساؤلات، ولقد أظهر **لوال** صاحب المؤلف، أن الرأي العام لم يظهر فقط لأن العامة عبرت عن آرائها في مسائل عامة، ولكن الرأي العام الحقيقي لابد وأن يكون رأي المجموعة البشرية، لأن رأي الأغلبية لا يعتبر كافيا فالأقلية قد لا تشارك الأغلبية رأيا ولكنها لابد وأن تحس ملزمة اقتناعا وليس بالقوة بتقبل هذا الرأي (عزي،ع: 34) .

كما أسهم علماء الإجتماع وعلم النفس الإجتماعي في دراسات الرأي العام في الجزء الأخير من القرن التاسع عشر، فلقد إهتم علماء الإجتماع به كأحد الضوابط الإجتماعية، وإهتم به علماء علم النفس الاجتماعي عن طريق دراسات السلوك الفردي والجماعي، ولقد ظهر في هذه الحقبة أيضا كتاب **بنتلي** الذي تحدث فيه عن دور

الجماعات المنظمة في عملية تكوين الرأي، ووضع بذلك الأساس لما عرف فيما بعد **بالجماعات الضاغطة** وعلاقتها بالرأي العام.

كما شهدت الحقبة الثانية من القرن العشرين (1910_ 1920) تطورات كثيرة منها قيام وإنتهاء الحرب العالمية الأولى بما أثارته من إهتمام بالدعاية السياسية، ومكنّت من فتح أبعاد جديدة للرأي العام، وشهدت ظهور مجموعة من الكتب في هذا الشأن.

ولقد عرف هذا القرن وخاصة في حقبة الثلاثينيات تطورا واضحا في دراسة هذا المفهوم من طرف الباحثين، حيث حدث تحول بارز في المنهج المتبع لدراسة الرأي العام خاصة في أمريكا، حيث عالج الباحثون الإجتماعيون لحد الآن ظاهرة الرأي العام كجزء من إهتمام عام يخص طبيعة المجتمع وأدائه. ومن ثم فقد درس هؤلاء مفهوم الرأي العام في تجلياته التاريخية والنظرية والفلسفية، ونجد أن التحول الذي حدث في هذه الحقبة إتجه نحو قياس المواقف والأفعال وتقرير نتائج ذلك.

وهكذا فلقد شهدت فترة الثلاثينيات تطورا واضحا وملموسا في ميدان قياس الرأي العام، حيث عرفت هذه الفترة ظهور أول مقال **عن الرأي العام** في موسوعة العلوم الاجتماعية سنة **1933**، كما ظهرت أول **مجلة فصلية** في الرأي العام سنة 1937، وأسس في العام نفسه عدة **معاهد لقياس الرأي العام**، كان أهمها معهد **قالوب** (**Gallup**)، إذن فلقد أضحت دراسات الرأي العام أقل إرتباطا بالفلسفة والتاريخ وأكثر إقترانا بالجوانب الحاضرة و الأمبريقية ثم بما سمي بالثورة السلوكية (خاصة في العلوم السياسية) (حجاب،م.2000: 30).

وبنهاية هذه الحقبة زاد الإهتمام بالدعاية الخارجية، وتمثل ذلك في الإنتاج الفكري المتزايد في هذا المجال ومع الحرب العالمية الثانية زاد الإهتمام بالرأي العام سواء من النواحي النظرية أو التطبيقية، وذلك للإستجابة للحاجة الملحة إلى الدراسات المتعلقة بأثر الإتصال على الجنود والضباط ومواقفهم إتجاه القادة العسكريين والحياة العسكرية ودعاية الأعداء، وهكذا فلقد إستمر الإهتمام بالمفهوم في هذه الحقبة في إرتباطه بأبعاد جديدة منها النظم الفاشية والنازية والشيوعية.

كما كان لإدخال التلفزيون أثره البالغ على دراسات الرأي العام والإعلام، خاصة بالنسبة لأثره في السلوك الفردي والإجتماعي، وعلى السياسة والأطفال، كما كانت هناك عدة عوامل ساعدت على تنشيط البحوث في هذا المجال وأهمها التقدم العلمي والصناعي والتكنولوجي الهائل، وما أحدثه هذا التقدم من إنتعاش إجتماعي.

وفي هذه الآونة تُوّج الرأي العام إنتصاراته وتزايدت فعاليته، وذلك بالتقدم المذهل في وسائل الإتصال الجماهيري، وأصبحت وسائل الاعلام من أهم الأدوات التي تعتمد عليها نُظم الحكم المختلفة في الإتصال بالجماهير والوقوف على إتجاهاتها وميولها ومحاربة التأثير عليها، وتعتبر الثورة الرقمية التي أتاحها القرن الحادي والعشرين قفزة نوعية أخرى في البحوث المتصلة بالرأي العام، من خلال إستخدامها كأداة رئيسة للإتصال الجماهيري وبالتالي التأثير على الرأي العام.

ثانيا: محاولة إعادة النظر في المفهوم

☜ **أبرز مفاهيم الرأي العام منذ القرن الثامن عشر إلى الوقت الراهن**

أدى التطور التاريخي للمفهوم منذ العصور القديمة إلى الوقت الراهن مرورا بالعصور الوسطى، إلى إنتاج بعض التعاريف الهامة له، ويمثل القرن الثامن عشر وحسب العديد من الباحثين، نقطة البداية لصياغة وبلورة هذا المفهوم، فلقد شهد هذا القرن بالذات إنتاج تعاريف عديدة له، محاولة إما تفسيره، أو بلورته.

فيرى الباحث **ماكينون W.A.Mackinnon** بأن الرأي العام يوصف بأنّه تلك العاطفة إزاء موضوع معين التي يرحب بها أكثر أعضاء الجماعة إطلاعا وذكاء وتمسكا بالأخلاق، هذه العاطفة التي لا تفتأ تنتشر وتعتنق تدريجيا من جانب جميع الأشخاص تقريبا الذين تتكون منهم جماعة متعلمة ذات مشاعر سوية تعيش في دولة متمدنة متحضرة (حاتم: 27).

ويحيلنا هذا التعريف إلى مفهوم آخر إرتبط بظهور وسائل الاتصال الجماهيري، وهو مفهوم **قادة الرأي** الذين يكون لهم دورا كبيرا ووسيطا في إحداث التأثير على الجمهور بالنسبة لهذه الوسائل، وكما نرى من خلال التعريف الذي يجسد لنا مجموعة من الأعضاء يكون لهم عاطفة معينة تجُاه موضوع معين.

بينما كتب **كوولي C.H.Cooley** بأن الرأي العام عملية عضوية لا مجرد حالة إتفاق حيال مسألة من مسائل وقتنا الراهن (حاتم: 27).

والمتتبع للتعاريف التي أعطاها الباحثون للرأي العام يرى بأن هناك إختلافا واضحا بينهم في توضيحه، فهو من المصطلحات القليلة التي يصعب على الباحثين تعريفها تعريفا دقيقا، ويذهب بعض الخبراء إلى أن القدرة على قياس الرأي العام تفوق القدرة على تعريفه وتطويعه، فعلى الرغم من أن المفهوم ظهر في القرن الثامن عشر فإنه لم يُعرف بعد بشكل محدد أو مُرض، فالرأي العام من الصعب وصفه، ومن الميسور قياسه، ومن المستحيل رؤيته، ورغم كل هذه الصعوبات فإن قوة الرأي العام لا يمكن تجاهلها في أي مجتمع (محمد، ع.1982:90).

وتنبع هذه الإختلافات في تعريف الرأي العام من إختلاف تخصصات الباحثين، كما قد تكون من التباين في وجهات النظر الإجتماعية والسياسية تجُاه الشعوب ومدى الإيمان الحقيقي بدورها في المشاركة السياسية، وربما من إختلاف الفكر والعقيدة والإرتباط بإيديولوجيات مختلفة.

ومن مظاهر إختلاف الباحثين في تعريفهم للرأي العام هو إعتباره مرادفا للإتجاه، أو الحكم أو السلوك، ويوجد منهم من يجعل من الرأي العام مجرد تجمع للآراء الفردية، ومنهم من يذهب إلى تعريف الرأي لوحده والعام لوحده، وبالتالي يُقسم المفهوم الى شقين أو إصطلاحين **الرأي والعام**، لكي يحدد في الأخير تعريفا للمفهوم ككل، كما يوجد من إعتبر جماعة المثقفين أوالأغلبية هي جماعة الرأي العام.

وعند تعريفنا للرأي العام رأينا أنه من الضروري تقسيم المفهوم إلى شقين، لكي يتسنى لنا توضيحه بصفة جيدة، فهو مصطلح يتكون من شقيّن، فكلمة الرأي وحسب الباحث **عبد الله بوجلال** تُستخدم لوصف التعبير عن شيء مختلف أو متميز عن المعرفة الثابتة، **الرأي** هو التعبير عن إتجاه نحو أمر جدلي أو قضية، ويدور الإختلاف والتناقض حول مسائل جدلية أي يوجد فيها مجال لإبداء الرأي (بوجلال، ع.1990: 08).

والرأي جزء من منظومة متكاملة تبدأ بالمعلومات وتنتهي بالسلوك، وتشمل(المعلومات، الآراء، الاتجاهات، القيم، المعتقدات، والسلوك) ويخلط كثير من الباحثين بين هذه المسميّات الخمسة في نفس الوقت الذي لا يمكن فيه تكوين الآراء إلا بناء على المعلومات، ولا يمكن قياس الرأي لدى فئات ليس لديها معلومات عن الموضوع أو القضية المطلوب قياس الرأي بشأنها، كما أن المعلومات الخاطئة أو المضللة تؤدي إلى تكوين الآراء الخاطئة أوالسلبية، ومن جهة ثالثة توجد علاقة بين الرأي والإتجاه، فالرأي هو التعبير المعلن عن إتجاه نحو أمر جدلي أو قضية خلافية، بينما يعبر الإتجاه عن الميل أو الإستعداد لدى الأفراد للقيام بسلوك إيجابي أو مضاد نحو موضوع ما (بوجلال:10).

أما كلمة عام public فيذهب بعض الباحثين إلى تعريفها بأنّها مرادفة لكلمة شائع أو جماهيري، بينما تُعبر هذه الكلمة في سياق تعبير الرأي العام عن كلمة جماعة أو جمهور أو فئة، أو شعب، وهذه الجماعة أو هذا الجمهور يتأثر أفراده معا بتصرفات أو أفكار معينة.

ومن هنا فإن الرأي العام وطبقا لهذا التفسير، ليس هو الرأي الشائع على إطلاقه، بل هو رأي جماعة معينة أو فئة معينة أو جمهور معين، قد يكون لديه إهتماما خاصا بالموضوع أو الفكرة أو القضية التي يقاس رأيه فيه، أو قد يكون جمهورا متجانسا من الناحية التعليمية، أو الثقافية، أو الاجتماعية، أو المهنية، أو العمرية، وغيرها من التقسيمات المختلفة.

ويعرف كل من **جيمس برايس(Brice)** و**دوب (Doob)** عالما الاجتماع السياسي الأمريكيين الرأي العام بقولهما "**على أنه إصطلاح يُستخدم للتعبير عن مجموع الآراء التي يدين بها الناس، المنتمين إلى نفس الجماعة الإجتماعية، إزاء المسائل التي تؤثر في مصالحهم العامة والخاصة**" (سكري:16)

ويحدد أستاذ علم السياسة الأمريكي **جيمس.ن.يونج** الرأي العام بأنه الحكم الإجتماعي لجماعة ذات وعي ذاتي على موضوع ذي أهمية بعد مناقشة عامة ومقبولة"(سكري:17)

ويعرفه الباحث **إبراهيم إمام** بأنّه الفكرة السائدة بين جمهور من الناس تربطهم مصلحة مشتركة، إزاء موقف من المواقف أو تصرف من التصرفات، أو مسألة من المسائل العامة التي تثير إهتمامهم أو تتعلق بمصالحهم المشتركة" (إمام،إ.1969:205)

ويرى الدكتور **مختار التهامي** بأنه الرأي السائد بين أغلبية الشعب الواعية في فترة معينة بالنسبة لقضية أو أكثر، يحتدم فيها الجدل والنقاش، وتمس مصالح هذه الأغلبية أو قيمها الإنسانية مسا مباشرا"

ويذهب **محمد عبد القادر حاتم** في كتابه الإعلام والدعاية إلى قوله بأنّه الحكم الذي تصل إليه الجماعة في قضية ذات إعتبار ما ويُشترط بعض الشروط لتحقيق ذلك من أهمها (سكري:17):

_ أن تكون هناك مناقشات وافية حول القضية المطروحة.

_أن تكون القضية مثارةبكل حقائقها عن طريق القادة، أو أجهزة الاعلام والدعاية، أو عن طريق الجماعات والهيئات العامة.

_أن يكون الاتجاه الذي تتخذه الجماعة في هذه القضية يتفق تماما مع المعتقدات العامة للناس مثل العقيدة الدينية أو القومية أو غيرها التي يعتنقها الشعب.

ويرى الباحث **عزي عبد الرحمان** في مقاله المنشور في مجلة الاتصال الجزائرية أن بمراجعته لعدد من المصادر الإعلامية تبيّن له أن هناك نوعين من التعاريف الخاصة بالرأي العامة (عزي:30).

ولقد صنفها الباحث إلى قسمين، تعاريف رأى أنها **أولية**، وأخرى يعتقد **أنها دالة**.

في إشارة منه إلى أنّ التعاريف **الأولية** حاولت صياغة ما يمكن أن يتضمنه المفهوم ببعض التعابير التي لا تتعدى عملية تمديد هذا المفهوم الى حد معين، فهي تعاريف لا تتعدى وصف الظاهرة، كما أنّها لا ترتقي إلى مستوى التنظير الفلسفي الذي يُعطي المفهوم دلالة خاصة، فالتعاريف الأولية للمفهوم هي مجرد عملية تحصيل الحاصل، أي تعريف المفهوم ظاهريا دون الغوص في الخلفية النظرية، أو في الأبعاد التزامنية والتطورية، فهو يرى أن تعريف كل من **ليونارد دوب، وهنيسي** ما هي الا تعاريف أولية لا تتجاوز المستوى الظاهري للمفهوم.

كما يرى أن التعاريف الدالة هي التي تضفي على المفهوم صبغة خاصة لإعتبارات إيديولوجية ونقدية، ومن بين هذه التعاريف ما يلي:

- مجموعة آراء الأفراد حول موضوع ذو أهمية عامة، والتي في مقدورها ممارسة التأثير على مواقف الأفراد والجماعات وعلى سياسات الحكومات.
- المحرك الذي يجعل الديمقراطية تتحرك.
- حكم إجتماعي لمجتمع واع في مواجهة قضية هامة بعد مناقشات علنية وعقلية.
- تعابير شفوية أو غير شفوية لمجموعة فئة إجتماعية تضفي الإنتباه على مسألة جدلية في زمن محدد.

ثالثا: قراءة في مقال بيار بورديو حول الراي العام

يُمثل المقال الذي نشره الباحث **بيار بورديو** سنة 1973 والذي أكد فيه على عدم وجود رأي عام، إنطلاقا من مجموعة من الإفتراضات والأفكار التي تدعم هذا الرأي.

إستهل **بيار بورديو** حديثه عن الرأي العام أو عمليات سبر الآراء بطرح المسلمات الثلاث للرأي العام، ولقد أردف بيار بورديو قائلا بأن هذه العمليات لا تعبر إلا عن **فقاعات مصطنعة** أي آراء **مشكلة لخدمة مصالح سياسية معينة.**

وينفي الباحث وجود الرأي العام بناء على مجموعة من الإعتبارات كان أهمها:

- أسئلة السبر التي تكون في غالب الأحيان متحيزة أي صياغة الأسئلة بشكل متحيز، فمثلا الاجابة عن السؤال تأتي متضمنة في الشكل الذي يتم به طرح السؤال.
- كما يرى أن هناك علاقة بين طبيعة الأسئلة وإنشغالات رجال السياسة، فحسبه أن الأسئلة ما هي إلا تعبير عن الإنشغالات التي يريد معرفة رجال السياسة رأي الناس فيها.
- ترتبط الإشكاليات المقترحة من قبل معاهد السبر بالمصالح السياسية، وهو ما يوجه وبشكل قوي دلالة الأجوبة.
- إعتبر عمليات سبر الآراء ما هي إلا عمليات سياسية يحاول من خلالها فرض الوهم بوجود رأي عام.
- كما يرى أن كل ممارسة للقوة يترافق معها خطاب يهدف إلى إعطاء شرعية لقوة من يمارسها، بل يمكننا حتى الإقرار بأنّه من خصوصية كل ميزان قوى مهما كان، هو أن لا تكون له قوته إلا في حال ما إذا ظهر وبرز بذلك الشكل فالرجل السياسي هو الذي يقول إن الرأي معنا (بورديو،ب.ب س:126).
- كما أكد الباحث على أن معاهد سبر الآراء لا تأخذ بعين الإعتبار الممتنعين عن الإجابة كطرفا فاعلا في تشكيل الرأي العام، فهو يرى أن هذه الفئة حتى بإمتناعها تحمل إما تأييدا أو معارضة، لذا لا ينبغي تجاهلها، خاصة إذا كانت نسبتها كبيرة بالمقارنة مع المجتمع المدروس.
- عدم مراعاة الإختلافات الفردية والمعرفية في صياغة أسئلة السبر، هذه الأخيرة التي تريد أن تحقق غاية من إستعملها.
- كما أن هذه العمليات تضع الناس موضع المجيبين عن أسئلة لم تطرح أصلا.

ويؤكد الباحث على أن التأثير القوي لعمليات سبر الآراء هو تركيب فكرة مفادها أنه يوجد رأي عام مجمع عليه، الهدف منه هو إعطاء الشرعية لسياسة ما، وتدعيم موازين القوى التي تشكلها.

كما يشير الباحث الى أن الرأي العام غير موجود، على الأقل بالطريقة التي يُقرها أصحاب المصالح السياسية ويفرضون بها وجوده (الرأي العام).

ففي قراتنا للمقال الذي قدمه بيار بورديو لمسنا نفيه المطلق بوجود رأي عام يظن أنه شُكل بالنظر للمصالح السياسية لرجال السياسة، كما أنه أكد وإستنبط هذا الرأي من خلال التمحيص والتدقيق في طبيعة وكيفية صياغة الأسئلة التي توجهها المعاهد الخاصة بالسبر، فكأنما قام بيار بورديو بدراسة تحليلية لعملية السبر وكيفية تشكيله لدى أصحاب مراكز السبر، كما درس العلاقة بين المراكز وذوو المصالح السياسية.

رابعا: المخيال الإعلامي بديلا للرأي العام في العالم العربي الاسلامي

يرى الباحث **عزي عبد الرحمان** أن الرأي العام يحمل تناقضات في البنية الفكرية التي يقوم عليها وفي نشأته وتطوره، ولقد حدد مجموعة من المتناقضات (عزي: 42):

- أن الرأي العام لا يعين فئة إجتماعية أو سياسية أو جغرافية أو إثنية محددة، كأن يقال الرأي العام العمالي أو النسوي أو الطلابي الخ، بل يختزل هذه الفئات المتنوعة في مواقعها وأهدافها في كتلة خيالية تفترض التواجد في الوقت الذي لا نجد ما يؤسسها في حقيقة الواقع.
- كما يعتقد أن الرأي العام لا يمثل كيانا مستقلا لأنّه يتشكل من خلال ماتبثه وسائل الاتصال الجماهيرية، هذه الأخيرة التي عادة ما تكون وثيقة الصلة ولو بدرجة متفاوتة بمؤسسة الدولة، وبالتالي فهو يوافق **بورديو** في أن الرأي العام الذي يشكل عبر وسائل الاعلام ما هو الا إنعكاسا للرأي الذي تؤسسه المؤسسة السياسية.
- ويشير الى أن مفهوم الرأي العام إرتبط في المجتمعات الغربية بإنتشار التعليم وظهور المشاركة السياسية، وهذه الظروف حسبه هي التي مهدت للمطالبة بأخذ رأي هذه الطبقات، وأخذ رأيها بعين الإعتبار إعلاميا وسياسيا، بالإضافة إلى إرتباط المفهوم بالديمقراطية في هذه المجتمعات، الأمر الذي يطرح تساؤلا في الدول العربية الإسلامية.

وبنّاء على هذه المعطيات قام الباحث **عزي عبد الرحمان** بصياغة مفهوم جديد يرادف الرأي العام، وربطه بالمجتمعات العربية الإسلامية، خاصة في الكيفية التي يتعامل بها الجمهور العربي الإسلامي مع وسائل الاعلام، فإصطلح مفهوم **المخيال الإعلامي** بنوعيه المجسد والمجرد.

ويستخدم مفهوم المخيال ليقصد به حالة تضمن المشاعر النفسية الإجتماعية التي تتكون بفعل ما يتعرض إليه الجمهور(العربي الإسلامي عامة) من محتويات وسائل الإتصال من جهة، وبفعل ما يحمله هذا الجمهور من مخزون تراثي وأسطوري من جهة أخرى، ويعكس تعبير المخيال نمط من التصور الذي هو في طور التكوين ومن ثم لا يمكن بسهولة تحديد طبيعته ومراحل تطوره، إذ تتداخل فيه الذاكرة التاريخية بصورة مشوهة بفعل عصر الإنحطاط والظاهرة الإستعمارية مع محاولة وسائل الاتصال القفز فوق التاريخ والواقع خاصة في المجتمعات العربية الإسلامية (عزي:44).

اذن فالرأي العام أو المخيّال الاعلامي كما سمّاه الباحث عزي عبد الرحمان لا يزال بعيدا كل البعد عن تعريف محدد له يخصه ويشترك فيه كل الباحثين، وهذا ربما نرجعه وبعد قراءتنا في أدبيات الموضوع الى إختلاف البنيات الإجتماعية والإقتصادية في المجتمعات، هذا ما أدى بالباحث عزي إلى نقد مفهوم الرأي العام، كما أنه في المجتمعات

اللبرالية يبقى الرأي العام متأرجح بين من يعتبره موجودا وبين من لا يؤمن بوجوده لأسباب تعلقت في جانب كبير منها بالشق السياسي للموضوع.

قائمة المصادر والمراجع:

-سكري، رفيق. (1984). مدخل في الرأي العام والإعلام والدعاية (ب ط). لبنان: منشورات جروس_برو س.

-عزي، عبد الرحمان. (1990). الرأي العام والعصبية والشورى(دراسة نقدية). المجلة الجزائرية للاتصال العدد5.

-حاتم، محمد عبد القادر. (1973). الرأي العام وتأثره بالإعلام والدعاية (ب ط). لبنان: مكتبة لبنان.

-طرشي فتيحة. (2010). مظاهر إهتمام الدول بالرأي العام. رسالة لنيل شهادة الماجستير، جامعة الجزائر، كلية الحقوق.

-بدر، أحمد.(2010).الرأي العام والسياسة العامة (ب ط). القاهرة: الدار المصرية السعودية.

-حجاب، محمد منير. (2000).أساسيات الرأي العام. القاهرة: دار الفجر للنشر والتوزيع.

-محمد عبد الله. (1982). العلاقات العامة. القاهرة: دار التأليف.

-بوجلال،عبد الله. (1990).الرأي العام مفهومه، تكوينه، خصائصه، ومظاهره وأهمية قياسه. المجلة الجزائرية للاتصال، العدد5.

-إمام.إبراهيم. (1969).الإعلام والإتصال بالجماهير. القاهرة: المكتبة الانجلوساكسونية.

-بورديو.بيار.(ب س). الرأي العام غير موجود تر(رضوان بوجمعة). مجلة معالم، العدد الأول.

تاريخ الاستلام: 2016/07/20- تاريخ التحكيم: 2016/10/16 -تاريخ النشر2016/12/30

القراءة البراغماتية للنظريات التربوية الكلاسيكية
من خلال الفيلسوف "جون ديوي"

أ. البار عبد الحفيظ

(جامعة الشهيد حمه لخضر بالوادي- الجزائر)

الملخص:

إن المعالم التّربوية الجديدة التي رسم "جون ديوي" ملامحها، بعد ثورته على المفاهيم التربوية التقليدية، حينما غيّر مركز بناء القضايا التعليمية من المادة المعرفية إلى المتعلم ذاته بكل ما يملكه من مواهب وميولات، وانتهى به المقام إلى بلورة ما يعرف بالتربية التقدمية التي شكلت بمناهجها وأهدافها ضرورة ملحة وغاية منشودة لكل اصلاح تربوي في القرن العشرين، ليست إلا ثمرة اطلاعه على أهم النظريات التربوية التي قدمها الباحثون عبر التاريخ.

"جون ديوي" الفيلسوف البراغماتي، بدأ حياته الفكرية شغوفا بقراءة ما كُتب في التربية، وتوجه إليها بالتحليل، بالنقد تارة وبالتثمين تارة أخرى، وأستفاد من محاسنها وتجاوز مساوئها، وأراد من ذلك أن يبني تصورا جديدا للتربية يتماشى والتقدم الحاصل في الحياة، ويساير طبيعة المجتمع الأمريكي وثقافته.

الكلمات المفتاحية: الفلسفة البراغماتية، فلسفة التربية البراغماتية، النظرية التربوية، التربية التقدمية، الخبرة التربوية.

Abstract:

The new educational attractions that draw "John Dewy" features, after the revolution to the traditional educational concepts, when it is the center of the construction of educational issues of material knowledge to himself learner, and crystallized what is known as progressive education that shaped their curricula and objectives is an urgent necessity for every reform education in the twentieth century, It is not only the result of studying the most important educational theories throughout history.

Intellectual life began to read what has been written in education and went to the analysis, criticism and valuation in, and benefited from their advantages and bypass the disadvantages, and wanted it to build a new vision of education in line with the progress in life, and the faddish nature of American society and culture.

Key words: philosophy of pragmatism, the philosophy of pragmatism education, educational theory, progressive education, educational experience.

مقدمة

تتناول هذه الدراسة جانبا مهما من جوانب فلسفة التربية البراغماتية عند "جون ديوي"، فإذا كان ما يميز براغماتيته، هو الاهتمام بشؤون التربية، حيث أثرى الميدان التربوي بأفكار جديدة في المفاهيم والمناهج والطرق وغيرها، كان وقعها على تربية عصره كبيرا، على النحو الذي أصبحت الثورة على مفاهيم التربية التقليدية ضرورة ملحة، والسعي إلى المناهج الجديدة والطرق العلمية في التربية غاية منشودة، فمثّلت تلك الأفكار بحق نقلة نوعية في الفكر التربوي عموما، ولهذا أجمع الباحثون في الفكر البراغماتي عموما وفي التربية بوجه أخص، على أن "ديوي" قد أحدث ثورة في الميدان التربوي لا تقل أهمية على الثورة الكوبرنيكية في علم الفلك.

وانطلقت الثورة الديوية، مع بداية شغفه بقراءة ما كتبه المفكرون في التربية، وما ساعده على قراءة النظريات التربوية على النحو الذي وقف على مساوئها وأدرك محاسنها، واستفاد منها بما يمكنه من بناء تصورات جديدة تتلاءم وطبيعة المجتمع المعاصر، هو تبلور فلسفته البراغماتية، التي توصف بـ"الأداتية" مستفيدا مما قدمه

البراغماتيون الأوائل من أمثال "تشارلز بيرس" و"وليام جيمس"، حيث أصبح معيار الفكر عنده هو العمل المنتج، وكل فكرة ناجحة هي ذريعة أو أداة في خدمة الإنسانية.

على ذلك النحو، شق "جون ديوي" طريقه في القراءة، إذ توجه إلى النظريات بقراءة نصوصها وتحليل أفكارها، والربط فيما بينها بغية استخلاص ما يؤاخذ عليها وما يؤثره فيها، ولهذا تضمن تحليله نقدا ورفضا تارة، وإشادة وتثمينا تارة أخرى، إلى أن بدأت ملامح التربية التقدمية ترتسم، إلى أن اكتملت في صورتها الجديدة لما دعا إلى ضرورة تغيير مركز بناء القضايا التعليمية من مناهج وطرق إلى المتعلم ذاته، بدلا من المادة المعرفية التي كانت غاية التربية التقليدية، هنا أضحت التربية التقدمية بديلا للتربية الكلاسيكية، وأصبحت ضرورة ملحة لكل إصلاح تربوي منشود، عندها اكتملت أركان الثورة الديوية، والتي وصف معالمها في كتابه "الديمقراطية والتربية" والذي يجمه الفلاسفة ومفكرو التربية على أنه أعظم مؤلف كتبه "ديوي"، يتضمن مبادئ فلسفته التربوية ، ويوضح أهم أفكاره الجديدة في التربية، إنه بحق مرجع في علم التربية في القرن العشرين.

الأمر الذي دفعني إلى استشكال الموضوع في الصيغ الاستفهامية الآتية: ما هي أهم النظريات التربوية التي أخصها "جون ديوي" بالقراءة والتحليل؟ وكيف وظف براغماتيته الأداتية في تحليلها؟ وما الذي انتهى إليه من أفكار ورؤى مثلت روح التربية التقدمية؟

فاهتمامي بهذا الموضوع كان من وراء أهداف شكلت **دوافع الدراسة**، فرغبة مني في جمع أفكار "جون ديوي" المتعلقة بالتربية وكيفية قراءته للنظريات التربوية السابقة ومدى الاستفادة منها على اعتبار أنه فيلسوف براغماتي يؤمن بأن لا قيمة لفكرة أو نظرية ما لم تنته بنتائج مثمرة ونافعة، ، ولهذا بحثت في ذلك من خلال مؤلفاته التي حوت تلك الأفكار وتوزعت عليها للوقوف على العلاقة بين فلسفته وإنتاجه التربوي الضخم، ولعل أبرزها كتابه "الديمقراطية والتربية".

من أجل معالجة هذه الإشكالية، وما تضمنته من مشكلات فرعية للوقوف على جزئياتها الخفية والإحاطة بجميع جوانبها، اعتمدت **منهجا تحليليا** يقوم على قراءة نصوص "جون ديوي" والتعليق عليها بتحليل أفكارها . ومن باب الفحص المنهجي الموضوعي استعملت **المنهج المقارن** حينما كان مجال المقارنة متاحا بين أفكار "ديوي" التي قدمها مع غيرها من الأفكار التي تضمنتها النظريات التربوية التي أخصها بالقراءة والتحليل، كما ولج **المنهج التاريخي** بعض محطات الدراسة، إذ أخذت به لما كان ذلك مهما ومفيدا عند عرض تلك النظريات التربوية التي عني بها من حيث النقد أو التثمين، حيث تتبعت مسارها الزمني لتكون لها صورة تاريخية واضحة المعالم.

تمهيد:

إن دعوة "جون ديوي" إلى التجديد في التربية لم تكن وليدة الصدفة وإنما هي ثمرة اطلاعه العميق على كل الأفكار التربوية السائدة في زمنه أو السابقة عليه سواء كان ناقدا أو مثمنا، الأمر الذي مكنه من بناء رؤاه وتصوراته التي شكلت معالم التربية التقدمية، ولأجل الكشف عن ذلك، نتساءل: ماهي أهم النظريات التربوية التي أخصها "ديوي" بالقراءة والتحليل؟ وفيما يتمثل موقفه منها؟

أولا– موقف "جون ديوي" من النظريات التربوية: حتى يرسم "جون ديوي" ملامح التربية البراغماتية أو ما يسمى بالتربية التقدمية، اتجه إلى النظريات السابقة في التربية بالقراءة والتحليل، ولعل أهمها:

أ– موقف "ديوي" من نظرية الإعداد في التربية :

تلك النظرية التي ترتبط بالفلسفة المثالية من الفلسفة اليونانية إلى الفلسفة المسيحية، مع "أفلاطون" و"أرسطو" وكذا القديس "أوغسطين"، وقد عمّرت هذه النظرية كثيرا وكانت تهدف إلى بلوغ المجتمع المثالي وإعداد الإنسان الصالح وتوجيه الاهتمام للمسائل العقلية والروحية وتنمية روح الجماعة التي توضع فوق مصلحة الفرد (سيد مرسي، م، 1988: 149) وقد أولاها "جون ديوي" عناية خاصة، حيث توجه إليها بالدراسة والتحليل كيف لا وهو الذي شق طريقه الفلسفي بشغف كبير بفلسفة أفلاطون، حيث ترك كتابه الجمهورية في نفسه أثرا عميقا، لكن الأمر لم يكن كذلك مع فكره التربوي، حيث أعاب على نظريته في التربية اهتمامها بالإعداد للمستقبل بوسائل قهرية وتسلطية، إذ تركز على التوجيه فقط ، ولا تراعي قدرات الأفراد وميولاتهم ولا تهتم باستعداداتهم الفردية، والمربي الذي يؤدي دور المعد للمتعلم، لا يبالي بالحوافز النّفسية عنده ويتجاهل تسخير قواه الفعّالة، وحسبنا هنا أن نتأمل قول "ديوي" إذ يقول: "من يعدّ نفسه لمستقبل يجهل ماهيته وعلّته يفقد دعامته الحاضرة ويبحث عن نصيب غامض يستمد منه قوته الدّافعة"(ديوي،ج.1946: 56). فالمستقبل الذي نُعدّ له الطفل لا نمتلكه، ويلزم وقتا لبلوغه، وبالتالي فلا جدوى من التّعجّل في الإعداد له، ففي ذلك إهمال للواقع وما يتضمّنه، وفعالية التربية لا تكسب إلا عندما تكون جهود المربّي قائمة على جعل محيط الطفل وما يقع في حاضره عاملا مساعدا على تربيته ونموه قدر المستطاع.

يؤكد "جون ديوي" أن التربية المبنية على الإعداد تبقى افتراضية الأهداف بعيدة عن كل يقين، فالمربّي عوض أن ينتظر من أطفاله مستوى معيّنا في انتقالهم من صف إلى صف أعلى، تجده يضع المستوى المنتظر وفق ما يتصوره وما يتمناه بعيدا عن قدراتهم الخّاصة، فيكون ما ينتظره فرضيا غير واضح، ويذهب "ديوي" إلى أبعد من ذلك حينما يرى في هذه النظرية الجانب القهري والتسلطي، فهي بحسبه لم تقدّر طاقات الأطفال وتجاوزتها إلى البحث عن دوافع خارجية، ما جعل المربي يلجأ في الكثير من الحالات إلى الوعد والوعيد لإرغام الأطفال على الأفعال أو تركها، ويحمّلها مسؤولية النفور الطوعي للأطفال من الدراسة لأنها تتخذ من العقاب والثواب وسائلا تربوية، وبذلك أضحّت تلك الأساليب المصطنعة "بمكنات الحاضر في سبيل الإعداد للمستقبل، وكيف كانت لا تلبث أنْ تقابل هذه الأساليب بالاشمئزاز والنّفور لصرامتها وقلّة جدواها، فيميل المربّون إلى نقيضها ويلجئون – على حد تعبير ديوي– إلى طلاء ما يريدون تجريعه للأطفال من المعلومات استعدادا للمستقبل بطلاء من السّكر طمعا في أخذهم بالغفلة وحملهم على تقبّل ما هم عنه معرضون." (ديوي،ج.1946: 57،58)

بيد أن التربية الحقيقية هي التي تنمّي استعدادات الطفل تدريجيا لتُمكّنه من تلبية مطالب المستقبل، التي تولي العناية بظروف الحاضر، لأن الحاضر هو الذي يصنع المستقبل دون أن يترجاه أو ينتظره. ولهذا يصر "ديوي" على

ضرورة تجاوز نظرية الإعداد التقليدية بجعل البيئة داخل المدرسة وخارجها تلائم استعدادات الأطفال وطاقاتهم من أجل استغلالها بما يحقق النمو المستمر ومعه تتحقق التربية السليمة التي تتخذ من الطفل أساس كل عمل تربوي.

ب- موقف "جون ديوي" من نظرية الانكشاف في التربية :

وترجع هذه النظرية إلى كل من رجل التربية "فروبل" (Froebel)، والفيلسوف الألماني "هيجل" (Hegel) ويعتقد "ديوي" أنّ هذه النظرية التربوية تجعل من فكرة النمو أساسا لها، إلا أنّها لا تشير إلى النمو على نحو مطرد بل تعتبره انكشاف يحدث لقوى كامنة في الفرد وانكشاف هذه القوى يؤدي إلى كماله، وإذا كان كل منهما يمثلانها عمليا، إلا أن آراءهما متباينة حول كيفية حصول الانكشاف التدريجي للمبدأ الكامل وكيفية ظهوره. فبالنسبة لهيجل تتماشى نظريته والطابع العام لفلسفته فهو الذي اعتبر الإنسان روح وحرية وكل منهما على درجات ثلاث: فهناك الروح لذاته والروح في ذاته وأخيرا الروح لذاته وفي ذاته، وفي هذه المرحلة يعتقد هيجل بحدوث الاندماج الأعلى بين الروحين حينها تتحقق الحياة الروحية للوجود متجلية في الفن والدين والفلسفة (كرم، يوسف، د ت: 280)، وتظهر نظرته في التربية من خلال رسم غايتها والمتمثلة في الكمال المطلق الذي ينكشف بسلسة من المؤسسات التاريخية التي تحمل في طياتها عناصر ذلك الكمال الذي تطمح إلى بلوغه.

ويرى "ديوي" أن فلسفة هيجل هذه كانت أداة مساعدة لفهم عملية الحياة فهما صحيحا من حيث إدراكه لضعف الفلسفات الفردية المجردة واستطاع أن يدحض المذهب النفسي التربوي القائل بأن العقل قوة مهيأة لفرد قائم بنفسه بل أظهرت فلسفته أنّ المعرفة الشاملة أو الفكرة المطلقة تحمل في باطنها عوامل استمرارها، وتنوع تركيبها يكفل لها قابلية التّطور من خلال التّفاعل بين الأضداد، ويظهر لنا التّاريخ الإنساني النزاع بين المؤسسات البشرية من خلال تحدي الحضارات وتصادم الثّقافات، فهو يرى أنّ كل مؤسسة ضرورة مطلقة في زمانها ومكانها من حيث أنّها درجة من درجات تكامل العقل المطلق. فهو هنا يرفض اعتبار جميع المؤسسات التاريخية أنظمة استبدادي، وعلى هذا المنوال يريد من التربية أن تقوم بمسايرة تلك المؤسسات لا بتغييرها حتى وإن أظهر التاريخ ذلك التبدّل والتغيّر والسقوط والتحول في الكثير من المؤسسات والدول والممالك فإنه بحسب "هيجل" أثر من آثار (الرّوح العالمي) ليس للفرد دخل فيه إلا العظماء وهم الصفوة المختارة (ديوي،ج.1946: 60).

ورغم هذا الاعتراف الذي قدمه "ديوي" حول نظرية "هيجل" ودورها في التربية، إلا أنه يكشف عيوبها والمتمثلة في إهمالها لدور الفرد في العملية التربوية، وهو ليس عيبا هيّنا إذْ أن عدم التركيز على التفاعل بين الإنسان وما يحيط به يضفي على هذه التربية نوعا من الإعداد والتوجيه، فهي -بحسبه- نمط آخر لنظرية الإعداد والتهيئة، والفرق بينهما هو أنّ أصحاب نظرية الإعداد يركّزون على الأعمال المفروضة على الفرد لتهيئته، أما نظرية الاكتشاف فترتكز على الصفات الروحية المثلى للمبدأ الذي ينكشف في الفرد وفي هذا يقول "جون ديوي" :" إنّ الفكرة القائلة بأنّ النمو والتّقدم يرميان إلى هدف نهائي لا يتغيّر ولا يتبدّل، هي آخر أمراض العقل البشري في انتقاله من نظرة جامدة إلى نظرة مفعمة بالحركة (Dynamic)، فهي تقلّد أسلوب النّظرة الأخيرة فتكثر من الحديث والتّغني بالنّمو والعملية (Process) والتّقدم، ولكنها تنظر إلى هذه العمليات جميعها على أنّها مجرّد أمور انتقالية

خالية من أي معنى ذاتي، فلا أهمية لها لأن في اتجاهها نحو شيء بعيد عمّا يجري في الوقت الحاضر." (ديوي،ج.1946: 58،59) فعملية النمو هنا لا معنى لها إلاّ من حيث أنّها تحوّل حركي إذ تصبح وسيلة لغاية الإعداد فقط.

إن نظرية هيجل في التربية لا تهدف إلى ما تصبو إليه التربية التقدمية من نمو فعلي، لأنّ المربي في تصورها يحاول بكل الأساليب التربوية السليمة أن يستخرج من الطفل ما يريده، فإذا بلغ إلى ذلك فالطفل ينشئ بصورة صحيحة، وإذا لم يحدث تراه يبحث عن الوسائل بصورة غير منظمة لبلوغ مراده، ولعل من هذه الأساليب الفاشلة الاعتماد على التلقين الذي يعد خطرا على تربية الأطفال. وبالتالي هذه النظرية نصبت هدفا كاملا للنمو لكنها ابتلعت شخصيات الأفراد رغم أنها اعتنت بالفرد من حيث أنه فكرة مجرّدة، ورغم محاولة أتباعها التوفيق بين حقوق الكل وحقوق الفرد على أساس أنّ الهيئة الاجتماعية هي كائن حي على غرار الجسم في علاقته بأعضائه، لكن "ديوي" يرفض ذلك ويرى أنه إذا طبّق في التربية صار معناه التّسلط الخارجي لا النمو في معناه الحقيقي. (ديوي،ج.1946: 62)

أما "فروبل" فيرى أن هناك قوة دافعة لذلك الانكشاف وإذا كان من أهم خواص الكمال المطلق الرمزية فإنّ هذه القوة تبعث في الطفل من خلال تقديم رموز رياضية حتى يستيقظ منه الكمال الكامن فيه، ذلك أنه يعتقد بإمكانية تصميم طريقة للتربية والتعليم دائمة ونهائية يستطيع أن يستخدمها كل مربي بعيدة عن الظروف المتغيرة أو خبرات الأطفال المتمايزة، فاللعب لا يكشف عن النمو الحقيقي إلا إذا كان المربي قادرا على التوغل داخل الجانب الوجداني للطفل، وهو بهذا يؤكد على "الاهتمام بالتعبيرات الغريزية عن حياة الطفل" (ديوي،ج وديوي،إ،1962: 152)، مما يدل على أن النمو الطبيعي للنشء لا يكون على النحو الذي أكدته النظرية الطبيعية مع "روسو" بل يرتبط مع "فروبل" بالكشف عن القوى الكامنة في نفسية الطفل. ولهذا تكون كل الوسائل التربوية بمثابة محفزات تؤدي إلى انكشاف مكونات النمو، فمثلا رياض الأطفال تمثل حلقات يجتمع فيها الأطفال، فهي ليست مستعملة من حيث طريقة ملائمة لاجتماعهم فقط بل نستعملها "لأنها رموز للحياة المجتمعة التي يحياها كافة البشر." (ديوي،ج.1946: 60)

ويؤكد "جون ديوي" أن "فروبل" يؤمن بوجود علاقة تطابق بين خصائص الأشياء الخارجية وصفات العقل الحرة الطليقة وكل منهما يمثل مظهرا لحقيقة حرة واحدة، ما أظهر نتيجتين عمليتين كان لهما الأثر الكبير في اهتمام "فروبل" الشديد بالأطفال، وأما النتيجة الأولى فتقوم على توفر قانونا شاملا وكليا للنمو لدى المربيين حتى يتمكنوا من كشفه وإظهاره من الأطفال بصورة سليمة أما النتيجة الثانية فهي الجانب العملي من خلال عرض الوسائل الخارجية التي تمثل الطريقة الضامنة للنمو. ويعتقد "فروبل" أن هذه المادة الخارجية هي في صميمها رموزا رياضية، فمثلا ألعاب الأطفال التلقائية تمثل رموزا إذْ لا تخرج عن الدوائر والمستقيمات وغيرها من الرموز الرياضية التي تثير الشعور لدى الطفل، ومن هنا كان اللعب في نظره يأخذ طابعا مميزا على خلاف دوره الطبيعي، فاللعب عنده أداة تربوية لا لطبيعته بل لأنه رمز لقانون عالمي موجود (ديوي،ج وديوي،إ،1962: 152 ، 153).

هكذا أخذ اللعب اهتماما خاصا عند "فروبل" فأراد التركيز على القوى الكامنة في الطفل والعمل على بعثها بما يضمن النمو.

ويشيد "ديوي" بما قدمه "فروبل" في تقدير أهمية الاستعدادات الفطرية للأطفال واهتمامه بها، ما سمح بانتشار فكرة النمو والاعتراف بها في نظريات التربية، لكن ما يعيبه "جون ديوي" على نظرية فروبل هو اعتبارها النمو انكشاف لقوة كامنة جاهزة، ويؤكد أن ذلك الاعتقاد أخرج النمو عن طابعه المستمر، ولهذا اعتبرها فكرة فلسفية متعالية بعيدة عن الخبرة، غير قابلة للفهم وبخاصة لما جعل "فروبل" الخبرة رمزا للمثل المتعالية وجعل الوقائع المعروفة رموزا لبلوغ النمو المتعالي دون أن يبتكر أسلوبا معينا يبصرهم بمعاني الرموز الحسية (ديوي،ج.1946: 60).

ج- موقف "ديوي" من نظرية التّرويض الشّكلي:

ترى هذه النّظرية أنّ مهمة التربية هي خلق قوى معيّنة للعمل بالتدريب فالشخص المدرّب يكون أداؤه لمهامه أكفأ وأسرع، وترى أن في العقل عدد معيّن من القوى يجب تدريبها، وهي قابلة للإحصاء، وتأخذ هذه النّظرية اسم "التّرويض الشّكلي" إذْ ترتبط بطريقة الترويض والتدريب، أما عن تلك القوى فتتمثّل في الإدراك والتّذكر وتداعي المعاني والانتباه والإرادة والشّعور والتّخيل والتّفكير وهي قوى يتم تكوينها بالتمرين. (ديوي،ج.1946: 63) وكان "جون لوك"(J.Locke) أول من بسط هذه النظرية في الميدان التربوي، وميّز بين محتويات المعرفة التي تأتي من العالم الخارجي للفرد ويتلقاها بالحواس وبين ما يحتويه العقل من قوى مهيأة كالإدراك والملاحظة والتحليل والتركيب، فإذا استطاع العقل تحليلها وتركيبها على نحو صحيح حصلت عنده المعرفة.

وأمّا ما يخص التربية فترتبط النظرية بكيفية تدريب القوى العقلية حتى يتعوّد عليها العقل ويتم تثبيتها وذهب "لوك" إلى ضرورة ترويض قوة التفكير ذاتها باستعمال بالرياضيات فهي القادرة على ذلك، فمن النّاحية العملية وضعت هذه النّظرية مهاما محددة وواضحة للمربّي، بحيث يستطيع أن يقوم بتكرار عمليات الملاحظة والانتباه والحفظ في كل عمل تربوي، كما مكنت من خلق نظام كامل للتّدريس بتدريج الأعمال حسب صعوبتها في مجموعات، ويؤكد "جون ديوي" على أنّ هذه النّظرية لاقت رواجا كبيرا بعد "لوك" رغم عدم ذكر اسمه صراحة (ديوي،ج.1946: 64)، ويضيف أن هناك ترابط بين المنبّهات والرجاع، فالمنبهات البصرية تثير الرجاع، فمثلا رؤية اللّهيب يمنع رجع مد اليد، وكلّما كان التكيّف بين الرجع والمنبّه تقلّ ميزة التّدريب من النّاحية الفكرية والتّربوية، ويعتقد أصحاب هذه النظرية أنّ الطالب إذا تمرّس على الإملاء تزداد قدرته على الملاحظة والانتباه والتّذكر (كالتركيز على شكل الكلمات ومعانيها أو النّصوص التي تستعمل فيها أو ما يشتق منها من ألفاظ) وبالتالي يستعملها في وقت الحاجة، لكن الحقيقة في نظر "ديوي" عكس ذلك ،فالقدرة التي يستعملها الفرد في ملاحظة الأشكال والتّركيز عليها لا تكون قابلة للانتقال في إدراك أشياء أخرى. (ديوي،ج.1946: 66، 67)

ومن قراءة "ديوي" لنظرية التّرويض الشّكلي تتضح عيوبها، إذ اعتبرها ترجمة للصراع الثّنائي الذي كان سائدا آنذاك فهي تؤمن بأن المعرفة التي يتعلمها الفرد واقعية ثم تجعل غاية التربية هي تكوين القوى الفردية وبالتالي تصطبغ بصبغة مثالية، كما اعتبرها أيضا فلسفة شيئية تهمل الطابع الجماعي للإنسان، وتركز على هدف التربية

والمتمثل في الوصول إلى الكمال الفردي الذي يكتمل بعد ترويض كل قواه الفطرية ويصبح قادرا على خلق أفكار صحيحة بمفرده. وأما الاعتقاد بوجود قوى فطرية مزعومة فهو في نظر "ديوي" محض خرافة، إذ ليس هناك قوى جاهزة قابلة للتدريب بل هناك غرائز وميولات كميل العينين لتتبع الضوء، وميل عضلات الرقبة إلى الدوران لتتبع الصوت فهي استجابات متشابكة لتغيرات مختلفة، وعليه فتدريب القوى الفطرية ليس صقلا وتقوية للعضلات بالتمرينات، إنما ترتبط بالميل والاهتمام والاستجابة للمؤثرات، في حين أن ما يتم ترويضه هو الجانب العضوي كمد اليد وغيرها (ديوي،ج.1946: 65).

فهذه النظرية، تعتبر أنّ المادة شيءُ مستقل عن الفرد، وقيمتها تتوقف على ما تقدّمه من الفرص لتدريب القوى العامة فهي بفصلها هذا تضحّي بالإبداع وسرعة التكيف التي تقوم على التّفاعل الواسع بين أشكال مختلفة من الأعمال، وبناء على ذلك رفض "جون ديوي" أن تتكون الخبرة والتجربة من قوى خارجية وبعيدة، بل تتم من عمق التفاعل الواقعي "بقيس المستقبل على الماضي وتتبعه أو نستخدم الماضي كمورد لبناء المستقبل." (أحمد القوصي، إ، 1928: 27)

د- موقفه من نظرية هربارت (التربية عملية تكوين) :

نظرية هربارت (John Friedrich Herbart) تُنكر وجود القوى التي تنكشف من داخل الفرد مثلما رأى "فروبل"، ولا تؤمن بتدريب لقوى ثابتة في العقل كما رأى "لوك"، وإنّما هي عملية تكوين للعقل وذلك بعرض المواد الدّراسية من الخارج. ويرى "ديوي" أنّ هذه النّظرية تسير بالتربية إلى طريق التّعليم، لأنّ هذا الأخير يعني إدخال المادة التّعليمية من الخارج إلى العقل بما يسمح من توسيع الدائرة الفكرية للمتعلم وتنمية اهتماماته أو ما يُسمى بالتثقيف الذي ينمي من إرادة الطفل ويسمح بتكوينه تكوينا سليما، و"هربارت" يُمثل هذه الطّريقة أحسن تمثيل، إذْ يرى أنّه ليس في العقل إلاّ القوة التي تساعد على تكوين صفات تتماشى مع ما يؤثر فيه ويستجيب له في الواقع فلا وجود لقوى فطرية أخرى، وأنّ ما يتكوّن في العقل يمثّل صورا ذهنيّة تستقر فيه بعد تكوينها، فإذا ما تكوّنت فيه صورا جديدة أقوى منها ذهبت الصور الأولى إلى عتبة الوعي (Threshold of Consciousness) (ديوي،ج.1946: 72)، والقوى العقلية ناشئة عن تركيب هذه الصورة الذهنية، فالتّذكر مثلا هو استثارة صورة قديمة وإخراجها فوق مستوى الوعي بوصلها بصورة أخرى. وهذا ما ساعد "هربارت" على بناء نظريته الشّهيرة في الانفعال، فالانفعال عملية ناتجة عن الاختلاف بين التّصورات الذهنية، وأما المضامين التربوية لهذه النظرية يمكن إيجازها فيما يلي:

1- إنّ العقل يتكوّن من صور و تمثّلات ذهنية تأتي من الاستجابة لاستثارة الأشياء التي يتفاعل معها العقل ويتأثر بها وتأتيه من الخارج.

2- هذه الصور و التّمثلات هي التي تكّون القوى العقلية كالإدراك والتذكّر والانفعالات وعلى المربّي أنْ : يختار المادة المناسبة التي تؤثر في العقل لتعيين الاستجابات الأصلية، وينظّم تسلسل الصور التالية استنادا إلى مجموعة

الأفكار التي حصل عليها العقل بعمليّاته الفكرية السابقة، فالسيطرة على التّفكير تتولّد من الماضي على عكس ما يرى أصحاب نظرية الانكشاف. (ديوي،ج.1946: 73)

3-إن نظرية هربارت أحدثت أثرا كبيرا حينما بيّنت أن المادة التّعليمية التي تقدّم للأطفال ذات قيمة عليا، ثم قدم مخططا مفصّلا يمكن من ربط الغاية بالوسيلة وربط التربية بالأخلاق لأن هدفه هو تقوية الفرد خلقيا بخلق الإرادة المتحررة من داخله حتى يكون السلوك المرجو منه يتماشى والقانون الأخلاقي. فبنى "هربارت" التربية على أركان ثلاثة وهي: "التثقيف والنظام والتدريب" (الحفني، ع، 1999: 1505) وكان هو وتلامذته جادّين في انجاز شيء ما في سبيل تقدّم الإنسانية فكانوا رجال أعمال لا أقوال.

لقد وقف "جون ديوي" من النظرية الهربارتية موقف الناقد تارة والمشيد تارة أخرى، حيث اتبع بعض مبادئها وخصوصا فكرة الاهتمام، كما عاب عليها تركيزها على الجانب النفسي لدى المعلم أكثر من المتعلم، ويرى أنّه يمكن وضع خطوات شكلية لجميع صور وأساليب التّعليم بحيث يكون عرض المادة الدّراسية الجديدة هو المحور الأساسي لتلك الخطوات والتي تنطلق بالتّمهيد ببعث الصور القديمة وتنشيطها وإبرازها فوق مستوى الوعي فتكون بمثابة الأرضية التي تتهيأ لها الصور الجديدة، ثم تأتي عملية التّفاعل بين القديم والجديد من خلال القيام ببعض الأعمال، ولهذا السبب ركّز "ديوي" في بحثه على موضوع يعتبر صميم العقيدة الهربارتية وهو الاهتمام، مع تحليل تفصيلي لطبيعته فالمشكلة التي يراها هنا تدور حول جعل تعليم المربي مشوّقا بما يضمن اهتمام التلاميذ، وهذا ما جعله يستعرض سلسلة كاملة من التّصورات النّفسانية مثل: الانتباه، والانفعال والرّغبة والإرادة، وينظر إلى النظرية الهربارتية في جوهرها بأنها عبارة عن علم نفس المدرّس لا علم نفس الطفل، وساعده في تأليف كتابه الذي يحمل عنوان "الاهتمام والجهد في التربية" سنة (1913م)، وفيه أكد على ما ذهب إليه "هربارت" في أن التركيز على مطالب الطفل وقدراته الكامنة في نفسه هو الذي يحقق النمو فيه لكن "ديوي" أضاف على ذلك، الاهتمام بمتطلبات المجتمع التي هي بدورها تمثل عاملا مساعدا على تربية الأطفال الأمر الذي جعله يؤلف كتابه "المدرسة والمجتمع" عام (1915م). (ديوي،ج وديوي،إ،1962: 24).

ثانيا- ملامح التربية البراغماتية عند جون ديوي:

بعد ما اطلع "ديوي" على تلك النظريات في التربية وعناها بالتحليل العميق، ناقدا ومثمنا، وداعيا إلى التعديل أو التغيير، أو التبني والممارسة، أمكنه من رسم ملامح التربية البراغماتية، والتي نذكر من ملامحها ما يلي:

أ- ثورة في وجه الفكر التربوي التقليدي:

1- في مفهوم التربية وأهدافها:

شرع "جون ديوي" في بناء فكره التربوي التقدمي، بدءا بتجديد معنى التربية، وابعاده عن طرحه التقليدي، وهنا حاول أن يبين بأنها ليست إعدادا للحياة، بل هي الحياة نفسها، إنها عملية نمو وتعلّم، وبناء وتجديد مستمرين للخبرة، ولكي تكون التربية على ذلك النحو، يدعو "ديوي" إلى ربطها بشؤون الحياة، ومراعاتها لشروط النمو والتعلم، وضمانها للتفاعل الاجتماعي في جو ديمقراطي صالح (التومي الشيباني،ع، 1962: 349) ، ويؤكد

"جون ديوي" أن عيب التربية التقليدية هو اهمالها لدور الخبرة وتركيزها على الظروف الخارجية للمتعلم، وبالتالي لم تراعي العوامل الداخلية المرتبطة بميولات المتعلم وبقواه، والتي لا يمكنها البروز إلا في حالة التفاعل داخل الخبرة.

وتبعا لذلك، تصور "ديوي" أهداف التربية، وأكد على أنه لا يمكن أن يكون لها هدف خارج التربية نفسها، أي أن هدفها هو استمرار المتعلم في التربية وبالتالي نموه وتعلمه وتكيّفه في حياته، فلا ينبغي –حسب نظره– أن يكون للتربية أهدافا مفروضة من الخارج، فما هو مفروض من الخارج يكون بعيدا عن خبرات التلاميذ ونشاطاتهم، بينما الأهداف التربوية تلك التي يشترك التلاميذ في تحديدها على ضوء خبراتهم وحاجياتهم، وتنبع من نشاطاتهم وفي هذا يقول: (حسبنا أن نجعل من العمل الرامي إلى هدف والعمل الذكي شيئا واحدا لندلل على قيمته ووظيفته في الخبرة ... وبعبارة أخرى إن صاحب الهدف يعمل وهو يقصد إلى معنى معين ولا يسير كما تسير الآلة الصماء، أي أنه يعني القيام بعمل ويدرك معاني الأشياء في ضوء قصدنا هذا) (ديوي،ج، 1946: 107)

ففي نظر "جون ديوي"، (أنه ليس في فلسفة التربية التقدمية، نقطة أكثر وجاهة من تأكيدها أهمية اشتراك المتعلم، في تكوين الأهداف التي توجه، نواحي نشاطه في عملية التعلم، كما أنه ليس هناك نقص في التربية التقليدية، أكبر من إخفاقها في الحصول على تعاون التلميذ تعاونا إيجابيا في بناء الأهداف التي تتضمنها دراسته) . (التومي الشيباني، ع، 1962: 351).

2– تقديم المتعلم كمركز لكل عملية التربوية:

تتفق جميع الفلسفات التربوية المعاصرة على أن خطأ التربية التقليدية هو جعلها الثقل في العملية التعليمية خارج المتعلم، لاتخاذها من المادة المعرفية التي ينبغي للمتعلم تحصيلها غايتها المنشودة، وتحقيق تلك الغاية لا يكون إلا إذا طُبعت الأنشطة التعليمية بطابع السلطوية، فإرغام المتعلم على التقليد والتكرار والحفظ والسماع، في سبيل صب المعرفة في ذهنه، انعكس على سلوكه سلبا، فقُتلت فيه روح المبادرة والابتكار، وزرع فيه الخوف، والتعصب، وكراهية الأنشطة التعليمية، مما انجرّ عنه فقدان الثقة بالنفس (فؤاد الأهواني،أ، 1968: 47) وهذا ما يتنافى مع جوهر التربية وأهدافها.

إن ميزة الثورة التقدمية التي أحدثها "جون ديوي" في ميدان التربية، المتمثلة في تغيير مركز بناء القضايا التعليمية من أفكار ونظريات تربوية إلى مناهج وطرق دراسية، يتماشى وروح الفلسفة المعاصرة، التي عكست قلق الانسان ومعاناته اتجاه قضايا الوجود، تلك المعاناة ناتجة عن الفلسفة التقليدية التي أغرقته في التجريد وأبعدته عن الواقع، وعملت الفلسفة المعاصرة على ممارسة القطيعة مع التأملات المجردة والتوجه إلى الانسان بتجديد طاقاته الروحية، وتقديرها للعلم وما ينتج عنه من عمل نافع، فكذلك الأمر مع الفكر التربوي التقدمي، حيث أصبح الطفل مركز الاهتمام تدور حوله جميع التطبيقات التربوية بعدما كانت مع الفلسفات المجردة خارجة عن مجاله بعيدة عن قواه الذاتية وواقعه المعيش.

هذا التحول الذي أحدثه "ديوي" في التربية بدعوته لجعل المتعلم مركزا لكل عملية تربوية، فتح مجال الاهتمام على الجانب النفسي للمتعلمين، إذ تتخذ التربية التقدمية من الاهتمام والميل هدفان تربويان، وبالتالي ينبغي بناء

المناهج الدراسية من المراحل الأولى من التربية على ما يناسب اهتمامات المتعلم (ديوي،ج،1966: 67) التي تسمح له من أن ينطلق انطلاقة صحيحة في سبيل الوصول إلى شخص فعال في الحياة المتغيرة والمتطورة (ديوي،ج،1949: 17) غير أن "ديوي" يستدرك أمرا في غاية الأهمية، والمتمثل في ضرورة مراعاة التوافق بين الاهتمام والمجهود، أي بناء المناهج الدراسية يجمع بين اهتمامات المتعلمين وكذا قدراتهم على انجاز تلك الأنشطة، مع الأخذ بعين الاعتبار أيضا أمران مهمان وهما، أن الجهد العملي للمتعلم ليس هدفا اساسيا في التربية، أما الأمر الثاني فهو أنه كلما شعر الطفل بأن النشاط يعبر عن اهتمامه كلما كان الجهد الذي يبذله كبيرا، لهذا فلا يجوز كبت اهتمامات المتعلمين، مهما كانت بساطتها، لأنها مداخل يلج لها المربي للتنمية الاخلاقية والاجتماعية والنفسية (مصطفى إبراهيم،إ،1999: 138، 139)

ب- الخبرة وأبعادها التربوية:

1-جون ديوي فيلسوف الخبرة:

إن الخبرة التي يعنيها "جون ديوي" ليس المقصود منها، المعرفة أو المهارة التي تنتقل من فرد إلى فرد ومن مكان إلى آخر، وإنما تعني ما يكسبه الفرد عن طريق التفاعل الذي يبديه تجاه موقف ما من المواقف التي ترتبط بظروف الحياة المحيطة به، فيتعلم من نتائج هذا التفاعل ليصبح ما تعلمه، جزءا من سلوكه مهما كان نوع المعرفة المكتسبة منه، إنها وسيلة وثيقة الصلة بظروف الحياة، كما تسهم في استحداث مواقف جديدة وتهدف دائما لإزالة الصعوبات (ديوي،ج،1960: 111).

وتتجلى الخبرة عند "جون ديوي" في ارتباطها بتصور الأهداف التربوية حيث يستند كل هدف إلى الظروف الاجتماعية المحيطة بالتعلم، وبما أن الإنسان في نظر البراغماتيين هو محصلة تفاعل بين مكوناته البيولوجية والعقلية مع محيطه الاجتماعي، فإن ما ينتج عن ذلك التفاعل من خبرة هو الذي يؤدي إلى التغير والنمو، فالخبرة العقلية مثلا قدرة مكتسبة وليست موهبة فطرية، فتلك الخبرة تهدف إلى النمو الذي يهدف إلى نمو آخر في سيرورة يطبعها التغير والديناميكية، وذلك التغير لا يخص جانبا دون آخر، إنما يمس العقل والجسم معا، هكذا يحدث التعلم نتيجة تفاعل بين القوى العقلية والتجربة، فتنمو قواه الذهنية وتصقل مواهبه، ويستفيد من معارف تساعده في حياته.

يجعل ديوي مفهوم الخبرة أساسا للتربية ومعيارا للحرية، وهي ليست مرادفة للمعرفة يسهل نقلها وتوريدها، وإنما تعني موقفا من المواقف التي يعيشها الفرد مع الآخرين في تفاعل و تأثير، وفيها يتعلم ويكتسب، فتصبح جزءا من سلوكه مهما كانت نوع المعرفة ، أو المهارة، أو السلوك المكتسب (عفيفي،م،هـ،1978: 171)، ذلك هو المفهوم الإجرائي للخبرة، فهي عملية تحديد بناء الخبرة، خبرة الفرد ، وخبرة المجتمع والواقع، عبارة عن سلسلة خبرات تخدم كل خبرة لاحقة، فالتربية توظف الخبرة لتزيد من ارتباطات و اتصالات الفرد بمحيطه ، وتثري فكره

بالمعاني التي يستطيع اختيارها، فيكتسب الفرد سيطرة وقدرة على التكيّف مع ما حوله وفقا لاحتياجاته وما يحيط به (العراقي، س، د ت، 198) .

من المقومات الأساسية للخبرة التربوية –في نظر "ديوي"– هو (اتصافها بصفة **الاستمرار**، واشتمالها على **التفاعل** الصحيح، وتكون الخبرة متسمة بالاستمرار، فإنها تكون متصلة بالخبرات السابقة وممهدة ومسهلة، لخبراته اللاحقة) (التومي الشيباني، ع، 1962: 350).فالاستمرار أو التواصل، هو سمة ضرورية في الخبرة التربوية، فكل خبرة تأخذ من الخبرات الماضية وتستفيد منها، وتتصل بالخبرة اللاحقة لتأخذ بها إلى مستوى أفضل)ديوي، ج،1954: 32) والخبرة التربوية الصالحة هي التي تضمن للمتعلم المشاركة الفعالة داخل المدرسة والمجتمع، وتبتعد عن كل إكراه يجبر المتعلم على توجه معيّن سلفا، فالاستمرار في الخبرة يضمن للمتعلم النمو من الناحية الجسمية والذهنية والأخلاقية.

2-الرّبط الوثيق بين الفكر والعمل (الطرق العملية بديلا للطرق التلقينية):

خرجت التربية البراغماتية على النهج التقليدي الذي يتّخذ من الحفظ و تلقين المعارف أهم وظيفة تربوية ، و اتجهت إلى ربط وظيفتها بمدى قدرتها على التوافق مع الحياة الاجتماعية التي يعايشها المتعلم حتى تنشط قوى الطفل.

ولأجل ذلك كانت المدرسة المكان الذي يحوي المتعلمين و يوفر لهم ما يبقيهم على صلة بما يحدث في واقعهم من تغيرات ، ولتحقيق ذلك تغيرت مناهجها و وسائلها و حتى تجهيزاتها ، وكانت جميعها في سبيل أن تكون معاونة على العمل والحركة، ونذكر هنا **طريقة حل المشكلات** التي تعد ترجمة للتجديد التربوي الذي يدعا "ديوي" أن يتماشى والتطور العلمي الذي أحدثه المنهج التجريبي، ووضح لتلك الطريقة خطوات لا تختلف في مبناها على مراحل التجريب التي خطها "بيكون"، وتستند طريقة حل المشكلات على التّعلم الذاتي المنظّم ، وتبدأ بالشعور بمشكلة معينة ،ثم تحديدها ،ويقوم المعلم بصياغة الفروض التي يحتمل أن تحلّها ، ثم يجمع البيانات و الأدلة المؤيدة لتلك الفروض.

أما **طريقة المشروع** فقد وضع أسسها "جون ديوي" وطوّرها تلميذه "وليام كلباتريك" وهي أيضا ترتبط بالتعلم الذاتي وتمثل بحق التعليم النشط لقائم على الأعمال اليدوية وتقوم على: اختيار الموضوع ، تحديد الغرض منه، رسم خطته، تنفيذ الحكم عليه.

ربط المدرسة بالواقع وبالحياة، مهمة التربية التقدمية، لأن مفتاح السعادة هو أن يكتشف المرء العمل الذي يصلح له و يجد الفرصة لمزاولته.(ديوي، ج،1946، 320) فالتربية عن طريق المهن ، تجمع في ثناياها من العناصر المؤدية إلى التعلم ما لا يتوافر في أي طريقة أخرى ، حيث تبرز الغرائز و العادات و تستغلها، و تنظمها ، فالمهنة التي يتعلمها الفرد يكون الهدف فيها تحقيق عمل من الأعمال أكثر من مجرد انتاج نتاج خارجي . وإذا كانت هذه التربية حظ جميع الناس في الحياة ، إلا أن جون ديوي يرفض إعداد المتعلم إلى حرفة ما بعينها، فذلك من قبيل

التربية التسلطية التي تقضي على حرية المتعلم ، وتهمل الأشياء التي تولعه و تشده و يرغب فيها ، و البديل الوحيد هو جعل المراحل الأولى من التربية غير المباشرة، أي الانهماك في الأعمال الحية التي تبعث بها حاجيات المتعلمين واهتماماتهم ، و بهذه الطريقة تنكشف ميولاتهم ويعرف المربي الاستعدادات الشخصية معرفة حقيقية ، ما يمكنه من اختيار المهنة المناسبة للطالب (ديوي،ج، 1946، 322).

وأضحت المدرسة في المنظور البراغماتي، صورة مصغرة عن الحياة الاجتماعية، مناهجها تحاكي ظروف الحياة المتنوعة، فيها يُشَد أنتباه المتعلمين، وتزداد اهتماماتهم بالأنشطة المقترحة لأنها تتماشى وواقعهم المعيش، وفي المدرسة يتعلم الأطفال أساليب الحياة المتقدمة، فيتعلمون المشاركة في المشاريع والأعمال بما يبث فيهم روح التعاون، وبما يشعرهم بالمسؤولية، وبكل حرية، ولهذا ترفض التربية البراغماتية اختزال الديمقراطية في الممارسة السياسية أو في نوع النظام القائم، فالحرية ، والمشاركة الحرة ، و روح المسؤولية يمثل أساليب في الحياة ، يمكن تربية المتعلمين عليها ، ولهذا على المدرسة أن تجعل من هذه القيم أساسيات في مناهجها ،فتصبح المدرسة الوسيلة الرئيسية لتحويل حالة الإثارة للديمقراطية في اتجاه مثال الديمقراطية باستمرار.(شنيدر، هـ، 1964: 199).

وصفوة القول، أن جون ديوي، بنى فكره التربوي، مستعينا ببراغماتيته الأداتية، حيث استخدمها كمنهج، في قراءته للنظريات التربوية التقليدية، واستفاد من أخطائها، وسعى إلى قيادة الحركة التقدمية في التربية مع مطلع القرن العشرين، بعدما أحدث ثورة عميقة في الفكر التربوي عموما، ورسم معالم التربية التقدمية التي تتماشى والتطورات الحاصلة في جميع مناحي الحياة المعاصرة، لقد كان لفكر "ديوي" التربوي أثرا عظيما على تربية عصره، ليس في أمريكا وحدها فقط، بل في جميع أنحاء العالم، ويظهر تأثير هذه الأفكار في معظم الحركات والطّرق التّربوية التي ظهرت في أمريكا بين الحربين العالميتين، وذلك كحركة التّربية التّقدمية، وحركة منهج النّشاط، و المنهج المحوري، وكطريقة "دالتن"، وطريقة "ونيتكا"، وطريقة المشروع.

الخاتمة:

وأخلص من قراءات "جون ديوي" لمختلف النظريات التربوية عبر التاريخ، ومما رسمه من معالم للتربية التقدمية، إلى الاستنتاجات الآتية:

– أنه لم يكن متطرفا ولا ناقدا جارحا لأيّ نظرية من النظريات التي اطلع عليها، بل كان يظهر تقديرا لها، لأنه يؤمن بأن بناء تربية سليمة وتقدمية يقتضي الاستفادة من كل النظريات مهما كانت عيوبها. ولقد حاول كشف محاسن بعضها للأخذ بها ومساوئ البعض الآخر لتجاوزها، آملا في الوصول إلى النظريات التربوية الصحيحة التي تضمن استمرارية الحياة بما يواكب التطورات والتغيرات التي تحدث فيها، ومن كل هذا شرع "ديوي" في بناء التربية التقدمية والتي عرضنا معالمها.

– لم تكن نظرة "جون ديوي" للتربية بعيدة عن نظرته الفلسفية، إذْ اعتبر هذه الأخيرة نظرية عامة في التربية وجعل كل منهما شديد الارتباط بالحياة الاجتماعية، واستعان بمنهجه البراغماتي، إنه المنهج الأداتي في معالجته للرؤى والأفكار التي قدمها الفلاسفة ورجال التربية عبر التاريخ، ،فهو يقف أمام كل نظرية بالتحليل، فتارة ينقد

وأخرى يثمّن، محاولا الاستفادة مما حوته هذه النظريات من أفكار قد تسهم في بناء التربية التقدمية، فالبراغماتية ترى أن العبرة بنتائج الأفعال، لا في الأفعال ذاتها.

– مواقفه تلك، تدل على إيمانه بأن، التربية متجددة في مجالاتها وطرقها ومناهجها وحتى مؤسساتها، وهو بذلك يخالف الطرح الكلاسيكي، الذي يقر بثبات التربية في مفهومها وأهدافها.

– يرفض كل نظرية تجعل من المادة المعرفية هي الغاية المنشودة بعيدا عن قوى المتعلمين واهتماماتهم، ولعل هذا الذي جعله يدعو إلى الثورة على تلك الأفكار التي يراها بالية في التربية الكلاسيكية، تلك التي اهملت المتعلم، وجعلت المعرفة هي مركز كل عمل تربوي.

–انتهى من قراءته لتلك النظريات، أن التربية هي المخبر والمحك الذي يقف على صدق التصورات الفلسفية والتربوية ومدى نجاعتها، واعتبر فلسفة التربية هي استخدام الطريقة الفلسفية في التفكير حول المسائل التربوية، كيف لا وهو الذي أكد على أن الفلسفة هي النظرية العامة في التربية.

– كل نقد وجّهه جون ديوي لنظريات الاعداد أو الترويض أو مما لاحظه على نظرية الاهتمام وغيرها، إنما هو طموح إلى جعل التربية مواكبة لروح العصرّ، متماشية مع المتغيرات العلمية الحاصلة في الحياة، ولأجل ذلك سعى لرسم معالم جديدة للتربية، أراد تجسيدها وفق فلسفته في الخبرة ، والتي كانت أساسا قويّا لبناء تصوّراته التربوية فهو الذي لقّب بفيلسوف الخبرة لكنه لم يكن متطرفا لها، بل وجّه المربيين إلى السلبيات التي تترتب على الخبرات غير التربوية، إذْ يعتبر أن هناك بعضا من الخبرات لا يحقق أهدافا تربوية بل تتعارض معها، ومن أجل هذا وضع شروطا ومميزات لكل خبرة تربوية صالحة.

المصادر والمراجع:

أولا المصادر:

1- ديوي، جون، (1960) **البحث عن اليقين**، ترجمة أحمد فؤاد الأهواني، القاهرة، دار إحياء الكتب العربية مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر.

2-ديوي، جون،(1949)، **التربية في العصر الحديث**، ج1 ترجمة عبد العزيز عبد المجيد ومحمد حسين المقرجي، مراجعة محمد بدران، القاهرة،، مكتبة النهضة المصرية.

3-ديوي، جون، (1954)، **الخبرة والتربية**، ترجمة محمد بسيوني ويوسف الحمّادي، مصر، دار المعارف.

4- ديوي، جون، (19460، **الديمقراطية والتربية**، ترجمة، متى عفراوي وزكرياء ميخائيل، القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر.

5- ديوي، جون، (1966)، **المبادئ الأخلاقية في التربية**، ترجمة عبد الفتاح السيد هلال، مراجعة أحمد فؤاد الأهواني، القاهرة، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة.

6- ديوي جون وديوي إيفلين، (1962)، **مدارس المستقبل**، ترجمة، عبد الفتاح المنياوي، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة.

ثانيا– المراجع:

7 – أحمد القوضي، إحسان، (1928)، **رسالة في فلسفة التربية الحديثة "ملخصة من آراء العلامة الأستاذ جون ديوي"**، مصر، طبعة المعارف.

8- الحفني، عبد المنعم، (1999)، **موسوعة الفلسفة والفلاسفة**، ج1، ج 2 ، ط 2، مكتبة مدبولي.

9- سيد مرسي، محمد، (1988)، **التربية والطبيعة الإنسانية في الفكر الإسلامي وبعض الفلسفات الغربية**، القاهرة، دار المعارف القاهرة.

10 – العراقي، (د.ت)، **تاريخ وتطور اتجاهات الفكر التربوي**، الإسكندرية، مكتبة المعارف الحديثة.

11– عفيفي، محمد الهادي، (1978)، **في أصول التربية**، القاهرة، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة.

12- فؤاد الأهواني أحمد، (1968) ،**جون ديوي**، مصر، دار المعارف بمصر.

13- كرم، يوسف، (د ت)، **تاريخ الفلسفة الحديثة**، بيروت، لنان، دار القلم، بيروت، لبنان.

14- محمد التومي الشيباني، عمر، (1962)، **تطور النّظريات والأفكار التربوية**، ط3، الدار العربية للكتاب.

15- مصطفى إبراهيم، إبراهيم، (1999)، **نقد المذاهب المعاصرة**، ج1، الإسكندرية، دار الوفاء.

تاريخ الاستلام: 2016/05/08- تاريخ التحكيم: 2016/09/22 -تاريخ النشر2016/12/30

السَّمَةُ الموسوعيّة التّكامليّة في مُؤلّفات العلماء المسلمين. مقدّمة ابن خُلدون أنموذجا.

أ. إسماعيل عريف

جامعة الشّهيد حمّه لخضر الوادي (الجزائر)

❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁

الملخّص:

تتمحور هذه المداخلة حول تلك السّمة الشّموليّة التّكامليّة التي امتازت بها مصنّفات علماء الإسلام؛ إذْ كان هؤلاء يجمعون في المؤلَّف الواحد أنواعا شتّى من العلوم المتكاملة فيما بينها من النّاحيّة المعرفيّة، و هذا ما أُصطلح عليه بالموسوعيّة في التّأليف؛ تلك الملكة التي تتأتّى من غزارة العلوم و المعارف التي كان يضطلع بها العلماء المسلمون قديما، و قد خصّصنا هذه الورقات لسفرٍ علميّ ضخم ذو مكانة مرموقة و أهميّة كبيرة في المجال العلميّ لدى أعظم الباحثين؛ إنّه مقدّمة ابن خلدون؛ التي اخترناها كنموذج لتبرير دعوى السّمة الموسوعيّة في مؤلّفات علماء الإسلام، لما حوته هذه المقدّمة من علوم شتّى و معارف غزيرة، ممّا يؤكّد ببرهان صادق عن موسوعيتها و تكاملها المعرفي.

الكلمات المفتاحيّة: السّمة الموسوعيّة، التّكامل المعرفي، علماء الإسلام، العلوم و المعارف، مقدّمة ابن خلدون.

Résumé:

Centrer cette intervention sur les caractéristique de totalitarisme complémentaire qui a été caractérisée par les travaux de savants de l'Islam, ce sont ceux de collecte par l'auteur de divers types de science intégrée entre eux en termes de connaissances, ce qui est ce qui a été appelé Bmosusah création, la reine, qui vient de l'abondance de la science et de la connaissance, qui a été réalisée par les savants musulmans dans les temps anciens, et a mis de côté ces articles scientifiques pour voyager énorme une place de choix et d'une grande importance dans le domaine scientifique avec les plus grands chercheurs, il est l'introduction d'Ibn Halden, nous avons choisi comme modèle pour justifier un procès attribut encyclopédique érudits de la littérature de l'Islam, ce Hute cette soumis par les sciences et les pluies de connaissances diverses, ce qui confirme la démonstration de sincère Mosusatha et l'intégration des connaissances.

تمهيد:

لقد أُثر عن علماء المسلمين القدامى غزارة التّأليف في شتّى العلوم و المعارف العلميّة المختلفة، و ذلك عائدٌ إلى نباهة مداركهم، و تفتّق عقولهم، و سِعة اطّلاعهم، و اهتمامهم بالبحث الجادّ في المسائل العلميّة الدّقيقة و الشّائكة، و إدراكهم لحاجة النّاس الماسّة إلى مثل هذه المصنّفات التي تُزيح عن كواهلهم عناء الاستقصاء عمّا يُؤرّقهم من قضايا دينيّة و دنيويّة، و تُريحهم من مشقّة الأسفار و التّنقّلات بحثا عن المصادر التي تبيّن لهم أحكام دينهم و شؤون معاشهم، و كلّ هذا اِئتمارا بالقرآن الكريم الّذي حثّتهم آياته بالتّبصّر و التّفكّر في خلق السّماوات و الأرض، و الاشتغال بطلب العلم النّافع الّذي يفيدهم في الدّنيا و الآخرة، و تأسّيًا بنبيّهم عليه الصّلاة و السّلام الّذي رغّبهم في العلم، و حثّهم على طلبه مهما كانت الظّروف و في كلّ الأحوال.

و قد اتّسمت تآليف هؤلاء العلماء بالموسوعيّة التّكامليّة و الشّموليّة، فكان الكثير منها لا يقتصر على بحث موضوع واحد، أو فرع علميّ خاصّ، و إنّما يَطْرُقُ عدّة مواضيع، و يبحث كثير من القضايا المتنوّعة و المختلفة، فيطّلع القارئ في الواحد منها على الشّؤون السّياسيّة، و الأحكام الدينيّة، و الظّواهر الاجتماعيّة، و الأحداث

التّاريخيّة، و القضايا الفلسفيّة، و غير ذلك من المناحي الحياتيّة و العلميّة الأخرى، ممّا يضفي عليها طابع الاحتواء لكافّة صنوف العلم و مقاصده.

و تبرز هذه الصّفة جليّة في كتابات و مؤلّفات بعض العلماء الّذين آثروا هذا المنهج، أمثال: **ابن تيميّة**، و **الغزالي**، و **ابن حزم**، و **الشّهرستاني**، و غيرهم **كابن خلدون** الّذي جعل من مقدّمته موسوعة علميّة متكاملة فيما بينها و شاملة تضمّ بين دفّتيها صنوفا شتّى من العلوم و المعارف؛ و التي اخترناها كنموذج معبّر عن السّمة الموسوعيّة التّكامليّة في مؤلّفات علماء المسلمين التي اِمتازت بالتّكامل المعرفي، و الضّبط المنهجي، و النّماء الحجمي، محاولين كشف ما حواه هذا الكتاب من كنوز معرفيّة معتبرة بين صفحاته في ضوء موضوع هذه الدّراسة، و ذلك من خلال التّطرّق لإشكاليّة مفادها: ما الدّاعي الّذي جعل **مقدّمة ابن خلدون** تتّصف بصفة الموسوعيّة التّكامليّة في موضوعاتها؟. أو إلى أيّ حدّ تبرز هذه الصّفة في هذا الكتاب؟ وسنجيب عن هذه الإشكاليّة من خلال التّطرّق لمحورَيْن اثنيْن؛ أحدهما نظري، و آخر تطبيقي:

_ نضبط في أوّلهما المصطلحات الواردة في عنوان هذه المداخلة، كإجراء منهجي للتّعرّف على موضوعها.

_ و نحدّد في ثانيهما السّمة الموسوعيّة التّكامليّة في هذا السّفر العلميّ الضّخم، كتعليلٍ على هذه الصّفة التي امتازت بها مؤلّفات علماء المسلمين.

* **المحور النّظري**: يقدّم هذا المحور تعريفا موجزًا للمصطلحات الواردة في هذه المداخلة (**السّمة الموسوعيّة التّكامليّة، ابن خلدون، مقدّمة ابن خلدون**).

أوّلا_ مفهوم السّمة الموسوعيّة التّكامليّة:

إنّ المقصود **بالسّمة الموسوعيّة التّكامليّة**_هاهنا_ تلك الصّفة الشّموليّة التّداخليّة التي تمتاز بها بعض المؤلّفات العلميّة المنجزة من قِبل ثلّة من علماء المسلمين؛ و التي تُضفي على هذه الكتابات صبغة اِحتوائيّة تناسقيّة، جاعلة منها موسوعة علميّة معرفيّة تضمّ مختلف العلوم المكمّلة لبعضها البعض، و شتّى أنواع المعارف المترابطة، وِفق تقسيم منهجيّ خاصّ يميّزها عمّا سواها من المؤلّفات الأخرى التي تُخصّص للحديث عن فرع علميّ واحد دقيق و محدود.

و قد يُوظِّف العالم الكاتب هذه الموسوعيّة التّكامليّة في مصنّف واحدٍ فيضمّنه نُتفا جمّة من سائر العلوم و المعارف المتداخلة كما فعل ابن خلدون في مقدّمته، أو يجعل ذلك مُوزّعا على عدّة مصنّفات؛ حيث يُفرد لكلّ موضوع أو لكلّ فرع من الفروع العلميّة مصنّفا خاصّا به، فتختلف المصنّفات و تتنوّع موضوعاتها لتكون في النّهاية موسوعة شاملة لكثير من العلوم ذات النّسق المعرفي المتكامل ، كما نجد ذلك حاصلا عند العديد من العلماء المسلمين القدامى؛ **كالغزالي**، و **ابن حزم**... .

و هذا إن دلّ على شيء فإنّما يدلّ على أن هؤلاء العلماء كانوا كذلك بكلّ ما تحمله هذه الكلمة من معاني؛ فبالإضافة إلى تبحّر أحدهم في علوم الدّين النّقليّة و العقليّة؛ كالفقه، و التّفسير، و الحديث، و علم الكلام، تلقاهُ مُتخصّصًا أو مُلِمًّا بالطّبّ، أو علم الفلك، أو التّاريخ، أو الجغرافيا، أو الرّياضيات، أو الفلسفة،... أو غير ذلك من باقي العلوم الأخرى.

كما أنّ لُجوء هؤلاء العلماء إلى هذه الصّنعة إنّما مردّه إلى اختلاف مشارب النّاس و تنوّع أذواقهم، فحِرصًا منهم على تلبيّة هذه الرّغبات الفطريّة في بني البشر، نوّعوا في كتاباتهم، و جعلوها موسوعيّة المعارف؛ ليلقى فيها كلّ باحثٍ ما يشفي غليله المعرفي، و يشبع نهمه العلميّ، و لئلا يسئم أيّ قارئ أو مطّلع من قهر الموضوع الواحد، أو يبقى حبيسًا في مسائله، و يرجع ذلك أيضا إلى إيمانهم العميق بتداخل العلوم و المعارف و تكاملها فيما بينها، و أنّ كلّ علم تجمعه بباقي العلوم علاقة التّكامل المعرفي الذي من شأنه خدمة الإنسانيّة جمعاء.

لذلك كلّه لاقت هذه المؤلّفات إقبالاً مكثّفا من قِبل الباحثين و القارئين، و رواجًا واسعًا بين الأوساط العلميّة و الشّعبيّة على حدّ سواء؛ لأنّها اشتملت على شتّى المواضيع التي تهمّهم و تحلّ مشاكلهم، و لأنّها تحمل في طيّاتها كنوزا علميّة ثمينة، و معارف متكاملة لا تتوافر إلاّ فيها.

ثانيًا_ ترجمة ابن خلدون:

هو عبد الرّحمان محمّد بن محمّد، **ابن خلدون** أبو زيد، وليّ الدّين الحضرمي الاشبيلي، من ولد وائل بن حجر، المولود سنة سبعمائة و اثنين و ثلاثين (732) هجريّة الموافق لعام اثنين و ثلاثين و ثلاثمائة و ألف (1332) ميلادي، الفيلسوف المؤرّخ، العالم الاجتماعي البحّاثة، أصله من اشبيليّة، و مولده و منشأه بتونس، رحل إلى فارس و غرناطة و تلمسان و الأندلس، و تولّى أعمالاً، و اعترضته دسائس و وشايات، و عاد إلى تونس، ثمّ توجّه إلى مصر فأكرمه سلطانها الظّاهر برقوق، و ولّي فيها قضاء المالكيّة، و لم يتزيّا بزيّ القضاة محتفظا بزيّ بلاده، و عُزل، و أُعيد، و توفّي فجأة في القاهرة سنة ثمانمائة و ثمانٍ (808) للهجرة الموافق لعام ستٍّ و أربعمائة و ألف (1406) ميلادي، (الزركلي، خ. 2002م: 330).

كان فصيحا، جميل الصّورة، عاقلا، صادق اللّهجة، عزوفًا عن الضّيم، طامحًا للمراتب العاليّة، و لما رحل إلى الأندلس اهتزّ له سلطانها، و أركب خاصته لتلقّيه، و أجلسه في مجلسه. اشتهر بكتابه "العِبر و ديوان المبتدأ و الخبر في تاريخ العرب و العجم و البربر"، طُبع في سبعة مجلدات، أوّلها "المقدّمة"؛ و هي تُعدُّ من أصول علم الاجتماع، و ختم "العِبر" بفصل عنوانه: "**التّعريف بابن خلدون**" ذكر فيه نسبه و سيرته و ما يتّصل به من أحداث زمنه، و من كتبه: "شرح البردة"، و كتاب في "الحساب"، و رسالة في "المنطق"، و"شفاء السّائل لتهذيب المسائل"، و له شِعر، و تناول كتّاب من العرب و غيرهم، سيرته و آراءه، في مؤلّفات خاصّة، منها: "**حياة ابن خلدون**" لمحمّد الخضر بن الحسين، و "**فلسفة ابن خلدون لطه حسين**" و "**دراسات عن مقدّمة ابن خلدون**" لساطع الحصري، و "**ابن خلدون حياته و تراثه الفكري**" لمحمّد عبد الله عنّان، و "**ابن خلدون**" ليوحنّا قمير،

و مثله لعمر فرّوخ، (الزركلي، خ. 2002م: 330)، و كلّ هذا الاهتمام به من قِبل هؤلاء الباحثين و غيرهم يدلّ على المكانة العظمى التي يحظى بها في التّراث العربي، كونه شخصيّة مرموقة ساهمت في تنشيط الحياة الفكريّة و العلميّة بالنسبة للعرب و المسلمين، فقد كان رحمه الله واسع الاطلاع كثير البحث في الأنساب، و الأعراف، و العادات، و التّقاليد، و التّواريخ، و الظّواهر الاجتماعيّة، و غير ذلك من مناحي الحياة الإنسانيّة؛ فهو المؤرّخ، و عالم الاجتماع، و الفيلسوف الحكيم، و الرّحّالة المخلص في أعماله و بحوثه؛ ممّا بوّأه هذه المرتبة السّامية، و هذا الشرف العالي، و جعل جموع النّاس يُقبلون عليه و على مصنّفاته اِطّلاعا دراسة و تحقيقا، لأنّ ما تركه هذا الرّجل هو بمثابة الكنز العلميّ الثّمين، خاصّة "**المقدّمة**" التي سنخصّها بالدّراسة في المحور التّطبيقي من هذه الدّراسة.

ثالثا_ التّعريف بمقدّمة ابن خلدون:

تُطلق **مقدّمة ابن خلدون** على المجلّد الأوّل من المجلّدات السّبعة التي يتألّف منها كتاب "العِبر و ديوان المبتدأ و الخبر في أيّام العرب و العجم و البربر و مَن عاصرهم من ذوي السّلطان الأكبر"، و يشتمل هذا المجلّد على ما يلي:

1_ خطبة الكتاب أو ديباجته أو افتتاحيته، و قد عرض فيها المؤلّف لبحوث المؤرخين من قبله، و ذكر طوائفهم، و وجوه النّقص في بحوثهم، و أشار إلى الأسباب التي دعته لتأليف الكتاب كلّه "كتاب العِبر" و بيّن طريقته و أقسامه، و ختم ذلك كلّه بإهداء نسخة من الكتاب إلى أمير المؤمنين أبي فارس عبد العزيز بن أبي الحسن المريني سلطان المغرب الأقصى.

2_ مقدّمة في فضل علم التّاريخ، و تحقيق مذاهبه، و الإلماع لما يعرض للمؤرّخين من المغالط و الأوهام و ذكر شيء من أسبابها.

3_ "الكتاب الأوّل في طبيعة العمران في الخليقة و ما يعرض فيها من البدو و الحضر و التّغلّب و الكسب و المعاش و الصّنائع و العلوم و نحوها و ما لذلك من العِلل و الأسباب"، و هو القسم الرئيسي فيما نسمّيه الآن "**مقدّمة ابن خلدون**" و يشتمل على تمهيد و ستّة أبواب.

و قد طُبعت **مقدّمة ابن خلدون** لأوّل مرّة في منتصف القرن التّاسع عشر طبعتين رئيسيّتين، اعتمدت عليهما جميع الطّبعات التي ظهرت بعد ذلك:

أ_ طبعة مصر التي ظهرت سنة 1274هـ/1885م تحت إشراف الشّيخ نصر الهوريني، و قد نقلها عن النّسخة الفارسيّة مباشرة (أي النّسخة التي أهداها **ابن خلدون** لأبي فارس عبد العزيز سلطان المغرب الأقصى).

ب_ طبعة باريس و التي أشرف عليها المستشرق الفرنسي كاترمير quatremère، و قد ظهرت في ثلاثة مجلّدات سنة 1858م؛ أي في السّنة نفسها التي ظهرت فيها طبعة الهوريني بالقاهرة، و كان قد اعتمد في إخراجها على أربع نسخ خطّيّة للمقدّمة.

و بعد ذلك ظهرت عدّة طبعات فرعيّة لم تعتمد على مخطوطات، منها:

1_ طبعة بولاق سنة 1284هـ/1868م.

2_ طبعة البستاني في بيروت، و التي نُشرت تحت إشراف الكاتب رشيد عطيّة و المعلم عبد الله البستاني.

3_ طبعة المكتبة التّجاريّة بمصر.

4_ طبعة المطبعة الأدبيّة ببيروت سنة 1879م.

5_ طبعة مصطفى فهمي في مطبعة التّقدّم بمصر سنة 1329هـ.

6_ طبعة دار الكتاب اللبناني في بيروت سنة 1956م.

7_ طبعة لجنة البيان العربي سنة 1957م، بتحقيق الدكتور علي عبد الواحد وافي.

و قد أقبل كثير من الباحثين من العرب و المستشرقين على دراسة المقدّمة لأهميّتها؛ فعكفوا على تحقيقها، و استخراج ما حوته من معلومات مفيدة و هامّة في مجال البحث العلمي، و نظرا للعمق الذي تحلّت به في تحليلها للظّواهر الاجتماعيّة و الإنسانيّة، وطرقها للمواضيع العلميّة البحتة (الزّعبي، أ. دت: 22 و ما بعدها).

* **المحور التّطبيقي**: و فيه سنحاول بسْط العلوم التي احتوتها المقدِّمة تدلِيلاً عن السّمة الموسوعيّة التّكامليّة.

إنّ **مقدّمة ابن خلدون** تُعدّ من الأعمال الموسوعية الشّاملة لكثير من الفروع العلميّة و المعرفيّة المتكاملة فيما بينها؛ نظرا للمسلك الذي انتهجه مؤلِّفها في تأليفها، فقد ألّفها على طريقة العلماء القدامى الذين يُضمّنون المصنّف الواحد عدّة قضايا مختلفة، بغية التّوسعة على المطّلعين على أعمالهم الفكريّة، أو ابتغاء إضفاء السّمة الموسوعيّة عليها، فجاءت هذه المقدّمة على غرار تلك الأعمال شاملة متنوّعة متراميّة الأطراف من النّاحيّة الموضوعيّة العلميّة، فكانت موسوعة معرفيّة متكاملة يحتاجها كلّ باحث مهما كان تخصّصه، فيستعين بها المؤرّخ، و الفيلسوف، و عالم الاجتماع، و عالم الاقتصاد...، إذ يجدون فيها ما يبحثون عنه من معلومات و معارف علميّة دقيقة، و لعلّ هذا هو السبب الرّئيس الذي جعلها تنتشر انتشارا واسعا في شتّى أصقاع العالم شرقا و غربا شمالا وجنوبا، و بين جميع الفئات البشريّة من باحثين و قارئين و عامّة.

قال **ابن خلدون** مفتخرا بهذا العمل الفريد "كتاب العِبر" و خاصّة "المقدمة": " أنْشأتُ في التّاريخ كتابا، رفعت به عن أحوال النّاشئة من الأجيال حجابا، و فصّلته في الأخبار و الاعتبار بابًا بابًا، و أبديت في لأوّليّة الدّول و العمران عِللا و أسبابًا،... و سلكت في ترتيبه و تبويبه مسلكا غريبا، و اقترحته من بين المناحي مذهبا عجيبا، و طريقة مبتدعة و أسلوبا...استوعب أخبار الخليقة استيعابا، و أعطى لحوادث الدّول عللا و أسبابا، و أصبح للحكمة صوانًا و للتّاريخ جرابًا " (ابن خلدون، ع. دت: 37_38).

و قال مبيّنا موسوعيّة هذا العمل و شموليّته: " و لم أترُك شيئا في أوّليّة الأجيال و الدّول، و تعاصُر الأمم الأوّل، و أسباب التّصرّف و الحِول، في القرون الخاليّة و المِلل، و ما يَعرض في العمران مِن دوْلة و مِلّة، و مدينة و حِلّة، و عِزّة و ذِلّة، و كثرة و قلّة، و عِلم و صناعة، و كسب و إضاعة، و أحوال متقلّبة مُشاعة، و بدو و حضر، و واقع و مُنتظَر، إلا و استوعبت جُمَله، و أوضحت براهينه و علله، فجاء هذا الكتاب فذًّا بما ضمّنته من العلوم الغريبة، و الحِكم المحجوبة القريبة " (ابن خلدون، ع. دت: 39).

فالنّاظر في هذا المؤّلف يلمس فيه منذ الوهلة الأولى هذه الصّفة واضحة جليّة؛ لأنّها هي الطّابع البارز الذي تميّزت به **مقدّمة ابن خلدون**؛ التي احتوت كثير من العلوم و الصّناعات و العادات و التّقاليد، و تميّزت بذلك عن معظم المصنّفات الأخرى التي لم تنح هذا النّحو الكلاسيكي القديم القائم على فكرة التّكامل المعرفي بين العلوم و المعارف الإسلاميّة و غيرها من العلوم و المعارف الأخرى.

و نظرا لتنوّع مباحث المقدّمة، اختلف الباحثون في تصنيفها ضمن علم من العلوم اختلافا كثيرا؛ فاعتبر بعضهم أنّ مباحثها تندرج تحت "علم التّاريخ" أو "فلسفة التّاريخ"، و اعتبرها البعض الآخر أنّها بمثابة "علم الاجتماع" أو فلسفة الاجتماع"، و بين هذا و ذاك رأى فريق ثالث الجمع بين الرأيين السّابقين فقرر أنّ موضوع المقدّمة هو "مدخل اجتماعي للتّاريخ" (الحصري، س. 1387هـ/1967م: 113_ 114).

و لئن كان موضوع المقدّمة العام هو "الظّواهر الاجتماعيّة" أو "واقعات العمران البشري أو أحوال الاجتماع الإنساني" كما يدعوها ابن خلدون نفسه، فإنّ ذلك يشمل جميع مناحي الحياة الأسريّة، و الاجتماعيّة، و الاقتصاديّة، و السّياسيّة، و الفكريّة (الزّعبي، أ. دت: 23_24)؛ فهي _ أي المقدّمة _ من جهة المباحث الاستطراديّة بمثابة موسوعة ثمينة جدّا، إذ تجمع كميّة كبيرة من المعلومات القيّمة عن الجغرافيا و التّاريخ و رسوم الحضارة، و أصناف العلوم، و أحوال الصّنائع، و أصول التّعليم، و عن أهمّ المؤلّفات العلميّة و الأدبيّة، و الآراء السّياسيّة و الفلسفيّة و الدّينيّة (الحصري، س. 1387هـ/1967م: 114).

و بصفة إجماليّة تكلّم **ابن خلدون** في مقدّمته عن الظّواهر الاقتصاديّة بشكل عام، و أثر الاقتصاد الزّراعي و الصّناعي على المجتمعات، و أثر المهن و الكسب في ثروة الأمّة و العلاقات الاجتماعيّة، كما أطال **ابن خلدون** النّفَسَ في أسباب قيام الدّول وسقوطها، و أنواع الدّول و أعمارها، كما تكلّم عن تاريخ العلم و التّعلّم في العصور الإسلاميّة، إلى غير ذلك من الظّواهر الاجتماعيّة (العبدة، م. 2009م: 8).

و أمّا تفصيل ذلك فيُوجب علينا جولة فاحصة بين ثنايا المقدّمة و بحوثها، ليتبيّن لنا ما تطرّقت إليه من مواضيع، و ما حوته من علوم و معارف مختلفة متكاملة فيما بينها؛ لأنّ **ابن خلدون** قد سلك في تأليفها مسلكا غريبا على حدّ قوله، و لعلّ هذه الشّمولية، أو هذا الطّابع العام الذي احتوى كثيرا من المواضيع، هو ذاك المسلك الغريب الذي سلكه **ابن خلدون** في تأليفه للمقدّمة.

و سنوقِفُ بحث هذا التّفصيل على عناصر تمثيليّة نوجزها في ما يلي:

أوّلا_ علم التّاريخ:

بَسَطَ **ابن خلدون** في مستهلّ مقدّمته القول في علم التّاريخ؛ فذكر فضل هذا العلم، و شرف غايته؛ فهو جمّ الفوائد، إذ يوقفنا _ كما قال ابن خلدون _ على أحوال الماضين من الأمم في أخلاقهم، و الأنبياء في سِيرهم، و الملوك في سياستهم و دولهم، ثمّ عاب على المؤرخين و المفسّرين و أئمّة النّقل ما يقعون فيه من مغالط و أوهام أثناء سردهم للحكايات و الوقائع التي هي مبثوثة في ثنايا نقولهم، و أرجع سبب ذلك الخبط إلى الاعتماد على مجرّد النّقل دون تمحيص أو تدقيق، ثمّ ذكر أمثلة مطوّلة عن هذه الأخطاء الواردة في مؤلّفات المؤرّخين و المفسّرين، فتطرّق للحديث عن بني إسرائيل و جيوشهم و أعدادهم، و أخبار التبابعة ملوك اليمن و جزيرة العرب، و تحدّث عن الغلط الواقع في تفسير سورة الفجر، و سبب نكبة هارون الرّشيد للبرامكة، و نسب العبيديين خلفاء الشّيعة بالقيروان و القاهرة، كما تحدّث عن الغلط الموجود عند هؤلاء في أحوال الحَجّاج، و القُضاة، و الدّول و ملوكها، و لم يقتصر ابن خلدون على مجرّد مواقع الغلط، بل صوّب الأخبار، و أبان عن حقيقتها، و دقّق في أحداثها و مواقيتها، و ختم ذلك كله بفائدة مفادها أنّ التّاريخ هو ذكر الأخبار الخاصّة بعصر أو جيل، و أمّا الأحوال العامّة فهيّ أُسٌّ للمؤرّخ تنبني عليها أكثر مقاصده و تتبيّن بها أخباره، و ألحق هذا القول بمقدّمة في كيفيّة وضع الحروف التي ليست من لغات العرب (ابن خلدون، ع. دت: 41_64).

و يبدو من هذا أنّ **ابن خلدون** في هذا السّرد لم يأخذ بعين الاعتبار عصرا معيّنا و يقوم بدراسته دراسة مجملة لينتقل فيما بعد إلى عصر آخر، بل إنّه يصف واقعة معيّنة ثمّ ثانيّة ثمّ ثالثة...دون أن يكترث للعلاقات القائمة بين كل هذه الواقعات، لذا كانت بعض الواقعات مكررة، فكثرت في المقدّمة سلاسل النّسب و السّير و المعارك، و هذا ما جعل **دي سلان** يعترف بأنّ المنهج الذي استعمله **ابن خلدون** في الجزء المتعلق أساسا بالتّاريخ " قد أسفر عن التّحرّر من تسلسل الأحداث تسلسلا تاريخيّا "، و هذا ما يعرف بالمنهج التّركيبي الذي يقوم على تقديم التّعليمات العامّة و التّركيبيّة التي تتيح لنا فهم النّصّ ذاته على نطاق واسع (مغربي، ع. 1988: 36_ 37).

و قياسا على ذلك يمكننا استخلاص منهج **ابن خلدون** التّاريخي؛ الذي يعتمد على:

1_ الملاحظة المباشرة و التّجربة بغية الاقتراب من اليقين.

2_ تفسير الظّواهر و تحليلها و استخدام منطق التّعليل.

3_ اعتماد منهج المقارنة.

4_ قياس الأخبار على أصول العدّة و طبائع العمران، و عدم أخذها كما هي دون تمحيصها و التّثبّت منها.

و قد طبق **ابن خلدون** هذا المنهج على سائر أبحاث المقدّمة، فعلى الرّغم من أن موضوعها الأساسي هو "العمران"، فالصّحيح أيضا أنّه مقدّمة لشيء آخر كما يُفيد عنوانها، فقد أرادها كاتبها أن تكون مقدّمة منهجيّة لكتابة التّاريخ و تفسيرا له، كما أنّ موضوعها يمتّ إلى التّاريخ بصلة وثيقة، فالتّاريخ عند **ابن خلدون** إضافة إلى كونه إخبار عن الأيّام و الدّول، هو في الآن ذاته خبر عن الاجتماع الإنساني الذي هو عمران العالم (عاصي، ح. 1411هـ/1991م: 4).

ثانيا_ علم الجغرافيا:

علم الجغرافيا كما علم التّاريخ له نصيب في **مقدّمة ابن خلدون**؛ إذ أورد هذا الأخير في مقدّمته نُتفا معتبرة من هذا العلم، فأفرد لذلك قسما خاصّا عنونه بتفصيل الكلام على بدء الجغرافيا، ذكر فيه أنّ الحكماء قسّموا هذه المعمورة على سبعة أقسام من الشّمال إلى الجنوب، و سمّوا كلّ قسم من تلك الأقسام إقليمًا يمرّ الأوّل منها من المغرب إلى المشرق مع خطّ الاستواء، و يليه من جهة شماله الثّاني ثمّ الثّالث ثمّ الرّابع ثمّ الخامس ثمّ السّادس ثمّ السّابع؛ و هو آخر العمران من جهة الشّمال، و ليس وراءه إلا الخلاء و القِفار، إلى أن ينتهي إلى البحر المحيط، كالحال فيما وراء الإقليم الأوّل في جهة الجنوب، إلا أنّ الخلاء في جهة الشّمال أقلّ بكثير من الخلاء الذي في جهة الجنوب، كما أنّ أزمنة الليل و النّهار تتفاوت من إقليم لآخر بسبب ميلان الشّمس (ابن خلدون، ع. دت: 84).

و بعد أن أدلى **ابن خلدون** بهذه المقدّمة في بداية حديثه عن جغرافيّة العالم بصفة إجماليّة، شرع بتفصيل ذلك من خلاله حديثه عن الأقاليم السّبعة التي ينقسم عليها العالم أجمع بشيء من البسط و الإطناب على النّحو الآتي:

الإقليم الأوّل: و فيه جزر كثيرة و أشهرها ثلاثة أهلها يعيشون في حالة من البدو، و أنّ الجزء الأوّل من هذا الإقليم فيه مصبّ النّيل الذي تحاذيه مدينة سَلا و تَكرور و غَانة و كلّها تخضع لمملكة مالي من أمم السّودان التي يقبع في القرب منها من جهة الشّمال بلاد لمتونة و سائر طوائف الملثّمين، و في جنوب هذا النّيل قوم من السودان يقال لهم "لِمْلِمُ"، و أما الجزء الثاني فأكثره رمال، و في الجزء الثّالث منه تقع بلدة "كوكو" التي استولى عليها سلطان مالي و ضمّها إلى مملكته، و في الجنوب من بلدة "كوكو" تقع بلاد "كانُم" من أمم السّودان، ثمّ "وَنْغَارة" على ضفّة النّيل من شماليه، و في الجزء الرّابع تقع بلدة "زَغَاوة" و "تاجِرة"، و فيه يمرّ نيل مصر، و في الجزء الخامس من هذا الإقليم تقع بلاد "الحبشة"، و في الجزء السّادس تقع بلدة "زالِع" و "علي بن يعقوب" و

قرى بربرية يتلو بعضها بعضا، كما أنّ فيه بحر القلزم و بحر فارس، و خليج باب المندب، و المحيط الهندي (ابن خلدون، ع. دت: 85_86).

الإقليم الثّاني: و ينقسم إلى تسعة أجزاء، و يضم كثير من البلدان كصنهاجة، و فزّان، و يثرب، و الحجاز، و نجد، و اليمامة،و الهند... .

الإقليم الثّالث: و ينقسم إلى عشرة أجزاء، و يضمّ من البلاد سوس، و نول، و درعة، و المغرب الأقصى، و ليبيا و الجزائر، و الشّام، و مصر، و بلاد خرخير من الترك، و الصّين... .

الإقليم الرّابع: و ينقسم إلى تسعة أجزاء، و يضم من البلدان طنجة، و القسطنطينية، و الأندلس، و طليطلة، و بلاد الأرمن،و أنطاكية، و طرسوس، و اللاّذقية، و طرابلس، و معظم بلاد الهُلوس... .

الإقليم الخامس: و ينقسم إلى عشرة أجزاء، و يضمّ من البلاد آبلة، و شطلّية، و البندقيّة، و عمّوريّة، و أرمينيّة، و أذربيجان، و بلاد أَرَكْس من أمم الترك... .

الإقليم السّادس: و ينقسم إلى عشرة أجزاء، و يضمّ من البلاد بريطانيا، و صاقس، و أرمنديّة، و شطونيّة، و روسيا، و بلاد الخزَر، و بلاد الشّركس... .

الإقليم السّابع: و ينقسم إلى عشرة أجزاء، و يضمّ من البلاد أرض فلّونيّة، و أرض قيمازك من التّرك، و أرض رَسْلاندة، و أرض القَمَانيّة، و البلاد الرّوسيّة، و الأرض المنتنة... .

و توجد بجميع هذه الأقاليم جزر، و بحار، و أنهار، و محيطات، و جبال، و وديان (ابن خلدون، ع. دت: 88_111).

و بهذا التّفصيل يكون **ابن خلدون** قد أسهب في علم الجغرافية إسهابا كبيرا، فكلّ الذي ذكره في هذا القسم ينتمي إلى دائرة هذا العلم، بل هو عين هذا العلم، و قد تكون هذه التّقاسيم المذكورة في هذا الموضع من المقدّمة بمثابة البدايات أو المنطلقات التي يمكن أن يبني عليها الجغرافيون أسس و قواعد هذا العلم، و هذا يدلّ على رسوخ هذا الرّجل في هذا الفرع العلمي، و أنّه على معرفة تامّة بماهيّته و حيثياته و تفاصيله و فروعه المتعدّدة، و أنّه قد اكتشف ذلك عن طريق رحلاته الكثيرة مشرقا و مغربا من أجل الاطّلاع بالملاحظة المباشرة و التّجربة الواقعيّة، و هو المطلوب في مثل هذه العلوم التي لا تتأتّى إلا من هذا الطريق القائم على البحث بالأدوات الحيّة؛ لأنّ علم الجغرافيا ليس كعلم التّاريخ الذي يعتمد على الرّوايات و سرد الأحداث، و إنّما الأمر بخلاف ذلك، فهو يحتاج إلى مشاهدة الآثار البشريّة و البيئات الإقليميّة مُشَاهدة مباشرة، حتى يبني عليها الباحث في هذا المجال تصوّراته للكون أو البيئة الجغرافيّة التي يريد وصفها أو دراستها.

و هذا ما قام به **ابن خلدون** فعلا الذي أورد في مقدّمته شيئا كثيرا من ذلك؛ لتكون مقدّمة شاملة تضمّ مختلف العلوم و المعارف، فكما وضع أسس و مناهج علم التّاريخ قبلا، فها هو هاهنا يحاول وضع قواعد و أُسس و مناهج لعلم الجغرافيا ليتمكّن مَن يحتذي حذوها من ناصيّة هذا العلم.

ثالثا_ علم الاجتماع:

إنّ **مقدّمة ابن خلدون** في أصلها كتاب اجتماعي يطرح قضايا اجتماعيّة، و يعالج المشاكل الحياتيّة التي يواجهها النّاس في واقعهم، فموضوعها العام يدور في فلك هذا العلم و رحابه، إذ درس فيها مؤلّفها الظّواهر الاجتماعيّة دراسة معمّقة بالتّحليل، و ناقشها بكلّ موضوعيّة، منطلقا من الواقع، و من الحياة الإنسانيّة المشَاهدة للعيان، معتمدا على أدوات بحثيّة و مناهج علميّة رصينة، أضاء بها عن كثير من القضايا الاجتماعيّة بمختلف مناحيها سياسيّة و اقتصاديّة و تاريخيّة...، "و بالرّغم ممّا يذهب إليه بعض الباحثين من أنّ المقدّمة لا تشتمل على سوسيولوجيا شديدة الإتقان، إلا أنّه لا ريب في أنّ **ابن خلدون** قد أدرك و حدّد بكلّ تأكيد وجهة النّظر السّوسيولوجيّة، إلا أنّ التّأثيرات المتنوّعة المتراكمة على فكره السّوسيولوجي أدخلت كثيرا من المعطيات على تحليلاته و حالت دون بعض الإتقان في المفاهيم و التّعليلات، و في الواقع لا تتمّ الصّياغة الصّوريّة المتقنة لِعِلم من العلوم إلا في مرحلة متقدّمة من تطوّره،و لذلك نعتقد أنّنا نعبّر تعبيرا صادقا عن الطّابع العميق لفكر ابن خلدون إذ نستعمل عبارة (الواقعيّة السّوسيولوجيّة)؛ لأنّ الواقعيّة الخلدونيّة في وجهها السّوسيولوجي، تعبّر عن كيفيّة تصوّر الفكر للوجود الاجتماعي التّاريخي في وقت محدّد من التّاريخ، فمن حيث هي فلسفة تتّسم بطابع متقدّم بالنّسبة إلى الفلسفات السّابقة، و من حيث هي سوسيولوجيا تُنبئ بالشّكل الذي ينمو في السّوسيولوجيا الحديثة " (نصّار، ن. 1981م: 190_ 191).

و قد أورد **ابن خلدون** في مقدّمته كثيرا من المباحث الاجتماعيّة، فتحدّث عن العمران البدوي و الأمم الوحشيّة، من خلال تطرّقه للحياة البدويّة، و العصبيّة، و الملك، و الرّياسة، و الأمم الوحشيّة، و العرب (ابن خلدون، ع. دت: 148_182)، و تحدّث عن الدّول العامّة و الملك و الخلافة و المراتب السّلطانيّة و ما يعرض في ذلك كلّه من الأحوال بشيء من التّفصيل، و تطرّق في ثنايا هذا الباب إلى ذكر شيء عن الإمامة، و البيعة، و ولاية العهد، و مقتل الحسين، و الخطط الدّينيّة الخلافيّة، و غير ذلك من المباحث المتعلقة بهذا الشّأن (ابن خلدون، ع. دت: 184_370)، كما تحدّث أيضا عن البلدان و الأمصار و سائر العمران و ما يعرض في ذلك من الأحوال، فذكر المدن العظيمة، و الهياكل المرتفعة، و المساجد و البيوت العظيمة، و المباني، و تفاضل الأمصار و لغاتها و طبائعها و أحوالها، و الحضارة (ابن خلدون، ع. دت: 378_415)، و تحدّث كذلك عن المعاش و وجوهه من الكسب و الصّنائع، فتطرّق للرّزق و الكسب، و المعاش و أصنافه و مذاهبه، و الجاه، و السّعادة، و الفلاحة، و التّجارة، و الصّناعة (ابن خلدون، ع. دت: 417_466)، و تحدّث في آخر المطاف عن العلوم و أصنافها و التّعليم و طُرقه و سائر وجوهه، فتطرّق لعلم التّصوّف، و الفقه، و علم الكلام، و

الفرائض، و تعبير الرّؤيا، و الحساب، و الجبر، و المساحة، و المناظرة، و الطّب و الإلهيّات، و السّحر، و أسرار الحروف، و الكيمياء، و تحدّث أيضا عن العلماء، و فضل العلم و طرق تحصيله، و اللغات، و النّثر، و الشّعر... (ابن خلدون، ع. دت: 468_490).

رابعا_ علم الاقتصاد:

تحدّث **ابن خلدون** في مقدّمته كذلك عن علم الاقتصاد بعرضه لأبجديات التّجارة و أحوالها، و ظروف الزّراعة، و الصّناعات التي كانت موجودة في ذلك الزّمن عند العرب و العجم و البربر، و لم يكتف _ كعادته في كل مرّة _ بالسّرد فقط، بل راح يقوّم،و يُعطي حلولا، و يُدلي بآراء من أجل النّهوض بكلّ هذه القطاعات، و هذا ينمّ على درايته و بمعرفته بالاقتصاديات و متطلّباتها.

و نورد من ذلك مطالبته بحرّيّة التّجارة، و تنديده بالاحتكار، حينما يقول: "و ممّا اشتهر عند ذوي البصر و التّجربة في الأمصار، أنّ احتكار الزّرع لتحيّن أوقات الغلاء مشؤوم، و أنّه يعود على فائدته بالتّقلّب و الخسران، و سببه و الله أعلم، أنّ النّاس لحاجتهم إلى الأقوات مضطرّون إلى ما يبذلون فيها من الأموال اضطرارا، فتبقى النّفوس متعلّقة به، و في تعلّق النّفوس بمالها سرّ كبير في وبالِهِ على من يأخذه مجّانا، و لعلّه الذي اِعتبره الشّارع في أخذ أموال النّاس بالباطل، و هذا و إن لم يكن مجّانا فالنّفوس متعلّقة به، لإعطائه ضرورة من غير سَعَة في العُذر فهو كالمكرَه، و ما عدا الأقوات و المأكولات من المبيعات لا اِضطرار للنّاس إليها، و إنّما يبعثهم على التّفنّن في الشّهوات، فلا يبذلون أموالهم فيها إلا باختيار و حرص، و لا يبقى لهم تعلّق بما أعطوْه، فلهذا يكون مَن عُرِفَ بالاحتكار، تجتمع القوى النّفسانيّة على متابعته، لما يأخذه من أموالهم، فيفسد ربحه" (ابن خلدون، ع. دت: 433_434).

و في هذا ناقش **ابن خلدون** مصادر الحصول على الرّبح التّجاري من تخزين السّلعة كضرورة من ضرورات نقلها من بلد إلى آخر حيث يحتاجها أفراد الدّولة الأخيرة، كما بيّن مصدرا آخر للحصول على الرّزق من جرّاء تخزين السّلع حتّى تتحسّن الأسعار في السّوق؛ (أي أنّ التّخزين هنا ليس بقصد تخزين السّلعة عن البيع للأفراد)، و لكن إذا كان الهدف رفع أسعار السّلع في أسواق المسلمين فيسمّى هذا احتكارا و لا سيما إذا كان هذا الاحتكار واقعا على ضرورات المسلمين كالأقوات (عبد المولى، س. 1409هـ/ 1989م: 19).

و يرى **ابن خلدون** أنّ على ولي الأمر أن يضرب على يد المحتكِر و يُعزّره بما يرى، و أن يبيع عليه ما احتكر بالسّعر المناسب، أي منع الاحتكار و ضمان التّعامل في السّلع بالأسعار التي لا تجحف بالطّرفين، و لا يجوز للدّولة التّدخّل في الأسعار بالرّفع أو الخفض إذا كان ذلك دون تدبير أو اتّفاق (عبد المولى، س. 1409هـ/ 1989م: 19).

كما بيّن **ابن خلدون** في هذا الباب معنى التّجارة و مذاهبها و أصنافها، و تحدّث عن الفلاحة و فوائدها، ثم أورد حديثا عن الصّنائع؛ فبيّن أنّ العلم شرط لمعرفتها، و أنّها لا تكمل إلا بكمال العمران الحضري و كثرته، و أنّ رسوخها في الأمصار إنّما يتمّ برسوخ الحضارة و طُول أمدها، و أنّها تُستجَاد و تكثر إذا كثر طالبها، و أنّ الأمصار إذا قاربت الخراب انتقصت منها الصّنائع، و أنّ العرب أبعد النّاس عن الصّنائع، ثمّ عرّج عن أمّهات الصّنائع فذكر منها الفلاحة و البناء و الخياطة و النّجارة و الحياكة و الكتابة و الوراقة و الغناء و الطّب بشيء من التّفصيل، و ختم ذلك بفصل أورد فيه أنّ الصنائع تُكسب صاحبها عقلا و بداهة (ابن خلدون، ع. دت: 430_467).

و في كل ذلك كان **ابن خلدون** يصوّب المعاملات الخاطئة التي تحصل في المجتمع، و يورد الحلول للمشاكل التي يمكن أن تنتج عن بعض التّصرّفات المخالفة للقواعد التّجاريّة أو المعاملاتيّة، بل و يتجاوز ذلك بالتّحليل و المناقشة الجادّة و التّصويب إذا اقتضى الأمر تصويبا، و كأنّ الرّجل يتعامل مع هذه القضايا معاملة الاقتصاديّ العالم بخفايا و ماهيّة الأمور الاقتصاديّة من حيث مبادئها وأصولها و مقوّماته و أسسها و قواعدها، و الخبير بمقتضياتها و مقاصدها و غاياتها، و المطّلع على أبعادها الخفيّة و الظّاهرة، و المتبصّر في آثارها على الفرد و المجتمع، لأجل ذلك كلّه يمكن عدّ المقدّمة مصدرا من المصادر الاقتصاديّة التي بإمكان ذوي الاختصاص الاعتماد عليها و الرّجوع إليها لتغذيّة أبحاثهم في هذا المجال.

خامسا_ العلوم الدّينيّة:

لم يكتف **ابن خلدون** في مقدّمته بما أورده من علوم دنيويّة و كونيّة، بل راح يخوض غمار العلوم الدّينيّة؛ النّقليّة منها و العقليّة، يبحث عن ماهيتها و مسائلها و قضاياها، و يزكّي علمائها، و يكشف عن المؤلّفات المؤلّفة فيها.

فتحدّث عن علوم القرآن من التّفسير و القراءات، فعرّف القرآن الكريم، و بيّن مسائل كثيرة تتعلّق بالقراءات، و الكتب المؤلّفة في ذلك، و عرّف بالتّفسير و ذكر أنواعه و بعضا من رجاله (ابن خلدون، ع. دت: 475_479)، و تحدّث عن علوم الحديث، فبيّن أنواع هذا الفنّ مبيّنا طريقة الأخذ به، و ذكر بعض رجاله، و تكلّم عن الأسانيد، و النّقلة و الرّواة الذين يروون الأحاديث، و تطرّق لعلم الجرح و التّعديل، و ذكر بعض المصّنفات المصنّفة في هذا العلم كالموطّأ و صحيحيْ البخاري و مسلم و أعداد الأحاديث المرويّة فيها، و بيّن صفة تّخريج الأحـــاديث و المستدركات المستدركة على المتقدّمين، و تطرّق للنّاسخ و المنسوخ (ابن خلدون، ع. دت: 479_483)، و تحدّث عن علم الفقه مبتدئا بالتّعريف به، و مبيّنا الأدلّة المصاغة للتّدليل على مسائله، و تكلّم عن القياس و الإجماع، فبيّن مذاهب أهل العراق و الحجاز و أهل البيت في ذلك، و ذكر طائفة من الفقهاء المتضلّعين في هذ العلم، كما تطرّق للمذاهب الفقهيّة كالمذهب الشّافعي و المذهب المالكي، و بسط القول في هذا الأخير و مؤسّسه باعتباره مذهب المغاربة (ابن خلدون، ع. دت: 483_489)، و أتْبَعَ هذا

الفصل بحديثه عن علم الفرائض المتعلّقة بالمواريث و التّركات، فعرّف به، و بيّن مسائله، و مذاهب الصّحابة و العلماء فيه (ابن خلدون، ع. دت: 489_490)، و تحدّث عن علم أصول الفقه و ما يتعلّق به من الجدل و الخلافيات، فبيّن رسمه و حدّه و أدلّته، و مسائله و قضاياه، و طريقة البحث فيه و تطبيقه على الواقع، و تحدّث عن علمائه و الكتب المؤلّفة فيه، و ختم هذا الفصل بلمحة عامّة عن الخلافيات و الجدل (ابن خلدون، ع. دت: 490_495)، ثمّ تحدّث عن علم الكلام، فعرّف به، و بيّن أهدافه، و عوامل نشأته، و ذكر بعض مسائله و علمائه و كتبه (ابن خلدون، ع. دت: 495_504)، و تحدّث أيضا عن علم التّصوّف، مبيّنا ماهيته و حقيقته و أصله و غاياته و مراتبه و مسائله و نشأته، و المصطلحات الواردة فيه، و رجاله، و المآخذ و الانتقادات التي وجّهت إليه من قبل بعض العلماء (ابن خلدون، ع. دت: 517_528)، و تحدّث كذلك عن علم تعبير الرّؤيا، فذكر نشأته و أصوله و شرعيته، و الفرق بين الرّؤيا الصادقة و غيرها، و معنى التّعبير و قوانينه و طريقته (ابن خلدون، ع. دت: 528_531).

و قد استغرق الحديث عن هذه العلوم صفحات كثيرة من المقدّمة، و ذلك يدلّ أوّلا على أهمّية هذه العلوم في **الفكر الخلدوني**، و ثانيا على رسوخ هذا الرّجل و إلمامه بشتّى العلوم الدّينيّة، و هذا هو ديدن العلماء القدامى، لذلك لم يخرج **ابن خلدون** عن المألوف و سلك مسلك هؤلاء العلماء في طريقة التأليف و الكتابة، فحاول أن يضمّن مقدّمته كل العلوم الدّينيّة المشتهرة في عصره، فتطرّق إليها واحدا واحدا على النّحو الذي بيّنّاه سابقا، إيمانا منه بفضل هذه العلوم و قيمتها الدّينيّة و الدّنيويّة، و سعيا منه إلى حيازة الشّرف بتدوينها و البحث فيها، نظرا لقداسة موضوعاتها، فشرف العلم إنّما يحصل بشرف المعلوم، و عالم **كابن خلدون** لم يفوّت فرصة الأخذ بهذه القاعدة الجليلة، فخاض غمار الدّين من خلال فحص علومه.

سادسا_ علوم اللّغة العربيّة و الأدب العربي:

باعتبار **ابن خلدون** عربيُّ الأصل و المولد و النّشأة، كان خليقا به أن يورد في مقدّمته، نُتفا معتبرة أو قبسات مضيئة من علوم اللغة العربيّة، افتخارا بهذه اللغة و تأصيلا لها.

فعقد في الباب السّادس من مقدّمته سبعة عشر فصلا تستغرق زهاء مائة صفحة في علوم اللّسان العربي، فلم يغادر أيّ فرع من فروع اللّغة العربيّة و آدابها إلا تكلّم بإفاضة عن موضوعه و تطوّره، و أهمّ ما كُتب فيه من مؤلّفات في القديم و الحديث، حتّى اللّغات العامّية و ما أُلّف بها من أشعار لعهده، فتكلّم على النّحو و البيان و الأدب نثره و شِعره و الأزجال و الموشحات و متن اللّغة و فقهها، و نشأة اللّغة العربيّة و تطوّرها و استحالتها إلى لغات عامّية، و آداب اللّغات العامّية، و أشعار القبائل الهلاليّة و الزّناتيّة وما إليها من الأشعار العامّية، و تناول بحوثا هامّة تتعلّق باللّغة و آدابها كتفسير الذّوق في مصطلح أهل البيان، و تحقيق معناه،و أنّه لا يحصل غالبا للمستعربين من العجم، و أنّ العُجمة إذا سبقت اللّسان قصُرت بصاحبها في تحصيل العلوم عن أهل اللّسان العربيّ، و أنّ اللّغة ملكة صناعيّة، و أنّ ملكة اللّسان العربيّ غير صناعة العربيّة و مستغنيّة عنها في التّعليم، و أنّ

حصول هذه الملكة بكثرة الحفظ و جودتها بجودة المحفوظ، و بيان المطبوع من الكلام و المصنوع و كيفيّة جودة المصنوع أو قُصُوره، و انقسام الكلام إلى فنّيْ النّظم و النّثر، و أنّه لا تتّفق الإجادة في فنّيْ المنظوم و المنثور معا إلا للأقلّ، و صناعة الشّعر و وجه تعلّمه، و أنّ صناعة النّظم و النّثر إنّما هي في الألفاظ لا في المعاني، و أنّ أهل المراتب يترفّعون عن انتحال الشّعر، و الرّدّ على من ذهب إلى أنّ لغة العرب لهذا العهد مغايرة للغة مُضر و حِمير، و أنّ لغة أهل الحضر و الأمصار لغة عامّية قائمة بنفسها (عبد الواحد وافي، ع. 1404هـ/1984م: 169 _ 170).

و ما كتبه **ابن خلدون** في هذه الفصول لا يدلّ على قوّة تمكّنه و سعة اِطّلاعه في جميع تخصّصات اللّغة العربيّة فحسب، بل يسمو به إلى مستوى الأئمّة و كِبار المتخصّصين في هذه الموادّ (عبد الواحد وافي، ع. 1404هـ/1984م: 170)، و يجعله رائدا في هذا المجال، و كلّ ذلك يدلّ على تضلّع هذا الرّجل في هذا العلم، و تمكّنه من قضاياه، و أخذه بناصيته، فعالم بحجم ابن خلدون كان لزاما عليه أن يكون على دراية واسعة بعلوم اللّغة العربيّة و آدابها، و متبحّرا في موضوعاتها، لأنّها من العلوم الآليّة التي لا يستغني عنها عالم من العلماء مهما كان توجّهه، و هي المفتاح لكل العلوم سواها، و هذا ما أدركه عالمنا فاعتنى بها أيّما اعتناء، و جعل مقدّمته عامرة بمسائلها و قضاياها و فنونها المختلفة.

سابعا_ علوم أخرى:

ضمّت المقدّمة إضافة إلى العلوم التي ذكرناها آنفا، علوما أخرى مختلفة لها علاقة مباشرة بحياة الفرد و المجتمع، و ذات فوائد جمّة تعود على النّاس بالخير و المنفعة.

فتحدّث **ابن خلدون** عن العلوم العقليّة التي هي طبيعيّة للإنسان و لا تختصّ بملّة معيّنة؛ كعلم المنطق الذي يَعصِم الذّهن عن الخطأ، و علم الموسيقى الذي به تُعرف نِسَبُ الأصوات و النّغم، و علم الهيئة الذي يختصّ بتعيين الأشكال للأفلاك (ابن خلدون، ع. دت: 531_534)، و تحدّث عن العلوم العدديّة؛ كعلم الحساب الذي يختصّ في حسبان الأعداد بالضّمّ و التّفريق، و علم الجبر الذي بواسطته يتمّ استخراج العدد المجهول من قِبل المعلوم المفروض إذا كان بينهما نسبة تقتضي ذلك، و علم المعاملات و الفرائض الذي يختصّ بتصريف الحساب في معاملات المدن في البياعات و المساحات و الزّكوات و سائر ما يعرض فيه العدد من المعاملات، و تحدّث عن علم الهندسة الذي ينظر في المقادير المتّصلة كالخطّ و السّطح و الجسم، و المنفصلة كالأعداد فيما يَعرض لها من العوارض الذّاتيّة (ابن خلدون، ع. دت: 538_540)، و تحدّث عن علم الطّبيعيّات الذي يبحث في الجسم من جهة ما يلحقه من الحركة و السّكون، و علم الطّبّ الذي هو صناعة تنظر في بدن الإنسان من حيث يمرض و يَصحّ، و علم الفلاحة الذي ينظر في النّبات من حيث تنميته و نشوءه (ابن خلدون، ع. دت: 545_547)، و تحدّث عن علم الإلهيات الذي ينظر في الوجود المطلق (ابن خلدون، ع. دت: 548)، و تحدّث عن علم السّحر و الطّلسمات الذي هو علم بكيفيّة استعدادات تقتدر النّفوس البشريّة بها على

التّأثيرات في عالم العناصر إمّا بغير مُعين أو بِمُعينٍ من الأمور السّماويّة (ابن خلدون، ع. دت: 549_556)، و تحدّث عن علم أسرار الحروف المسمّى بالسّيميا (ابن خلدون، ع. دت: 556_579)، و تحدّث عن علم الكيمياء الذي ينظر في المادّة التي يتمّ بها كون الذّهب و الفضّة بالصّناعة (ابن خلدون، ع. دت: 579_588) .

الخاتمة:

هذه نبذة عن العلوم التي أوردها **ابن خلدون** في مقدّمته _ و كما ترى _ أنّها علوم جمّة و مفيدة و غزيرة بركاتها على الأمم، و التي تدلّ باعتبارها مصفوفة في سِفر واحدٍ على موسوعيّة مؤلّف هذا السّفر و سِعة اطّلاعه، و غزارة علمه، و إلمامه بشتّى أصناف العلوم و المعارف، و لا شكّ أنّ إيمان ابن خلدون بالتّكامل المعرفيّ بين العلوم، و تواصلها في الواقع الإنساني من أجل تشكيل منظومة معرفيّة و تعليميّة متكاملة فيما بينها و من حيث عناصرها، بغية تطوير المجتمع و تنميته في مختلف المجالات.

و من خلال هذه العلوم المبثوثة في المقدّمة تظهر بجلاء شخصيّة **ابن خلدون** الفكريّة و العلميّة المتّسمة بالعالميّة و الشّموليّة، الذي أسّس العمل الموسوعيّ بِما بثّه في مقدّمته من علوم و معارف، فحاول ضمّها جميعا في مصنّف واحد يكون مرجعا لكلّ باحث أو مطّلع في أيّ فرع من الفروع العلميّة، و هذا هو ديدن العلماء المسلمين القدامى في تصانيفهم؛ إذْ كانوا يسيرون على شاكلة **ابن خلدون** فيما يكتبون، و هذا منهج سلكه هؤلاء العلماء لتبيين التّكامل المعرفي و العلمي بين العلوم، و خاصّة بين العلوم الإسلاميّة و غيرها من العلوم الأخرى العقليّة و الكونيّة، فكم من علم منها كانت بذرته الأولى متواجدة في أحد العلوم الإسلاميّة، أو كانت نشأته بفضل أحدها كذلك، و هذا يكشف عن فضل العلوم الإسلاميّة بين سائر العلوم الأخرى أوّلا، و عن أنّ هذه العلوم (العلوم الإسلاميّة) لا تتّخذ موقف الحياد السّلبيّ أو الانفصال عن باقي العلوم الأخرى، بل تتداخل معها و تتقاطع و إياها في العديد من النّقاط و العناصر و المحاور و الأهداف.

قائمة المصادر و المراجع:

1_ الزركلي، خير الدين. (2002م). **الأعلام (قاموس تراجم لأشهر الرجال و النساء من العرب و المستعربين و المستشرقين)**، (ط6). بيروت، لبنان: دار العلم للملايين.

2_ مغربي، عبد الغني. (1988م). **الفكر الاجتماعي عند ابن خلدون،** (دط). الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعيّة.

3_ عاصي، حسين. (1411هـ/1991م). **ابن خلدون مؤرّخا،** (ط1). بيروت، لبنان: دار الكتب العلميّة.

4_ عبد الواحد وافي، علي. (1404هـ/1984م). **عبقريات ابن خلدون،** (ط2). الرياض، السعودية: شركة مكتبات عكاظ للنّشر و التّوزيع.

5_ عبد المولى، سيد شوربجي. (1409هـ/ 1989م).**الفكر الاقتصادي عند ابن خلدون الأسعار و النّقود_ دراسة تحليليّة _**، (دط). السعودية: إدارة الثّقافة و النّشر.

6_ العبدة، محمّد. (2009م). **نصوص مختارة من مقدّمة ابن خلدون**، (ط1). القاهرة، مصر: مركز الرّسالة للدراسات و البحوث الإنسانيّة.

7_ نصّار، ناصيف. (1981م). **الفكر الواقعي عند ابن خلدون_ تفسير تحليلي و جدلي لفكر ابن خلدون في بنيته و معناه_**، (ط1). بيروت، لبنان: دار الطليعة للطباعة و النشر.

8_ أبو خلدون، ساطع الحصري. (1387هـ/1967م). **دراسات عن مقدمة ابن خلدون**، (ط3). القاهرة: مكتبة الخانجي مصر. بيروت، لبنان: دار الكتاب العربي.

9_ ابن خلدون، عبد الرّحمن. (دت). **مقدّمة ابن خلدون**، (دط). عين مليلة، الجزائر: دار الهدى.

تاريخ الاستلام: 2016/01/11- تاريخ التحكيم: 2016/09/22 -تاريخ النشر2016/12/30

الثورة الجزائرية في الشعر الشعبي بمنطقة المسيلة 1954-1962.

د. محمد السعيد قاصري

جامعة محمد بوضياف – المسيلة(الجزائر)

❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁

ملخص

يندرج هذا المقال ضمن التاريخ الاجتماعي، وهو يعالج موْقع الثورة الجزائرية في الشعر الشعبي بمنطقة المسيلة 1954-1962، ويكمن الهدف الأساسي من هذا المقال في محاولة تدارك النقص الملحوظ في الدراسات التاريخية الاجتماعية- الأدبية، خاصة فيما تعلق منها بدور الشعر الشعبي في كتابة وتدوين تاريخ الثورة، الذي يندرج في نظرنا ضمن المصادر الأساسية للتاريخ، كونه يتضمن معطيات وحقائق تاريخية قد لا نجد لها ذكرا في الوثائق والمصادر التاريخية الأخرى، وعليه فالبحث في هذا المجال المعرفي بات من الضروري جدا للمساهمة في كتابة وتدوين تاريخ الثورة بمنطقة المسيلة من جهة، وفي المحافظة على هذا الموروث الشعبي الشفوي من الزوال من جهة أخرى.

الكلمات المفتاحية:الثورة الجزائرية، الشعر الشعبي، منطقة المسيلة، الذاكرة الشعبية، التراث الشفوي.

Résumé

Cet article est inclus dans l'histoire sociale, ll traite la position de la révolution algérienne dans la poésie populaire, dans la région de M'sila 1962-1954. L'objectife principal de cet article est la tentative de remédier à l'insuffisance constatée dans les études historiques sociales-littéraires, notamment quand il s'agit du rôle de la poésie populaire quant à la rédaction et la collecte de l'histoire de la révolution qui est inclus, à notre avis, parmi les références principales de l'histoire, tant qu'il comporte des informations est des vérités historiques, peut-être non pas mentionnées dans les autres documents et références historiques, c'est pourquoi, la recherche dans cet espace de savoir est devenue très impérative pour contribuer à rédiger et collectionner l'histoire de la révolution dans la région de M'sila particulièrement et à conserver cet héritage populaire de disparition généralement.

مقدمة

لا يزال البحث في تاريخ الثورة الجزائرية يحتاج إلى تضافر المزيد من الجهود والأبحاث، ولعلّه من بين الجوانب الرّئيسية التي تحتاج في نظرنا إلى لفت انتباه الباحثين والمهتمين بتاريخ الثورة الجزائرية، الشعر الشعبي الذي يُعد مصدرا أساسيا لا يمكننا الاستغناء عنه، نظرا لما تضمّنه من معطيات وحقائق تاريخية لم تعالجها بعض الوثائق والمصادر التاريخية المتوفرة حاليا، بينما وردت تفاصيلها في الشعر الشعبي الذي لا تزال تحتفظ به الذاكرة الشفوية عبر ربوع هذا الوطن.

وبخصوص دور الشعر الشعبي في الثورة الجزائرية يذكر المؤرخ أبو القاسم سعد الله في موسوعته الثقافية في معرض حديثه عن الشعر الفصيح والشعر الشعبي: «وبقدر ما كان الشعر الفصيح قد احتضن الثورة باعتبارها حدثا وطنيا هاما له مدلوله التاريخي والمستقبلي...بقدر ما كان الشعر الشعبي قد نظر إلى الثورة على أنها حدث كبير للتحرر من ربقة الاستعمار البغيض ومن قمع القوانين الاستثنائية الجائرة...وإذا كانت نصوص الشعر الفصيح مُدوّنة في أغلبها فإن نصوص الشعر الشعبي لم تُدوّن في أغلبها، ولذلك حفظ الفصيح وضاع الشعبي لأنه اعتمد على الرواية الشّفوية والذّاكرة، وهذه تذهب مع أصحابها ولا تُحفظ في أوراقها». (سعد الله، أ، 2007: 546-547).

وإيمانا منا بالسّعي وراء تحقيق هذه الغاية المنشودة، والقيام بتدوين ما أمكن تدوينه من الذاكرة الشفوية والمحافظة عليها من الزوال، جاء مقالنا ليصب في هذا السياق ويُكْمل النّقص الملحوظ والحاصل في الدراسات الأكاديمية بمنطقة المسيلة حول هذا الموضوع مقارنة بحجم الثورة، وتماشيا مع اهتمام بعض الجهات الرسمية في الآونة الأخيرة بالثورة في الشعر الشعبي، وبهذا الخصوص نذكر: ملتقى الشعر والثورة في ولاية الجلفة المنعقد يومي 18-19 مارس 2005، الملتقى الوطني المنعقد بجامعة مولود معمري بتيزي وزو خلال شهر ماي 2013 حول الأناشيد الوطنية ودورها التعبوي خلال الثورة، الملتقى الوطني حول الثورة في القصيدة الشعبية المنعقد بدار الثقافة بسطيف يومي 29-30 أكتوبر2014، الملتقى الوطني الثاني بجامعة الحاج لخضر بباتنة حول الثورة في الشعر الشعبي المنعقد خلال شهر أفريل 2015...الخ.

ولتشجيع عملية البحث في هذا اللون الأدبي-التاريخي بالمسيلة على غرار بعض الدراسات الأكاديمية التي تمت في هذا الشأن: مثل دراسة الأستاذ العربي دحو التي خصصها لمنطقة الأوراس، والموسومة بـ ديوان الشعر الشعبي عن الثورة التحريرية في الولاية التاريخية الأولى بالعربية والأمازيغية، والبحث المشترك لكل من الباحثين جلول بن يلس وأمقران الحفناوي الموسوم بالمقاومة الجزائرية في الشعر الملحون (الشعبي)، وبحث الأستاذ أحمد زغب من وادي سوف حول الشعر الشعبي الجزائري من الإصلاح إلى الثورة...الخ، هذا ولقد بُذلت جهودا كبيرة في تدوين وكتابة تاريخ الثورة من خلال الشعر الشعبي.

وبناء عليه فإننا سنحاول من خلال هذه الدراسة تسليط الضوء على مَوْقِع الثورة في الشعر الشعبي بمنطقة المسيلة، وإبراز دوره الرئيسي في التّعبئة الجهادية وبث الحماس الثوري في نفوس المواطنين، وفي نفس الوقت تخليد مآثرها. ونعني بالشعر الشعبي في هذه الدراسة الشعر الذي ظهر خلال الثورة، وتغنّى به القاصي والداني، شِعر ساهم في تأليفه وقوله شُهود العيان الذين اكتووا بنار الثورة وعاشوا ويلاتها لحظة بلحظة، سواء كانوا مجاهدين أو مدنيين فدائيين أو مُسبلين، مُواطنين عاديين أو سُجناء في معتقلات العدو الفرنسي، لأن هؤلاء اعتمدوا بالدّرجة الأولى على عُنصري الملاحظة والمعاناة، حيث شاهدوا الجيش الفرنسي ومُعداتِه العسكرية بمختلف أنواعها، وعايشوا ممارساته القمعية والإجرامية التي سلّطها عليهم، سواء في حياتهم اليومية أو في مختلف مراكز التعذيب والمعتقلات والمحتشدات، وفي نفس الوقت شاهدوا وعايشوا جنود جيش التحرير واحتكوا بهم، وتأثروا بهم، ولهذا فالشعر الذي ظهر خلال الثورة هو شعر حي نابع من أصوله التاريخية.

والإشكال المطروح في هذا المقال يكمن في محاولة الإجابة عن جملة من التساؤلات: ما هو مَوْقِعْ الثورة الجزائرية في الشعر الشعبي بمنطقة المسيلة؟ وكيف يمكننا توظيف الشعر الشعبي في تدوين وكتابة تاريخ الثورة بالمنطقة؟ ما هي المناهج المتبعة في انجاز مثل هذه الدراسات التاريخية-الأدبية؟ وإلى أي مدى يُمكننا اعتماد الشعر الشعبي كمصدر من مصادر التاريخ والتأريخ للثورة الجزائرية بهذه المنطقة؟.

بناء على ما تم جمعه من مادة علمية في ظروف متعددة وفي أوقات مختلفة، خاصة في ظل اهتمامنا بموضوع تطور الثورة بمنطقة المسيلة 1954-1962في إطار المشاريع الوطنية للبحث (PNR)، حيث كان بعض الرّواة أثناء

جمعنا للرواية الشفوية يستشهدون لنا بين الحين والآخر بالشعر الشعبي، وهو ما لفت انتباهنا إلى ضرورة تخصيص دراسة قائمة بذاتها لموضوع الثورة في الشعر الشعبي، آملين أن تكون هذه الدراسة بمثابة البوابة التي سَيلج من خلالها جُمهور الباحثين والمهتمين بهذا الميدان، للمساهمة في كتابة وتدوين تاريخ الثورة، بالاعتماد على الشعر الشعبي الذي لا تزال تحتفظ به الذاكرة الشعبية في منطقة المسيلة، التي تتميز بموقعها الجيواستراتيجي وبرقعتها الجغرافية الشاسعة، التي شكّلت حلقة وصل ومنطقة عبور رئيسية بين مختلف الولايات التاريخية خلال الثورة.

منهج الدراسة (كيفية توظيف الشعر الشعبي في تدوين وكتابة تاريخ الثورة):

اعتمدنا في انجازنا لهذا المقال على الجمع بين الزيارات الميدانية التي قادتنا إلى العديد من المهتمين بالشعر الشعبي بغض النظر عن مؤقِعهم في الثورة التحريرية (مجاهدين، فدائيين، مُسبّلين...الخ)، إلى جانب بعض المواطنين الذين عايشوا أحداث الثورة ولا تزال تحتفظ ذاكرتهم بمجموعة من القصائد الشعرية التي رصدت أحداث الثورة ووقائعها، ويتعلق الأمر هنا بزيارتنا لبعض المناطق التي شملت كل من مقرة، برهوم، عين الخضراء، أولاد دراج، المعاضيد، بوسعادة، سيدي عيسى...الخ، لمراعاة الامتداد الجغرافي وتباين المستوى الثقافي للرواة، كما اعتمدنا أيضا على مجموعة من المصادر والمراجع التي تطرق بعضها إلى جوانب من الشعر الشعبي أثناء الثورة بمنطقة المسيلة، وتوصلنا في الأخير إلى جمع رصيد هائل من الشعر الشعبي.

بناء على ما سبق ذكره من تجربتنا المتواضعة في جمع الرواية الشفوية أثناء انجازنا لموضوع تطور الثورة الجزائرية في منطقة المسيلة، الذي أشرنا إليه سابقا، يمكننا القول: إن الشعر الشعبي الذي لا يزال محفوظ في الذاكرة الشعبية الشفوية، يكاد يخضع لنفس الخطوات التي يتم بها جمع الرواية الشفوية، ومن بين أهم هذه الخطوات التي قمنا بها في هذا الشأن:

-تحديد موضوع البحث، كأن يكون يدور حول التعذيب الفرنسي في الشعر الشعبي، صفات وخصال جيش التحرير، وصف جيش العدو الفرنسي، الحركى والخونة، مظاهر الفرح بالانتصار على العدو، الحياة داخل المعتقلات والسجون، دور المرأة في الثورة...الخ، فالشعر الشعبي كما سبق وأن ذكرنا تطرق في معظمه إلى مثل هذه المواضيع، وخصّها بقصائد شعرية رائعة، وعليه فتحديد موضوع البحث في البداية ضروري جدا، وهذا لا يمنع بطبيعة الحال من وجود بعض القصائد الشعرية التي تطرقت في آن واحد إلى عدة مواضيع.

-بعد تحديد الموضوع، انتقلنا مباشرة إلى عملية البحث عن الشعراء الرّواة الذين لا يزالون على قيد الحياة سواء شاركوا في الثورة كمجاهدين أو عايشوا أحداثها كمواطنين بُسطاء لحظة بلحظة، وكتبوا قصائد شعرية عنها، أو يحفظون قصائد قيلت في الثورة، فأدَّوْها إلينا كما سَمِعوها، فهم يصبحون في هذه الحالة مصادر للأصول الشعرية المندثرة، كما يذكر ابن خلدون في مقدمته عن أخبار الأمم السابقة. (ابن خلدون، ع، 2002، 16).

-بعد تحديد هذه العينات تأتي الخطوة الموالية وهي ربط الاتصال بهم، وضبط برنامج لإجراء المقابلات معهم، وقبل مباشرة هذه الخطوة يجب تبليغ المعني (أو المعنيين) قبل موعد المقابلة بموضوعها الرئيسي حتى يُهيئ نفسه ويستعد أكثر، كما يمكن للراوي (الرواة) إحضار بعض المرافقين له وخاصة الذين يحفظون عنه الشعر للاستعانة

بهم في حالة النِّسيان، ففي هذه النقطة مثلا وقفنا على حالة السيدة واضح زينب التي استعانت بابنتها واضح زكية أثناء مقابلتنا معها، فكلما كانت تنسى بعض الأبيات الشعرية تذكرها ابنتها بذلك.

-أثناء موعد المقابلة يقوم الباحث في البداية بتشكيل بطاقة معلوماتية عن الراوي وعن مرافقيه إذا وُجدوا بطبيعة الحال، ثم يفتح معه موضوع المقابلة الذي توجد بحوزته قصائد من الشعر الشعبي حوله، وقد يترك الباحث للراوي أحيانا الطريقة التي تناسبه في عرض قصائده الشعرية إما بالتسجيل المباشر عن طريق الوسائل التكنولوجية المتاحة وهذا أحسن لتنشيط الذاكرة، وبهذا الخصوص تذكر الباحثة ليلى الصباغ: «ومن المجبذ في الوقت الحاضر أن يسجل الباحث المعلومات التي يحصل عليها من المصدر الحي على شريط صوتي [سمعي بصري]، وفي الوقت ذاته يدونها كتابة» (الصباغ، ل، 2008: 244)، أو يقوم الباحث بتدوين القصائد الشعرية بيتا بيتا في حالة امتناع الراوي عن التّسجيل المباشر.

-بعد الانتهاء من المقابلة يحرص الباحث على تدوين تاريخ ومكان إجرائها، ومدتها الزمنية، كما يحرص أيضا على أن يبقى في اتصال مباشر مع الراوي، وهذا للعودة إليه أثناء عملية تفريغ القصائد الشعرية وتدوينها، حيث تُصادفه بعض العبارات والألفاظ والأسماء الغامضة، فيطلب من الرواي في هذه الحالة توضيحها له، وبعد عملية التفريغ والتدوين، يتصل الباحث مرة أخرى بالرواي لعرض القصائد الشعرية المدوّنة عليه عرضا سليما.

-قبل توظيف ما تم جمعه من قصائد شعرية والاستشهاد بها في كتابة تاريخ الثورة يحرص الباحث على أن تكون لديه قصائد شعرية أخرى ثانية أو ثالثة قيلت في نفس الحادثة من طرف شعراء أو رواة آخرون، وهذا لمقارنة مضمون هذه القصائد ببعضها البعض اعتمادا على المنهج العلمي المقارن للوقوف على مواطن الاختلاف، خاصة فيما تعلق بالزمان والمكان والعدد وطبيعة الأسلحة المستخدمة ونتائج المعركة أو الحادثة موضوع القصيدة، فبهذا الخصوص مثلا وقفنا على قصيدتين تُخلد معركة الميمونة الأولى للشاعر رحمون المداني والثانية للشاعر مداني موسى، حيث سجّلنا اختلافا كبيرا في تخليدهما للمعركة خاصة فيما تعلق بوقت المعركة، عدد الشهداء، الخسائر البشرية للجيش الفرنسي، الأسلحة المستخدمة..الخ، كما يجب على الباحث في هذه النقطة بالذات مقارنة مضمون القصيدة بما توفر لديه من معطيات تاريخية في مصادر أخرى كالوثائق، والمذكرات الشخصية، والمصادر المكتوبة إن وجدت بطبيعة الحال.

-وفي الأخير ينبغي الإشارة إلى أنه ليس كل القصائد الشعرية ينبغي توظيفها في كتابة تاريخ الثورة، فليس كل ما يُعرف يقال، كما يقول المثل الشعبي، فالباحث عليه أن يتجنب القصائد الشعرية التي تحمل في طياتها بذور الفتنة والصراع القبلي والأسري خاصة فيما تعلق منها بالهجاء وفضح ممارسات ومواقف بعض الخونة خلال الثورة، إذْ وقفنا على قصائد كثيرة ضررها أكثر من نفعها، وفي حالة ما إذا ظفر بها الباحث لا يسارع إلى نشرها قبل معرفة ما ستتركه من وقْع وانعكاسات في المجتمع، وبهذا الخصوص سجّلنا صعوبة كبيرة في تدوين الشعر الشعبي، جراء تهرّب وامتناع كثير من العيّنات في الإفصاح عن ما بحوزتهم من قصائد شعرية، خاصة إذا عرفوا بأنها ستُدوّن وتُنشر

في شكل مقالات أو في شكل كتب، وبعض الرواة قدّموا لنا قصائد شعرية وطلبوا منا عدم الإفصاح عن هُويتهم، الأمر الذي صعّب من مهمة انجاز هذا المقال.

أغراض الشعر الشعبي بمنطقة المسيلة خلال الثورة التحريرية:

من خلال قراءتنا الأولية لهذا الموروث الثقافي وقفنا على مدى ثرائه وتنوعه إلى أغراض شعرية كثيرة جمعت بين المدح والذم، الفخر والهجاء، الفرح والحزن، الجمال والقبح، اللذة والألم...الخ، وعليه فمعالجتنا لهذه الأغراض الشعرية الثورية ستكون على النحو التالي:

1-الشعر الحماسي حول وصول الثورة إلى منطقة المسيلة:

ظهر هذا الغرض الشعري قبيل اندلاع الثورة، واستمر في تغذيتها وتشجيعها خصوصا في السنوات الأولى من عمرها، وفي هذا الشأن وقع اختيارنا على عيِّنة من المجاهدين، ويتعلق الأمر هنا بالمجاهد جوهري الفوضيل – من مواليد 1938 بقرية أولاد تبان التي تقع في السفوح الشمالية لجبل قديل الذي يمثل جزء كبير من سلسلة جبال الحضنة– الذي كان له الفضل الكبير في موافاتنا بقدر لا بأس به من القصائد الشعرية الحماسية التي كان غرضها تعبئة المواطنين وتجنيدهم للالتحاق بالثورة واحتضانها، ومما جاء في روايته: عندما انطلقت الثورة بجبال الأوراس كُنا نسمع بالمجاهدين، ونسمع عنهم روايات وحكايات كثيرة ساهم العدو الفرنسي في ترويجها حيث نعتهم بالفلاقة، المتوحشين، الإرهابيين الذين يزرعون الرعب في أي مكان يصلون إليه، وهكذا بدأت أخبار الثورة والمجاهدين تصل إلينا عن طريق مُعلم القرية الذي كان على دراية تامة بها، ومن ملامح ذلك ترديده لبعض الأبيات الشعرية الحماسية ومحاولته تلقينها لنا، (جوهري، ف، 2011: رواية شفوية)، ومن بين هذا البيت الشعري:

ضَرْبُونَا مَنْصُورْ بْلَا طَيَارَة بْلاَ بَابُورْ بَرْكَةْ رَبِي وَالرَسُول نْحِيُبوا الحُرية

وعندما سألنا محدِّثنا عن المغزى من هذه الأشعار كان يجيبنا بأبيات شعرية أخرى منها، هذا المقطع الشعري:

ضَرْبُونا نَجْمة وهْلاَل تَفْزَعْ نْسَاء ورْجَال جَبْدُونَا منْ قَاعْ لَبْيَارْ

وفي حقيقة الأمر فإن هذه التعبئة الجهادية –يقول محدثنا– لم نستوعبها؛ ولم نتوقع أيضا خبر اندلاع الثورة عبر كامل ربوع الوطن، وظل معلم القرية يُحفِّزنا على الجهاد ضد العدو الفرنسي، ويُلقننا المزيد من الشعر الحماسي إلى غاية قدوم أول فوج من المجاهدين في خريف سنة 1956، حيث كنا نرعى الأغنام في الجبل؛ وكان هذا الفوج يضم حوالي 25 مجاهدا، فشاع خبرهم في الدشرة: هاهم المجاهدين، وراح كل واحد منا يُقدم تفسيرا مُعينا لما رآه، وعما كان يسمعه عنهم من قبل فاختلط الخيال بالحقيقة، وشيئا فشيئا بدأ وصول بعض قادتهم مثل عمر حيحي من منطقة القبائل، والحاج عبد القادر؛ حيث قاما بعقد أول اجتماع لسكان دشرة أولاد تبان أثناء الليل.

ويواصل محدثنا الذي حضر هذا الاجتماع بأنهم استمعوا لخطبة مُطولة أُلقيت عليهم، ومما جاء فيها: نحن نحارب في الاستعمار، ويجب علينا الإتحاد بوضع اليد في اليد، نحن لا نحارب في بعضنا البعض كما يدّعي العدو، يجب القضاء على القياد وعلى الشّنابط، وعلى الاستعمار أن يخرج من البلاد...ومن يخرج على النظام (أي الثورة)

يكون قد ظلم نفسه، وبعد هنيهة راح مُحدثنا يستذكر بعض المقاطع الشعرية التي لا تزال راسخة في ذهنه، أبيات اتضح لنا فيما بعد أنها من تأليف الشاعر كمال شابو (دحو، ع. (ط1). 2012: 83). ومن بينها:

قُدَاْش نْفَكَرْ في الجزائر عادت حَية ۞ كان دَم الشُّبان أيْقطَرْ مُتْبَزَّع فِي كُل اَثْنِية

آه شُوفُو لِلعكري عَمْبالهَا فِي الطَّبة تَكْرِي ۞ خُـــفْـــنا الحَـــق أنـــقُولُـــوه

تَحْســـب فِي الدُنيـــا كِي بَكْـــرِي ۞ حَـــقْ الجَـــزائِـــر نَـــدُوه

ثم يواصل حديثه: لقد جذب هذا الشعر الحر التفات الشباب وبدأ السكان في الانضمام إلى المجاهدين، وهكذا بدأت الثورة تنتشر في الأوساط الشعبية؛ واستمر تلقين هؤلاء الشباب الأشعار الحماسية، التي من بينها:

فْرَانْسَـــا الغَدارة تُضْربْ فيـنا بالطّيَـــارة ۞ أَحْنَـــا عْرَبْ ما ناشْ نْصَـــارى

شُوفو شُوفو يا أولاد النّاس اللّي خَانُوا البلاَدْ ۞ كبار الرُؤوس القِيَاد وَزَادُوهُم القُوميَة

2-الشعر البطولي للتغني بالمجاهدين وشجاعتهم.

قدّم لنا هذا الغرض الشعري صورة حية وصادقة عن جنود جيش التحرير، حيث صوّر لنا شجاعتهم وعزيمتهم القوية في مواجهة العدو الفرنسي، كما صوّر لنا حالة المجاهدين ومعنوياتهم المرتفعة أثناء مغادرتهم لعائلاتهم والتوجه للقاء العدو في أرض المعركة، التي تتوقف نتيجتها إما على النصر أو الشهادة في سبيل الله، وهنا يُقدم لنا الشعر الشعبي صورة الشهيد الحي وما ينتظره في جنات الخلد، وفرحة المجاهدين بالنصر على العدو الكافر، وبهذا الصدد قدمت لنا السيدة زينب واضح -من مواليد 1932 بقرية واضح بمقرة- صورة حية عن حالة المجاهد الحسين الأوراسي، ذلك الفتى الشهيد الذي ظل صامدا في أرض المعركة حتى نفذت ذخيرته، وكبّد العدو الفرنسي خسائر بشرية فادحة، ومما جاء في هذه القصيدة التي وُجِّهت لأمه مباركة، وباتت مضربا للشهامة والشجاعة لكل أم شهيد (واضح، زينب. 2012، رواية شفوية):

حَدَّرْ من لجَبْلْ لَزْرَقْ ودْخَل في وَسَط الكَفْرة وخْلَف ثَارْ أَعْمَامَهُ

ما تبكيش يا مْبَاركة إلاَ وفْات أيامه

ما تبكيش يا مباركة وهذا ربي أَلّي رَادْ

ما دَخْلْتِيلُو لْعُرُوسْ ومَا خلاَ الأولاد

الحسين الأوراسي اسْتَشْهدْ على الجِهادْ

...

حَدَّر مِن لْجَبْلْ لَزْرَقْ المونِيتِيرْ وَاتاهْ

دْخل في وَسط الكَفْرة وخَلّف ثَارْ باباه

ما تبكيش يا مباركة.

سَرْكْلاَتُو فْرانسا حتىَّ أصْحابه رَاحُو

مِنْ لَقْدَرْ وَالشَّجَاعة تْبَقَّى ثَمّه بسْلاَحُه

وفي المقاطع الموالية تنتقل بنا إلى الحديث عن المجاهد سي لخضر والفرحة التي كانت تغمره بجنوده وهو يصول ويجول في منطقة واد المالح، يقتل ويأسر في جنود العدو، ثم تحاول تقديم صورة فرنسا وجنودها عندما قَدِمت إلى جبال بوزقزة تستهزأ بالثوار، ولكنها وجدت رائحة البارود ودوي الرصاص في انتظارها من طرف جنود جيش التحرير، فتحوّل جبروتها وتكبّرها إلى مسخرة وأضحوكة في الذاكرة الشعبية، ومما جاء في هذه المقاطع التي استعانت في سردها علينا بابنتها واضح زكية –من مواليد 1953 بقرية واضح بمقرة– ومما جاء فيها (واضح، زكية، 2012: رواية شفوية):

فِي وَادْ المِالحْ سِي لخْضَرْ بِجُنُودِه فارحْ
يَقْتُل وَيذْبح فِي العَساكَر هذا النِّظامْ
فِي وادْ اللُّوحْ قَامِيرة تَبْكي وَتْنُوحْ
قَلْبها راهُو مَجْروحْ عبد العزيز كْواها كَية
فِي جْبل بوُزقْزَةَ وفْرانْسا طَلَّت تَسْتَهْزأْ

وإلى جانب هذه القصائد التي تمتزج فيها جهات الوطن، وقفنا على قصيدة شعرية وجدناها متناثرة في بعض القصاصات الورقية، حول الشهيد خزاري عثمان –من مواليد 1924، استشهد في سنة 1960– (مديرية المجاهدين، م، 2010: 55) ؛ ومما جاء في هذه القصيدة التي لا تزال مضربا للشهامة والبطولة في الذاكرة الشعبية لسكان مقرة وبلعائبة (خزاري، ع، 1984: 10-11):

أَبْكِي يَا عَائِشة بَنْت سْعِيـــدْ ۞ أَبْكِي عَلى وَلْدَكْ رَاقَدْ كِيفْ الصَّيْد
رَاحتْ لِهْ أُمه غَطْتـــــهُ بْسِلِّيخْ ۞ تَرْبحْ الحُريـــــة وَانْدِيرُولْهَا تَارِيـــخْ
فِيلوُ عُثـــمان لَقْدَرْ فِي ٱلْقَـــدرْ ۞ نَاقل الاشْتِرَاكَاتْ يطْلـــع لَلْجبْل
الفِيلو فِي مَضْرَبْ والبَرنوسْ فِي مَضْربْ ۞ هَذاكْ عثْمـان يْعَـــمْرْ ويَضْـرُبْ
لاَنْدرُوفير أَلِّي جَاتْ مِثْل عَقْرَبْ الرِّيحْ ۞ أَربعـة مَاتوُ وخمْســـة جْحَارِيـــحْ.

نستشف من هذه القصيدة دور الشهيد عثمان خزاري الذي كان مُكلفا بجمع التبرعات لجيش التحرير ونقل البريد من القرية إلى الثوار بجبال بوطالب عن طريق دراجته الهوائية، وعلى الرغم من طبيعته المدنية (فدائي) فإنه كان مُسلحا، وفي أثناء طريقه وقع في كمين للجيش الفرنسي، وهنا ترجّل الشهيد وأخرج سلاحه من تحت برنوسه وخاض معركة الشرف والشهادة مع العدو الفرنسي أسفرت عن قتل 04 جنود وجرح 05 آخرين.

وفي ناحية أخرى من نواحي المسيلة وبالذات في منطقة بوسعادة وقفنا على قصيدة للشاعر عبد الغفار عبد الحفيظ –من مواليد 1948 ببوسعادة–، التي قالها في حق المجاهد البطل محمد نويبات –من مواليد 1936 ببوسعادة– الذي أبلى بلاء حسنا خلال الثورة، وخاض عدة معارك مع العدو الفرنسي كان يخرج منها دائما منتصرا وجراحه تنزف ولكن لم تكتب له الشهادة، وهكذا ظل يقارع العدو بالولاية السادسة من منطقة لأخرى

حتى بزوغ فجر الحرية والاستقلال، التي كان ثمنها باهضا، ومما جاء في هذه القصيدة التي تتكون من 28 بيتا (قذيفة، ع، 2011: 117):

الحُرية ما هِيشْ بالسهولة جاتْ ۞ لِلْجنة ما ذا أبْعثْنا مِن وُفودْ
سَقْسينِا رْجال في الثورة عَدَّاتْ ۞ سَقْسينا ضُباط عَنها والجُنود
مِن بين الضُّباط سَلْناهْ انْوبِيَاتْ ۞ محمد بَطل الفِدا في الحرْب يْطوُد
محمد ما ذاق في الثورة فَجْعَات ۞ وَاتّحداها بِالشّجاعة فْحَل أُسود
قال اَطْلعْنا لِلْجبْل والنَّفس اَرْضاتْ ۞ يَدْفعنَا كُرْه النَّصارى واليَهُود
وَرَّانَا في فْرِيسْتُو عِدّة ضَرْباتْ ۞ الحَافْظ ربِي وَالأجَلْ فَايتْ مَحْدُودْ
وَاشْ يْجِيكْ لّلي اَمْخَيّطْ بِرْصاصاتْ ۞ لَوْلا حِفْظ الله لاَ عَشيَّ مَفْقوُدْ
وَأبْقىَ ثابِتْ فَالْجَبَلْ بَينَ السَّاداتْ ۞ فِي الولاية السّاته فِيها مَعْدُودْ

3-شعر المعتقلات والسجون:

يُعد شعر المعتقلات والسجون من بين أغراض الشعر الشعبي التي وقفنا عليها خلال هذه الدراسة (زغينة، م. 1990. 30)، وهو يقدم لنا صورة صادقة حول الحياة اليومية للمعتقلين، وما كان يدور من استنطاق وتعذيب وراء الجدران الصامتة والأسلاك الشّائكة والمكهربة التي كانت تحيط بهذه المعتقلات، كما يتطرق أيضا إلى عزيمة وإرادة هؤلاء المعتقلين وقوة إيمانهم بالثورة وعقيدتهم الراسخة التي لم تتزعزع، كما يشير إلى قدرة جبهة التحرير في اختراق أسوار هذه المعتقلات وتسجيل حضورها بقوة بين المعتقلين، وهذا من خلال تأطيرهم وتنظيمهم ومواساتهم، وغرس المبادئ الوطنية والثورية في صفوفهم، وعدم تركهم عرضة للإهمال واللامبالاة.

واذا تطرقنا إلى المعتقلات والسّجون فالمسيلة تُعد من بين المناطق التي عرفت انتشارا واسعا للمعتقلات والسجون ومراكز التعذيب منذ البدايات الأولى للثورة، والبداية كانت بمعتقل الشلال الواقع على بعد 20 جنوب المسيلة، والذي يُعد أول معتقل تم فتحه في الثورة على مستوى مقاطعة الشرق الجزائري في شهر ماي 1955، لكنه لم يُعمر طويلا بسبب العاصفة الهوجاء التي اقتلعته من أساسه ليلة الرابع من شهر أوت 1955 (سعدي، خ، 2013: 121) ؛ ورغم الظروف التي مرّ بها المعتقلون بعد هذه العاصفة فإنها دُوِّنت في ذاكرتهم وراح كل واحد منهم يُعبر عنها بطريقته الخاصة، ومما جادت به قريحة أحد المعتقلين حول هذه العاصفة التي وصفها بالليلة الليلاء (مقدر، ن، (2010-2011): 47):

وليلة شُؤم يخلع القلب هولها ۞ أتاحت على شلالنا بالعوادي
فلا تسمع الآذان إلا تزمجرا ۞ ولا تنظر العينان غير السواد
وإلا دعاء أرسلته حناجر ۞ تمد به نحوا السماء الأيادي
تُذكرنا والحال حال تخشع ۞ بما أخبر القرآن عن ريح عاد.

وعلى إثر ذلك تم نقل المعتقلين من معتقل الشلال إلى قرية الجرف بسلمان (أولاد دراج حاليا) ، التي تم تحويلها إلى معتقل الجرف، الذي فتح أبوابه بشكل رسمي في 01 اكتوبر 1955، ورغم ظروف الاعتقال القاسية، والحياة اليومية الصعبة داخل هذا المعتقل، فإن هذا لم يمنع المعتقلين من تحدي إدارة المعتقل والتعبير عن تطلعاتهم للحرية والاستقلال، وهذا من خلال كتابة الشعر والجهر به على مرأى ومسمع من الجلادين، وفي هذا الشأن يبرز لنا الشاعر محمد الشبوكي –من مواليد 1916 بمنطقة ثليجان بالشريعة ولاية تبسة– (جريدي، س. 2013: 15)، الذي كان له الفضل الكبير في كتابة كثير من القصائد الشعرية، والتغني بها مع أقرانه طيلة وجوده داخل المعتقل سنة 1956، قصائد خلّدها التاريخ بمعتقل الجرف، وهي ذات دلالات ومعاني متعددة، يمكننا عرض نماذج منها على النحو التالي:

أ–**قصيدة يالها الله ثورة...!** (الشبوكي، م، 1995: 42): هي قصيدة ذات طابع حماسي ساهمت في إثراء الحماس الثوري لدى المعتقلين، كونها كانت تردد بشكل جماعي، في ساحة المعتقل وفي داخل الزنزانات، وكانت كلماتها تدوي في آذان العدو الفرنسي والجلادين لدرجة أنهم كانوا يعاقبون كل من يقوم بترديدها، ولكن كل هذا لم ينفع مع إرادة وعزيمة المعتقلين الذين وحّد بينهم ظلم وجور العدو في المعتقل، ومما جاء فيها:

نحن في الجرف أمة ۞ وحّد الظلم بينها
عمّها جُور دولة ۞ قرّب الله حينها
ضِدّها ثار كلنا ۞ كلنا رام بينها
يا لها الله ثورة ۞ ردّد الدهر لحنها

ب–قصيدة عود رشيد: تعكس لنا هذه القصيدة جانب من الحياة اليومية للمعتقلين، فعلى الرغم من الظلم والجور المسلط عليهم، فإن هذا لم يمنعهم من الترفيه عن النفس ونسيان ألام الغربة والعذاب داخل المعتقل، وفي نفس الوقت تحدي الجلادين من خلال التعبير عن معنوياتهم المرتفعة، من خلال القيام بالعزف على آلة العود التي كان صاحبها يعزف عليها بين الحين والآخر، وهذا ما دفع بالشبوكي إلى تنظيم قصيدة شعرية في حق صاحب هذه الآلة عنوانها: **عود رشيد** –وهو أحد الشبان المعتقلين بالجرف، كان يجيد العزف على آلة العود–، ومما جاء فيها:

نقرات العُود من كَف رشيد ۞ تَبعث النّشوة في القلب العميد
قُلت والأوتار في أنمله ۞ تتشاكى جفوة الدهر العنيد
أيها الفنان زِدني إنني ۞ لِأنين العود ذو شوق شديد

وعندما قرأ رشيد هذه الأبيات الشعرية، أُعجب بها، ولذلك طلب من الشبوكي أن يقول في عوده (آلته) قصيدة شعرية على لسان صاحب العود (أي رشيد)، فما كان من الشبوكي إلاّ أن قال هذه الأبيات، في حقه (الشبوكي، م، 1995: 201):

يا عود ردد أغاريدي وألحاني ۞ فالشوق برّح بي والبين أشجاني

وفي فؤادي حنين لا يفارقني ۞ إلى معاهد أحبابي وخـــلاني
ضمد جروح سهام الوجد في كبدي ۞ يا خل ظل مدى الأيام يرعاني
فإن تك المزعجات السود تعصف بي ۞ فأنت يا عود بالسلوان تلقاني

وبعد قراءة هذه القصيدة من طرق رشيد حوّلها إلى أغنية يُسَلِّي بها أقرانه في المعتقل، فيجتمعون حول عُوده ليطربهم ويهز نفوسهم شوقا إلى الخلان والأحباب، ويحاول أن يُضمِّد بها جراح سهام الوجد والضيق والضيم، والمزعجات السود من لسعات العقارب والبرد القارس، وطرق الجلادين لأبواب الزنازين ليلا لإزعاج المعتقلين والتشويش عليهم إمعانا في إذلالهم وقهرهم.

ج–قصيدة جيش التحرير الوطني (الشبوكي، م، 1995: 22): رغم ظروف الاعتقال وأساليب التعذيب الوحشية المسلطة على المعتقلين، فإن هذا لم يمنعهم من الافتخار بجيش التحرير الذي أدى اليمين وصمّم على الكفاح، وقهر جيش العدو وكبّده المزيد من الخسائر، فراح الشاعر يُمجِّد في خصال هذا الجيش الذي تزيّن صدره بالإيمان وكفّه برشاش يحصد رصاصه الأعداء في ساحات الوغى، وأنه لن يلين ولن ينثني عُوده حتى تتحرر الجزائر وترتفع رايتها، فباتت هذه القصيدة بمثابة صرخة مدوية وكلماتها طعنات خنجر في صدور المشرفين على المعتقل، ولذلك تم نقل الشبوكي من الجرف إلى معتقل "بول كازيل" بعين وسارة، ومما جاء فيها:

أدَّى اليمِين وصمَّما وإلى الكِفاح تقدما
لله جـــيش ثائـــر رام التحرر بالـــدما
في صدره الأيمان يـــز خر مثل يمّ قد طما
وبكفِّه الرّشاش يحصـ د بالرصاص عدا الحمى
لا ينثني حتى يـــرى قيد الهوان تحـــطما
ويرى البلاد تحررت ويرى اللواء وقد سما

وفي قصيدة شعبية أخرى وقفنا على مدى تجذّر الروح النّضالية والاستشهادية في الحوار الذي دار بين الأم وابنها المجاهد عندما توجه إلى جبهة القتال، وهي قصيدة خلّدتها الذاكرة الشعبية في منطقة المسيلة الشرقية، بحكم انتمائها للولاية التاريخية الأولى الأوراس (مزوز، م، 2014: 64)، ومما جاء فيها:

اسْمحيلِي لُميمة ، سْمحِيلي فِي جْهادي
اسْماح اسْماح، لْبَابَا وْلِيدِي
مَرسولْ من عِند العَالي.

وتقول في موضع آخر، عن مدى إقدام جيش التحرير وعدم مبالاته بالعدو وسلاحه الفتاك (مزوز، م، 2014: 81):

لِيشَار اقْدّم لِلْدّار
والسّْلْسْلَة تُوزَنْ قُنطَار
إذا قَدّْمْنا شَعْلتْ النَّار

وإذا هُزِمْنَا يبْقَى عْلينَا العَارْ

4-شعر المآسي:

عرفت الثورة الجزائرية بمنطقة المسيلة كثير من الأحداث المؤلمة والموجعة التي تسببت في سقوط عدد كبير من الضحايا، في معارك وهمية وهامشية ليس بين جيش التحرير وجيش العدو الفرنسي، ولكن بين إخوة أشقاء، ويتعلق الأمر هنا بالمؤامرة الكبرى التي عرفتها منطقة المسيلة خلال الثورة من طرف الحركة المصالية المناوئة للثورة، حيث ساهمت في استنزاف القدرات العسكرية والمادية لجيش التحرير وجرّته إلى الكثير من المعارك الهامشية، وفي هذا الشأن وقعت مواجهات كثيرة ومعارك عديدة كان الرابح فيها العدو الفرنسي، ومن بين الأحداث المؤلمة في المنطقة حادثة ملوزة (قليل، ع. ج2، 1991. 48-49) التي سجّلها الشعر الشعبي، وهذا ما وقفنا عليه من خلال قصيدة الشاعر الجزائري عبد السلام الحبيب -من مواليد 1918 بدمشق، ابن عائلة جزائرية مهاجرة تنحدر من معسكر- الموسومة بـ: يا ملوزة (بيطام، م، 1998: 360):

يا مْلُوزة
مأْساتُك طَافتْ أُرجُوزة
مْلوزة
ستَضلّين لنَا أُرْجُوزة
في مِحْرابِ الحِقْد الظَّامي
في هَيكَل ذِكْرانا الدّامي
من وَهران إلى قسنْطينة
بِقُرانا في كل مَدينة
وبِأْوراس عَرين الثّوار
كالرَّعد يُدمْدمُ كالإعصَار
يجْتثُّ جُذُور الاسْتِعمَار

يصور لنا الشاعر هذه الحادثة بأنها مأساة وطنية، ارتكبها الجيش الفرنسي بدم بارد في حق المواطنين العزل، بسبب الحقد الأعمى على الشعب الذي احتضن الثورة بِقُراه ومُدنه، وأنّ ما وقع في ملوزة لا يُنسى ولن يُنسى أبدا، وصداها الدامي وجُرحها عمّ أرجاء الوطن من وهران إلى قسنطينة، مرورا بالأوراس عرين الثوار، الذي سيظل يُدمدم ويعصف بالظالمين كالإعصار حتى يجتث جذور الاستعمار.

5-شعر الهجاء:

لم تخلو الذاكرة الشعبية بمنطقة المسيلة من الاحتفاظ بهذا الغرض من الشعر الشعبي، الذي كان مجال الحديث عنه واسعا ومتعددا، حيث نجده حاضرا بقوة في هجاء العدو الفرنسي، قيادة وجيشا، عتادا وأسلحة، وأفعال وممارسات وحشية، وفي هجاء الحركى والقومية والخونة والمتآمرين ضد جيش وجبهة التحرير، وسنكتفي هنا

بالإشارة إلى قصيدة الشاعر جغيدل التي ألّفها في هجاء خائن الثورة والوطن محمد بلونيس-من مواليد 1912 ببرج منايل-(بن حمود، ب، 2012: 248-251) كنموذج لهذا الغرض الشعري، ومما جاء فيها (قذيفة، ع، 2007: 83-84):

يا فَـرْخ الحمامَ بالقَصْد نَوصِّيكْ ۞ تُوصل بَلُّونيسْ تُنظر لِي حَالو
قُلُّو يا خَبيثْ ربي يْبهْدل بيك ۞ والدّنيا وأيـــــامْ فيــهَا مَا زالُوا
أنت والخبثاء لِي بين يْديــــكْ ۞ لِي حبُّوكْ الحُب كُلو بْكْمَالُو
تَاكُل مَالْ الشَّعْب هَذا عَارْ عْليكْ ۞ والجَيشْ النَّبيلْ رَاكْ عَلى بَالُو
أرْواح الشُّهدا تْبات تْخاصُم فيكْ ۞ نَاكُر ونكِيرْ عْليك يْســـالُو
لا كوُست وجْماعْتُو يَلْعبُو بِيكْ ۞ يا عَدُو الإسلام تَربح مَا قالُو

6-شعر المدح:

يكاد يحتل هذا الغرض الشعري نصيب الأسد بين مختلف أغراض الشعر الشعبي التي أُلِّفت حول الثورة في منطقة المسيلة، كيف لا والمقام كان يقتضي ذلك، فالمدح لم تكن تخلو منه أي معركة أو كمين أو عملية فدائية نفّذها جيش التحرير ضد العدو، كما لا يكاد يخلو منه أي مظهر طبيعي من جبال وهضاب وأنهار ووديان، وحتى الشّجر والحجر، أو من جنود جيش التحرير عسكريين أو مدنيين، فدائيين أو مُسبّلين، ، كما شمل غرض المدح مختلف أنواع الطيور والحيوانات التي كانت حاضرة في الثورة كطائر الحمام، البوم، الغراب، اللقلق،...الخ. وإن دل هذا على شيء فإنما يدل على المخيلة الواسعة والكبيرة للشاعر الشعبي الذي لم يترك شاردة وواردة إلاّ وقام بمدحها ليس لذاتها، وإنما لعلاقتها المباشرة بالثورة، والدور الذي لعبته، ونظرا لتشعب هذا الغرض الشعري اقتصرت على تقديم النماذج التالية من باب الأمثلة فقط:

أ-جبل بوطالب:

شكّلت جبال الحضنة التي تحيط بالمسيلة من الناحية الشمالية (جبل بوطالب، جبل قديل، جبال المعاضيد، جبال أولاد حناش، جبال الدريعات...الخ) وجبال الأطلس الصحراوي التي تحيط بالمسيلة من الناحية الجنوبية (جبل بوكحيل، جبل مساعد، جبل محارقة...الخ) معقلا رئيسيا لجنود جيش التحرير، وملجئا آمنا يلجئون إليه ويحتمون به، كما أن معظم المعارك العسكرية دارت رحاها بهذه الجبال، وعليه فالجبال احتلت مكانة مُتميِّزة في الشعر الشعبي، فتغنى بها الشعراء، وركّزوا على دورها في الثورة، ومدحوا أشجارها كشجرة الصّنوبر والكروش والعرعار، وقممها المرتفعة والشامخة، وحصانتها ومناعتها الطبيعية التي حالت دون وصول الجيش الفرنسي إليها، ومن بين هذه الجبال على سبيل المثال لا الحصر جبل بوطالب، (المعروف بالشّنْقورة وبالشَّلْخة)، الذي يُشرف تقريبا على المسيلة كلها، وتظهر لنا من خلال قِمّته قِمم ورؤوس الجبال السابقة الذكر وكأنها نُصِّبت لتحرس منطقة المسيلة وتتبادل رسائل الثورة المشَفَّرة بين الشمال والجنوب وبين الشرق والغرب. ومن بين ما احتفظت به الذاكرة الشعبية حول هذا الجبل ودوره في الثورة التحريرية، ما جاء في المقاطع التالية: (دحو، ع. 2012. (ط2): 21):

يا جْبـــــــــــل بُوطَـــالـــب ۞ أَنْـــــت عَـــــالِي واَبْعـــــــــيدْ
أنَـــت عـــــــــالي وابْعـــيدْ ۞ سَكْنُوك الثُّوارْ فِي الظَّلْمـــة والجَلِيـــدْ
يا جبل بوطالب أنت عَالي واصْحيحْ ۞ أنْـــــت عَـــــالي وأصْـــحيِـــــــحْ
سَكْـــــــــــنُوكْ الثّـــــــُوار ۞ فِي الظَّـــلْمـــــــة والرِّيـــــــــحْ.

ب–جبل الزعفران، جبل مساعد، جبل محارقة، جبل بوكحيل: شملت هذه القصيدة مجموعة من الجبال التي تقع إلى الناحية الجنوبية من المسيلة، ضمن سلسلة الأطلس الصحراوي، وهي تقف شامخة ومقابلة لجبال الحضنة التي تقع شمال المسيلة، ومما جاء فيها بهذا الخصوص (عباسي، ع، 2015: 374):

جْبَلْ الزَّعْفْرَانْ غَضْبَانْ امْكَـــشَّرْ۞ نَارُو مَا تَهْدَاشْ دُخَّـــانْ او تُعْرَارْ
ومْسَاعَدْ مَعْلُومْ للْجَيْش امْحَضَّرْ ۞ وَمْعَارَكْ فِي امْحَارْقَة جَابَتْ لَفْخـــــارْ
وَسْبُوعَة فِي بُوكْحَيْلْ عْلِيهُمْ سَرّْ ۞ أبْطَالْ الجِهَـــــادْ خَلاَّفِينْ النَّـــــارْ
سَقْسِي بُودَيْرِيْن حَلْفَايَة وَحْجَرْ ۞ ولْيَالِي وَيَّامْ تَحْـــكِي لَكْ ما صَـــارْ
دَبَّابَاتْ امْرَصَّيـــــة قُوَّة تُدْحُـــــرْ ۞ خَيْط امْسَلْسَلْ جَايْ بالقُوَّة كَرْكَـــارْ
والنَّسَّافَـــــة يَوْمْـهَا هَوْلْ اِيَحَيّرْ ۞ احْصَدْنَا جَيْشْ النَّصَارَى حَصْدْ اغْمَارْ
جَيْشْ الرُّومِي عَادْ هَارَبْ يَتْوَخَّر ۞ منْ ضَرْبَاتْ ابْطـــالنَا ذَاقُـــــو لَمْرار

7–تخليد معارك وبطولات جيش التحرير:

خلّد الشعر الشعبي كثير من المعارك التي دارت رحاها بين جيش التحرير وجيش العدو الفرنسي، تخليدا تاريخيا رائعا، وهذا من خلال المعطيات التاريخية التي تضمنتها كل قصيدة، كمكان وزمان وقوع المعركة، وقائدها وعدد جنود جيش التحرير، كما يتطرق من جهة أخرى إلى جيش العدو الفرنسي من حيث العدة والعدد والأسلحة المستخدمة في المعركة مثل الطائرات والدبابات والعربات المصفَّحة، هذا إلى جانب رصد القصيدة الشعرية لعدد الشهداء في المعركة وخسائر العدو، **ومن** بين هذه المعارك على سبيل المثال:

أ–معركة بوخدي: (جرت وقائعها في 18 ماي 1956، ببني يلمان)، و يخلد الشعر الشعبي هذه المعركة، تخليدا مُتميّزا، وهذا ما نستشفه من خلال قصيدة الشاعر اليلماني التي جاء في بعض أبياتها (بن تريعة، ح، 2010: 108):

فِي لَيْلة الإِثْنِين صَارتْ غَبَّارَة ۞ تَحْت الكَاف أَلِّي مْنِيل زّيد احْـداه
زِيدْ القرن وْزِيدْ عَشرة لِلْعشرَة ۞ وْزِيدْ الخَمسة رَاهْ بِالتَّارِيخ مْعـــاه
فِي بوخْدي مَا يْصير وما يَطره ۞ الدُّخان يْثـــور والغَبّـار مْعـــاه
ضْرَب الكَانُو في السّماء والطّيارة ۞ وَضْرُبُه كَاسُح ما يَخَلَّفْش مِن جَاه
يا رِياسْ فَرانْسا رَاكُم عُـــرَّة ۞ وْهاَذ القُوة غَير خْسَارة عَنْكمْ لاَه
أُبَّابِير تْجِيبْ عسْكر بِالكُثرَة ۞ وْجبَل كْحِيل مْعمْر زيَّان اَسْمـــاهْ

ب–معركة الميمونة: وقعت يوم8 أفريل 1957م الموافق لـ08 رمضان 1376هـ (عباسي، ع، 2015: 217)، وقد خلّد وقائعها الشاعر المجاهد رحمون المدني –من مواليد 1908 بقرية فرفار ببسكرة–، بقصيدة شعرية رائعة نقتطف منها هذه الأبيات (عباسي، ع، 2015: 367-368):

قَبْل طْلُوع الشَّمس جَاتْ قُوة الكُفّار ۞ خمس عَشْرة آلاف مِن المجْرِمين
يُضـــــرِبُو يمينْ ويِسَـــــارْ بْقـــوة. ۞ حتى من الطّيرات ستّة وثْلاثـــين
عَسْـــكر راسَة خَابْجة الجِنْـــس الحَقَّارْ ۞ فِيـــهم بَعْـــض اعربْ مِن الخَائِنِينْ
نْهَار الْمَيْمُونة راه عْقّب فِي اللّي صَارْ ۞ كُنْت حَاضرْ فيه نُنظر بالأَعْيـــان
طَلْقُوا عْلِينا اَرْصَاصْهُم مِثل الأَمْـــطار ۞ هَاوُن وْ رَشَاشْ عَسْكرْ زَادْمِينْ
لَمَّا سَمْـــعُوا ضَرْبنَا اعْقَلْهُـــم جَـــار ۞ واَحْكَمْهُم الخَوْف مِنَا مَرْهُوبـــِينْ

....

اَبْداتْ المعْركـــــة مِـــن اَوْل نْهَـــــارْ ۞ مَاتَت رَبْعميـــــة بِغَيْر اَلْمَجْرُوحـــِينْ
ثمَنْية طَائِرَاتْ سَقْـــــطُوا مَحْرُوقـــِين ۞ هذَا اَللّي مَفْهُـــوم عِندَ اَلْمُجـــرِمِين
نَحْن خمْسة جْنوُد اسْتَشْهْدوُا حَدّتْ الاَعْمار ۞ وَعَدّهُم رَبِي فِي الجَنَّـــــــة حَيـــِين

ويُخلِّدْ المجاهد طويري موسى–من مواليد 1939 بمطقة بوملال ببني سرور–من جهته هذه المعركة في قصيدة عنوانها: "لَوْ تَنْطَقْ وَأنَا نْسَالَكْ يَا جَامدْ" تتكون من 23 بيتا، فبعد أن يقدم لقصيدته في ذكر تاريخ المنطقة العريق، ينتقل إلى ذكر بعض الجبال الشامخة شموخ الثورة، كجبل بوطالب، جبل مْحارقة، جبل بوكحيل، جبل مْساعد، جبل قسوم، ومن بين أبيات هذه القصيدة (عباسي، ع، 2015: 386-387):

لو تنطَقْ واناَ نْسالَكْ يا جَامَـدْ ۞ ونْسَقْسيكْ على الرْويني كَيْفَ كانْ
معركـة رمْضـان فيها يَسْتَشْهَدْ ۞ وفي أعْلى راسْ الجْبَلْ يَذّنْ فَرْحَـانْ
سَالْ مهيري كانْ في القَمْرَة يُوجَدْ ۞ مَتْكَلّفْ مَسْؤولْ عَنْ ذَوْكْ الشُجْعَانْ
وهْزَايَمْ جيشْ العَدُو قدَّاهْ اتْعَـــدْ ۞ كَتْبَتْهَا صُحُوفْ منْ بعض الأوْطـانْ
أكثر مَنْ ستّمْيات جُثّة تَتْمَرْمَد ۞ كانْ سْقَطْ نَقيبْهُمْ شاوْ الميْـــدانْ
مُجَاهَـــدْ قَيّاسْ في النَّقِيبْ يْشَدْ ۞ وَهْزَمْ جَيْش الروْمْ في ذَاكْ الزَّمـــانْ
والطيَّارة كِي تْكُب وتَتْقعَّـــدْ ۞ مْحْرُوقَـــة قَصْديرْها موْجُـــود الانْ
رَجْعَتْ ذَاهَبْ رِيحْها كِي تَتْشَلْبَطْ ۞ مَثْلْ الهَيْشَرْ شَاعْلا فيها النِّيـــرَانْ

دور الشعر الشعبي في كتابة تاريخ الثورة: (الشعر مصدر للتأريخ والتاريخ).

مما سبق ذكره يتضح لنا بما فيه الكفاية دور الشعر الشعبي في كتابة تاريخ الثورة الجزائرية، ليس بمنطقة المسيلة فحسب وإنما عبر كامل ربوع الوطن، فالشعر الشعبي يمكن إدراجه تارة ضمن المصادر الأساسية في كتابة تاريخ الثورة، في حالة عدم وجود أي وثائق تاريخية أو مصادر أخرى تؤرخ للحادثة التاريخية، وتارة أخرى يمكننا إدراجه

ضمن المصادر الثانوية، وهذا حسب توظيفنا له في مجال البحث، وحسب ندرة أو وجود مصادر أساسية أخرى خارج مجال الشعر الشعبي، كالوثائق أو الروايات الشفوية أو المذكرات أو المصادر المكتوبة.

وفي هذه النقطة بالذات يذكر الباحث عبد القادر خليفي، في معرض حديثه عن دور الشعر الشعبي في الثورة بصفة عامة: «وقد استغل مفجّروا الثورة التحريرية 1954-1962 هذا الفن الأدبي الشفوي، فراحوا يوقظون الجماهير ويعبئونها من أجل اليوم الموعود، وبذلك أدت فنون القول الشعبية وفي مقدمتها القصيدة دورا رائدا في مجال الاستعداد للثورة التحريرية، وتوحيد الشعب تحت قيادة جبهة التحرير الوطني» (خليفي، ع، 2010: 291).

وتثمّن الأستاذة الباحثة أمال لواتي هذا الطرح في معرض حديثها عن دور الشعر بصفة عامة في الكتابة التاريخية: «يصبح التداخل بين الشعري والتاريخي مشروعا لأن النص الشعري يُترجم عن وعي رسالي يحققه الشاعر الواعي بالتاريخ المؤيد بخصوصيات حضارية مما تجعل المؤرخ لا يستغني عن الشعر باعتباره روح التاريخ، حيث لا يقرأ تاريخ الجزائر بمعزل عن هذه الخصوصية التاريخية وإن كانت غاية الشاعر الجزائري ليس سرد مجموعة من الوقائع التاريخية...واستطاع الشاعر الجزائري في كل المراحل أن يعايش منظومة الواقع وأن يسجل حضوره كطرف مشارك في الزمن، ولعل حضوره هذا يساوي أو يفوق حضور بعض السياسيين والمؤرخين أو المثقفين الذين لم يستطيعوا مواكبة خصوصيات حركة التاريخ الجزائري». (لواتي، آ، 2013: 228-229)

وعليه فانه لا يمكننا الاستغناء عن الشعر الشعبي في كتابة وتدوين تاريخ الثورة، كيف لا والشعر قد دخل في الكتابة التاريخية منذ القرون الأولى للتدوين التاريخي، حسب ما ذهبت إليه الدكتورة ليلى الصباغ: «لا لعرض الحوادث التاريخية وإنما لطرح أقوال بعض الشعراء في معركة مثلا، أو في شخصية ما، مديحا، أو هجاء، أو في غير ذلك من الأمور، إلاّ أنه منذ القرن 3هـ/ 9م بدأت تظهر التواريخ الشعرية...ومن أشهر تلك التواريخ القصيدة الحميرية لنشوان بن سعيد التي يستعرض فيها تاريخ حمير في اليمن وأرجوزة ابن المعتز في مدح الخليفة المعتمد وأرجوزة محمد الباعوني الدمشقي تحفة الظرفاء في تواريخ الملوك والخلفاء» (الصباغ، ل، 2008، : 76-77).

خاتمة: من خلال ما سبق ذكره من عناصر، ومن قصائد شعرية جمعت بين مختلف أغراض الشعر الشعبي والثوري بمنطقة المسيلة، نكون قد خلصنا إلى جملة من النتائج والمعطيات حول هذا الموضوع، يمكن حصرها في النقاط التالية:

- البحث في مجال الشعر الشعبي بمختلف ألوانه لا يزال موضوعا بكرا في منطقة الحضنة عموما وفي منطقة المسيلة خصوصا، سواء تعلق الأمر بالدراسات الأكاديمية أو الدراسات الهاوية، فهي تكاد تكون نادرة إن لم نقل منعدمة تماما.
- غزارة المادة الخبرية التي عالجت مثل هذا النوع من الشعر، خصوصا ما تعلق منها بالشعر الذي لا تزال تحتفظ به الذاكرة الشعبية الشفوية فهناك كنوز قيمّة وقصائد شعبية تدور كلها حول الثورة لا تزال طي

النسيان، وإذا لم يتم استغلالها وتدوينها فهي في طريقها إلى الزوال والضياع، وضياعها معناه ضياع جزء كبير من تاريخنا وهويتنا.

- نقص الدراسات الأكاديمية حول موضوع الثورة في الشعر الشعبي بمنطقة المسيلة، (قمنا بهذا الخصوص بمحاولة التنسيق مع بعض الأساتذة الباحثين في مجال الأدب العربي بجامعة المسيلة، حيث اتصلنا بالدكتور عباس بن يحي رئيس مخبر الشعرية الجزائرية، الدكتور بلاعدة العمري، الدكتور عمار بن لقريشي، الأستاذ لخضر ديلمي (أحالنا بدوره على الدكتور رحمون بوزيد) لمساعدتنا وتوجيهنا نحو إن كانت هناك دراسات أكاديمية تمت بخصوص الثورة الجزائرية في الشعر الشعبي بمنطقة المسيلة، فتبين لي أن هذا الموضوع بكر ويحتاج فعلا إلى البحث والدراسة.
- وما كُتب منها وأطّلعنا عليه فهو خارج المنطقة، ولهذا فإننا ندعو من جهتنا الباحثين والمهتمين بهذا النوع من الأبحاث إلى الخوض في مثل هذه الدراسات التاريخية-الأدبية التي تعتمد بالدرجة الأولى على الشعر الشعبي، وهذا لتثمين الأبحاث والدراسات ذات الطابع السياسي والعسكري والدبلوماسي للثورة، وهي دراسات كثيرة جدا (عمارة، ع. 2013: 158-230) مقارنة بالدراسات التاريخية الأدبية والشعبية.
- قابلية المجتمع المسيلي عموما، ومجتمع الريف خصوصا، في مساعدة الباحثين على انجاز مثل هذه الأبحاث، وخاصة فيما تعلق بالثورة الجزائرية التي وجدناها تحتل مكانة مُتميّزة جدا في ذاكرة من التقينا معهم وتحدثنا إليهم حول هذا الموضوع، فهم على استعداد تام لتدوين ما تحتفظ به ذاكرتهم من أشعار حول الثورة بالمنطقة.
- تعدد هائل لمختلف أغراض الشعر الشعبي الثوري بمنطقة المسيلة، وهذا يعكس لنا تعدد الثراء الثقافي وتنوع المستوى الفكري لسكان المنطقة.
- الدور الإيجابي والفعّال للشعر الشعبي بمختلف أغراضه في مساعدة الباحثين على كتابة تاريخ الثورة الجزائرية بمنطقة المسيلة؛ فلا يكاد يخلو أي غرض شعري من حقيقة تاريخية معينة، لا نجدها بشكل واضح وجلي في بعض المصادر الأخرى.
- قوة الذاكرة الشعبية وقدرتها على الاحتفاظ بقصائد شعرية رائعة حول الثورة التحريرية والحركة الوطنية؛ والبعض من هذه القصائد وجدناه يعود حتى للقرن التاسع عشر كالتغني بأمجاد المقاومات الشعبية التي عرفتها المنطقة كثورة محمد بوخنتاش مع مطلع شهر مارس سنة 1860، حيث أُلّفت قصيدة شعبية راقية حولها تحت عنوان: يا راعي الملجوم (Féraud, Ch.(1985) 114-118) ، وثورة بن البكاي سنة 1849 (طيبي، م، 2005: 40-41) التي أُلفت أشعارا كثيرة حولها..الخ.
- إمكانية البحث في هذا المجال الحيوي الخصب وتأليف مُدونات وقواميس للشعر الشعبي خلال فترة الاستعمار التي دامت 132 سنة، ولتثمين هذه النقطة نرى ضرورة عقد لقاءات علمية على المستوى المحلي حول موقع الثورة في الشعر الشعبي بمنطقة المسيلة وتدوينه بشكل رسمي وأكاديمي، وفي هذا الصدد

يذكر أبو القاسم سعد الله: "أما ثورة نوفمبر فقد فجّرت الطاقات الكامنة وشحذت مواهب الشعراء، ولو جمع الشعر الشعبي الذي قيل فيها لملأ ربما دواوين" (سعد الله، أ، 2007، ج8: 349) ، فنجده مثلا عندما كتب عن معركة غوط شيكه التي جرت وقائعها بوادي سوف في شهر أوت 1955 يستشهد بقصيدة من الشعر الشعبي للشاعر العصامي رحومة العربي بن مبروك، التي قام بتسجيلها بواسطة شريط مسجل في 13 فيفري 1982 بقرية الجديدة بوادي سوف (سعد الله ، 2009، ج3: 150-152) .

- الثورة الجزائرية تحتل مكانة مُعتبرة، وموقِعا مُتميّزا في الشعر الشعبي بمنطقة المسيلة، حيث لا تكاد تخلو كل قرية أو دشرة إن لم نقل كل بيت من البيوت من الشعر الشعبي الذي قيل حول الثورة، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على مكانة وقيمة الثورة في الذاكرة الشعبية الجماعية أو الفردية، كما أنه ومن خلال معالجتنا لهذا الموضوع وقفنا على كثير من قصائد الشعر الشعبي التي قيلت في الثورة بعد الاستقلال، وهو ما يحتاج في نظرنا إلى دراسة هذا الجانب المهم من الموروث الشعبي، وتشجيع الباحثين على المضي قدما لجمعه ورصده وتدوينه حتى يستفيد منه المجتمع، ونقف من خلاله على موقع الثورة عند جيل الاستقلال.

بيبلوغرافيا البحث:

المصادر:

-ابن خلدون، عبد الرحمان. (1422هـ/2002م). مقدمة العلامة ابن خلدون. بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر.

-مديرية المجاهدين، المسيلة. (2010). السجل الذهبي لشهداء الثورة التحريرية لولاية المسيلة 1954-1962. المسيلة: الأمانة الولائية لمنظمة المجاهدين.

-مزوز، مبارك. (2014). حقائق وشهادات على الثورة الجزائرية. باتنة: مطبعة عمار قرفي.

-قليل، عمار. (1412هـ/ 1991م). ملحمة الجزائر الجديدة. (ج2. ط1). قسنطينة: دار البعث.

-الشبوكي، محمد. (1995). ديوان الشيخ الشبوكي. (المجموعة 1). الجزائر: المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والإشهار.

-Feraud ,(Ch) :(1985), les BEN-DJELLAB, SULTANS DE TOUGOURT. NOTES HISTORIQUES sur la province de Constantine. REVUE AFRICAINNE. volume 30, ANNEE 1886. ALGER, OFFICE DU Publications UNIVERSITAIRES.

المراجع:

-بيطام، مصطفى. (1998). الثورة الجزائرية في شعر المغرب العربي 1954-1962 دراسة موضوعية فنية. الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.

-بن تريعة، الحاج. (2010). بني يلمان أباء وأحفاد..أعلام وأمجاد وثائق ومستندات. (ط1). الجزائر: دار الوسيط للطباعة والنشر.

-جريدي، سمير. (1434هـ/2013م). محمد الشبوكي المجاهد الشاعر. (ط1). الجزائر: جسور للنشر والتوزيع.

-دحو، العربي. (2012). ديوان الشعر الشعبي عن الثورة التحريرية في الولاية التاريخية الأولى بالعربية والأمازيغية، (ط2). قسنطينة: دار الألمعية.

-دحو، العربي. (2012). ديوان شعراء شعبيين شهداء ومجاهدين عن الثورة التحريرية. (ط1). قسنطينة: دار الألمعية.

–طيبي، مصطفى. (2005). القائد سيدي أحمد بن البكاي وثورته المنسية. عين مليلة: دار الهدى للطباعة والنشر.

–سعد الله، أبو القاسم. (2009). أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، (ج3). الجزائر: عالم المعرفة.

-سعد الله، أبو القاسم. (2007). تاريخ جزائر الثقافي 1954-1962، ج10. (ط1). بيروت: دار الغرب الإسلامي.

-سعدي، خميسي. (1434هـ/ 2013م). معتقل الجرف بالمسيلة أثناء الثورة التحريرية 1954-1962. (ط1). الجزائر: دار الأكاديمية.

-عمارة، علاوة وآخرون. (1434هـ/ 2013م). نصف قرن من البحث العلمي بالجامعة الجزائرية 1962-2012. قسنطينة: منشورات كلية الأداب والحضارة الإسلامية، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية.

–عباسي، عبد الحميد. (1436هـ/ 2015م). منطقة بن سرور جهاد متصل من الحركة الوطنية إلى ثورة التحرير. (ط1). الجزائر: المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية.

–الصباغ، ليلى. (1429هـ/ 2008م). دراسة في منهجية البحث التاريخي. (ط13). دمشق: منشورات جامعة دمشق مطبعة الروضة.

–قذيفة، عبد الكريم. (1432هـ/2011م). محمد نوبيات سيرة رجل..وحكاية ثورة. الجزائر: دار الوسيط.

–قذيفة، عبد الكريم. (1427هـ/ 2007م). جبل مساعد بطولات شعب..ومآثر ثورة، (ط1). الجزائر: دار المتون.

–خليفي، عبد القادر. (2010). محطات من تاريخ الجزائر المجاهدة 1830-1962. الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.

–الدوريات:

–لواتي، آمال. (1434هـ شعبان/ 2013م ماي). الحدث التاريخي في الشعر الجزائري المعاصر. مجلة الآداب والحضارة الإسلامية. (ع15). ص227-ص255.

–خزاري، عثمان. (1984). الشهيد البطل خزاري عثمان. الشروق. (ع3). مقرة: مطبوعات متوسطة مقرة الجديدة ابن رشد. ص10-ص11.

–الرسائل الجامعية:

-زغينة، محمد. (غير منشورة). شعر السجون والمعتقلات في الجزائر 1954-1962، رسالة ماجستير. نوقشت 1990، جامعة باتنة.

-مقدر، نور الدين. (غير منشورة). المعتقلات ومراكز التعذيب بالمسيلة خلال ثورة التحرير الجزائرية (1954-1962). رسالة ماجستير. نوقشت 2011، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية بقسنطينة.

–المقابلات والروايات الشفوية:

-جوهري، الفوضيل. الشعر الشعبي أثناء الثورة. رواية شفوية، أجريت بمنزله بقصر الأبطال بعين ولمان، سطيف، يوم 27 ديسمبر 2011.

-واضح، زكية: الشعر الشعبي أثناء الثورة. رواية شفوية، أجريت بمنزلها الكائن بقرية أولاد أحمد بمقرة. يوم الأحد 23 ديسمبر 2012. من الساعة 12.00 إلى الساعة 13.00.

-واضح، زينب. الشعر الشعبي أثناء الثورة. رواية شفوية، أجريت بمنزلها الكائن بقرية أولاد أحمد بمقرة. يوم الأحد 23 ديسمبر 2012. من الساعة 13.00 إلى 14.00.

تاريخ الاستلام: 2016/01/06- تاريخ التحكيم: 2016/07/15 -تاريخ النشر2016/12/30

مقاومات الاحتلال الروماني " ثورة فيرموس سنة 372م أنموذجا "

د. عبدالحميد عمران

جامعة محمد بوضياف بالمسيلة- (الجزائر)

❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁

ملخص:

ولم يتردد سكان المناطق الجبلية إطلاقا في تحديد أصولهم، لمواجهة الخطر المشترك، وبقوا يرفضون الخضوع وبخاصة شعب البوار الذي زعزع استقرار مقاطعة موريطانيا الطنجية، ثم موريطانيا القيصرية، على الحدود الشرقية المتاخمة لمقاطعة نوميديا، لجأ الاحتلال الروماني لسياسة التحالفات وتوزيع السلطة واستمالة بعض المشيخات القبلية ، إلا أن الفساد الذي عم المقاطعات الرومانية في إفريقيا قد أدى الى تضارب المصالح و من ثمة ظهور تمردات أدت إلى ثورات كبرى زعزعت البنيان الروماني في المنطقة، و منها ثورة الأمير الموري فيرموس سنة 372 م.

كلمات مفتاحية: الاحتلال الروماني.. الممالك المورية ..قبائل.. ثورة فيرموس..

Résumé:

Les Habitants des montagne Ils n'a pas hésité à résister à l'occupation romaine, pour répondre au danger commun, Et ils ont continué à rejeter la présence et l'exploitation de leurs richesses . Surtout les gens des Bavars Qui est déstabilisant dans la Mauritanie Tanjis et la Mauritanie Césarienne, à la frontière orientale adjacente à la province de Numidie, se réfugia dans l'occupation romaine de la politique d'alliances et de distribution de l'énergie et certaines chefferies tribale, mais la corruption qui oncle des provinces roumaines en Afrique a conduit à des conflits d'intérêts L'émergence de fréquences transformés en tours secoua la stabilité romaine dans la région, y compris la révolution du-Prince Furmis en 372 j s

Mots-clés: occupation romaine..royaumes Maures .. Tribus .. Furmis.. révolution

مقدمة:

ظلت بعض الأقاليم في المغرب القديم خارج حدود السلطة الرومانية، تدار بواسطة أمراء محليين، ولم يشملها الاستيطان كالمرتفعات والسهوب، مُشكِّلة وحدات مستقلة نسبيا، خاصة في الجبال التي ظلت تمثل مصدر تهديد لأمن المدن والقرى الاستيطانية طيلة الوجود الروماني بالمنطقة، ومن تلك القبائل توجد خمسة قبائل شكلت ما يسمى بقبائل الحلف الخماسي وهي قبائل عرفت بعدائها للرومان، ويرجح أن مجال هذه القبائل الجغرافي يمتد في المنطقة الغربية لموريطانيا السطيفية إلى غاية حدود موريطانيا القيصرية الشرقية في مناطق القبائل والبيبان إلى غاية"أوزيا" وبقيت تلك المناطق الجبلية مستعصية على السيطرة الرومانية وظلت القبائل تعيش على الزراعة الجبلية وتتنقل ما بين المناطق التليّة الغربية والشرقية كما هو الحال بالنسبة لقبائل"البوار"، ولم يتردد سكان المناطق الجبلية إطلاقا في تحديد أصولهم، لمواجهة الخطر المشترك، وبقوا يرفضون الخضوع وبخاصة شعب البوار الذي زعزع استقرار مقاطعة موريطانيا الطنجية ما بين سنتي233 و235م (أكرير، ع . 2005: 39.) ، ثم موريطانيا القيصرية، على الحدود الشرقية المتاخمة لمقاطعة نوميديا، مما أرغم الرومان على الرضوخ لهذا الأمر، وتأكيد حكم الزعماء المحليين من خلال تقويه حكمهم والاعتراف بهم كحقيقة واقعة وتنصيبهم من خلال بعض المراسيم مثل الصولجان الفضي المذهب والتاج والقفطان الأبيض والسترة البيضاء والأحذية المذهبة (Courtois(Ch) .1951 : 124..) .ولنا أن نتساءل عن مدى التوافق هذا. وما

حدوده.؟ ولم قام الأمير فيرموس بثورته.؟ وما هي مجالاتها وكيف انتهت ؟. ذلك ما نحاول البحث فيه من خلال هذه المداخلة.

1/ وضع الممالك المورية خلال فترة الاحتلال الروماني:

كانت روما مضطرة للموافقة على القادة التقليديين المعينين من طرف القبائل وتكتفي بتنصيبهم، وذلك لضرورة احترام النظام الاجتماعي القبلي المحلي، خصوصا بالمناطق الجبلية ومراقبة تلك القبائل واتحاداتهم بواسطة ضباط وعاملين أووكلاء (Jean Pierre L, 2004 :280) وظلت تلك المناطق التلّية والجبلية بالخصوص تشكل مصدر خوف دائم للوجود الروماني الذي بدأ في ربط تحالفات مع بعض زعماء القبائل بهدف الحفاظ على مصالحه، وبقائه في المنطقة معترفا لهم بالحكم المحلي وسعى لإثارة الفتن فيما بين القبائل كلما سنحت الفرصة لذلك، لإذكاء الصراعات القبلية ليستفيد منها في النهاية نتيجة لحالة الاضطراب والفوضى الناتجة.

وبقيت تلك القبائل التي تحتل المرتفعات تثور من حين إلى آخر، وكان من آثار ذلك أن تضرر المعمرون من تلك التمردات مما جعلهم يلجئون إلى الإمبراطورية من أجل حمايتهم وضمان أمنهم، والتي قامت بتقسيم الأراضي التي استولت عليها، على جنودها مقابل الالتزام بتوريث الخدمة العسكرية لأبنائهم (Carcopino (J),1918 : 16-17)، وهذا بهدف الحفاظ على الروح العسكرية وقوة الجيش في المنطقة كقوة ردعية للحفاظ على السيطرة، ولضمان استمرار هذا الزاد البشري الذي يزود الجيش بالرجال، مما يدل على عدم الإقبال والرغبة في التجنيد الطوعي، وأيضا قوة تلك الانتفاضات التي تتطلب مددا إضافيا من الرجال، وبدأت مظاهر الانحطاط لما ساءت أحوال السكان، خاصة أولئك الذين يقيمون خارج أسوار المدن، حيث فقدوا الروح العسكرية التي كانت تزود مختلف الفرق الإمبراطورية بعدد غير قليل من المجندين، وتمت الاستعانة بالعائلات العسكرية والتعامل بحذر مع الأمراء المحليين الذين انفصلوا بوظائفهم المدنية والعسكرية، خاصة خلال القرن الرابع للميلاد (Gsell (S.), .1903 :102.)

وتميز الوضع العام خلال هذه الحقبة بالتوتر، وعدم الاستقرار مع وجود قبائل شبه مستقلة في. المناطق الجبلية والمناطق غير الخاضعة تماما للسيطرة الرومانية، والتي ظل التماس بينها وبين الرومان يتقارب ويتباعد، وظلت روما تتحيّن الفرص من أجل السيطرة على تلك القبائل، من خلال الحملات العسكرية ضد الحلف الخماسي خاصة مع نهاية القرن الثالث للميلاد (CHARBONNEAU (M.)1869 :126) حيث قدم مشايخ قبائل جرجرة والبابور يد المساعدة إلى زعماء تلك الانتفاضات، وفشلت الفرق الرومانية في القضاء عليها تماما رغم أن بعض النقوش التي وجدت في المنطقة تشير إلى انتصارات حققها الرومان ضد تلك القبائل، وذلك بتوجيه الشكر للآلهة التي ساعدت قادة تلك الحملات في تحقيق النصر ومنها إهداء إلى الإله "جوبتير" وجد في "كويكول" مُهدى من نائب الأوغسطين الثلاثة في نوميديا يشكره على النصر الذي حققه جيشه وذلك بعد سنة 255م.

مما يعني أن تلك الكيانات ظلّت تشكل مصدر قلق للسلطة الرومانية من الجهة الغربية لنوميديا، وتمكنت تلك الكيانات فيما يبدو من فرض سيطرتها على المدن الواقعة خارج إقليم الليمس المتراجع، في وقت فشلت فيه روما في استمالة تلك القبائل (Monceaux (P.) , 1894 :25) . وخلال القرن الرابع ساءت أحوال الإمبراطورية الرومانية، وتفشّت المؤامرات السياسية ضد المجتمع وتزايدت مكائد السلطة وارتفعت حدة المظالم مما ينبئ بثورة عارمة يضاف إلى ذلك الانقسام الديني (Winkler (A), 1908 :137) والانحطاط المصاحب للرومان في منطقة المغرب القديم كنتيجة للفساد الذي تفاقم في هذه الفترة.

ووصلت الرشوة قادة الجيش في إفريقيا، فلما استنجد أهالي"لبدة" (Leptis) بالقائد الروماني في أفريقيا "رومانوس"

(Tauxier (H.), 1890 : 202-203)، لرد القبائل التي تهدد الموانئ خلال سنة 364م، طلب مقابل ذلك أن يقدم له الأهالي أربعة آلاف رأس من الإبل وأموالا خيالية، ولما علم الإمبراطور بذلك أرسل وفدا لتقصى الحقيقة، فاشترى "رومانوس" ضمائر عناصره وحاك المكائد وحوّل المظلوم إلى ظالم، فاسحا المجال أمام أعمال النهب والتخريب من طرف المهاجمين من قبائل" الأوسترينس" الذين قتلوا عددا كبيرا من سكان لبدة .(STEIN E. 1959:178-179) مما يعني أن الفساد الذي عمّ الجيش والنظام الروماني كان عاملا مشجعا على تلك الأحداث، وعلى الاضطرابات والثورات المستمرة نتيجة لحالة الفوضى والانهيار الشامل لهيبَة المحتل، ممثلا في رموزه في مختلف الوظائف، والذين لا همّ لهم سوى جمع الثروة على حساب المبادئ والقيّم التي أرادت أن تكرسها الإمبراطورية في نفوسهم من أجل خدمة روما بالأساس، ولم تعد الأجهزة الإمبراطورية قادرة على مراقبة الوضع بالجدية والصرامة المطلوبة، في الوقت الذي لم تنتبه فيه السلطة إلى ميوعة الكونت "رومانوس" وتصرفاته الأنانية التي تهدف إلى تحقيق مصالح مالية، ذاتية وهذا ما جعل"أميان مارسلان" يحمله المسؤولية في اندلاع ثورة "فيرموس" لسنة 372 م (Ammien M, 1777: XXIX,5,2.)

ثورة فيرموس372 م

أ: أسباب ثورة فيرموس

اندلعت ثورة فيرموس في المجال الجغرافي المستعصي الذي يتمتع بنوع من الاستقلالية، سكانه من الأسر العريقة التي وصفتها المصادر بالملكية، والتي يحتمل قدمها وعراقتها وتعاملها مع الحكام الرومان ومنها أسرة الأمير "فيرموس"بن "نوبيل" التي كانت تسيطر على منطقة واسعة من موريطانيا تبدأ من جبال البيبان إلى نهر الشلف، وتحوز ضياعا شاسعة وتراقب منافذ وداي"الصومام" و"يسر" و"أوزيا" ووادي الشلف (Decret (F) et Fantar (M),1981 :334).

لقد ترك "نوبيل"أسرة كثيرة العدد ومن أبنائه"فيرموس"و"جيلدون و"مكزيزل" و"سماك "ابن "نوبل" من إحدى خليلاته ، ارتبط مع الكونت الروماني" رومينوس" الذي أقام معه علاقة صداقة قوية مما شكل خوفا عند أبناء

نوبل من تقديم "سماك"عليهم في الزعامة ليتم اغتياله في ظروف غامضة لينتج عن ذلك صراعات دامية. (Tauxier (H.), 1890 : 202-203)، .و"ديوس" و"مازيكا" وأختهم "سيريا" يقيمون في مختلف المناطق المتباعدة عن بعضها البعض، كما ترك أملاكا شاسعة (Mesnage (J.), 1914 :304).

ثار خلاف حول الخلافة بين أبناء "نوبيل" بعد وفاته، خصوصا ما بين" فيرموس" الابن البكر و"سماك" الذي كان يقيم في منطقة "ميلاكو" على الضفة الغربية من وادي ساحل في الجوف الغربي من"تيكلات" وشيد في تلك المنطقة قصرا يسمى "فوندوس بيترنسيس" ليتوسع حوله البناء حتى صار مدينة، وامتلك "مازيكا" ضيعة بوادي الشلف وأقام "فيرموس" بقصر أبيه بالثنية أما "سيريا" فكانت غنية وتمكنت من استقطاب الثوار لأخيها فيرموس أثناء حربه ضد الرومان(Decret (F) et Fantar (M),1981 :334) . وكان "فيرموس" قد استقر في الصومعة وأستقر أخوه" سماك" في قصره الحصين الذي شيد على تلال تمثل ملتقى أودية بالثنية، حيث يحتل منطقة تبين بوضوح أن "نوبل" كان يقوم بحراسة ممر يهم الرومان.(Gsell (S.),1902 :30))، سمى هذا القصر" فيرا"، وكان كبيرا و كأنه مدينة حسب رواية "أميان مرسلان". (Ammien M 1777: XXIX,5),) . وبدأ الصراع بين أبناء "نوبيل" حول الإرث الذي تركه لهم والدهم وبالأخص الحكم، وهو الذي كان من أقوى الملوك المورية واختار"رومانوس" صف "سماك" الطامح إلى وراثة حكم أبيه ويعتقد بأنه الزعيم الشرعي لذلك (Jean Pierre L, 2004 :28) . فثار "فيرموس" ضد هذا الحلف، وقتل أخاه "سماك" وأراد "رومانوس" الثأر لحليفه القتيل .(Ragot (W.).,1875 ,1876 :244-245))، واستخدم كل الوسائل ليوقع به وأطلق إشاعات بأنه تمرد على السلطة التي راسلها حول ذلك ولم يترك له فرصة لتبرئة ساحته. (.2 1777: XXVIII.5 . Ammien M) .

ودافع "رومانوس"هنا هو دافع شخصي هدفه الانتقام لصديقه "سماك"، ولو كان أمر الإمبراطورية يعنيه لاختار"فيرموس" خليفة لوالده ما دام أنه لم يُبد أي نوع من العصيان تجاه الرومان، وهذا السلوك دفع بالخوف في نفس "فيرموس" من المصير المأساوي الذي ينتظره وأنه سيحكم عليه بالإعدام فانفصل عن السلطة وتعاطى النهب (Ammien M 1777: XXIX,5,3) ليعلن "رومانوس" عليه الحرب بمساندة جيلدون وبعض أثرياء الرومان، وبالمقابل ناصرت بعض القبائل الموريطانية "فيرموس"(غانم. م ص.1997:20).وكان الدافع لعصيانه دوافع الشخصية وعائلية لأنه كان يطمح لخلافة والده كملك للقبائل المورية Decret.) (F) et Fantar (M)1981 :338).

ومع حكم "فاليران "سنة 364م قلّ الانضباط وسادت الفوضى بين الموظفين وعمّ الجشع والفساد بين صفوفهم على مختلف مستوياتهم مثل تصرفات الكونت"رومانوس" .(Berbrugger (A) .(216: 1857، والمتهم بالتسيب وجلب المصاعب للإمبراطورية، ويتحمل المسؤولية في اندلاع ثورة

"فيرموس"(حارش م ح:1993:11) مع استمرار الاستنزاف الاقتصادي وتبني روما لسياسة التهميش الداخلي وإشاعة النعرات القبلية في المناطق شبه المستقلة، ووصل الأمر إلى إشاعة التفرقة بين أفراد الأسرة الواحدة وبين الأخوة الأشقاء، ففيرموس وعائلته كانت من العائلات الحليفة للرومان.

ولم يكن له فيما يبدو مشروعا حربيا ضد الرومان في البداية ولكن هذا المشروع قد بنته الأيام مع مرور الوقت ليعبر عن رغبة السكان في الثورة ضد الابتزاز الاقتصادي الذي كان يمارسه الكونت "رومانوس" والجهاز الإداري الروماني.(Kotula(T) 1970 :143.)

وما تحالف العديد من القبائل مع هذه الثورة إلا دليل على أن الاستياء من الوجود الروماني كان عاما في كامل منطقة المغرب القديم، بما في ذلك العائلات المترومنة كعائلة" فيرموس"، والظاهر أن هذه الثورة كما تلمح الروايات قد اندلعت في سنة 372م، إلا أن هناك من يحددها بفترة أسبق إلى سنة 370م بعد أحداث لبدة، إلا أنها ارتبطت بتاريخ حملة"ثيودوز"ضد هذه الثورة منذ سنة 372م. اندلعت الحرب في الجبال المجاورة لصلداي" بقيادة" فيرموس" وذلك بالقرب من قصر"بترا"

(Gsell (S.),1902 :30)

واستطاع "فيرموس"أن يجمع مختلف القبائل الموريطانية إلى صفه ضد الرومان ودان له الأمر وصارت المنطقة بين يديه ليزداد قوة (Schmidt (L.) 1953 :68) ، واندفعت إليه القبائل البدوية وحظي بمساعدة الفلاحين المستقرين والقبائل الجبلية التي لم تكن خاضعة إلا شكليا للرومان وصاروا أتباعا طبيعيين له في مواجهة روما ولعل هذا ما دفع بالقديس أوغسطين إلى تسميته بالملك البربري. (Augustin (St.) , 1986 : I,10,17)

ب:–المجال الجغرافي لثورة فيرموس

بدأ فيرموس ثورته ضد الرومان بإثارة الأهالي في المنطقة رغبة منه في إقامة مملكة، وغزا الساحل وهاجم "القيصرية" ومدينة" إيكوسيم" وأخضعها ثم احتل "شرشال القيصرية "حيث استولى على الخزينة العامة، وأشعل فيها النيران وتغلب على جيوش "رومانوس" (Martroye (F.), 1907 :30) ويبدو أنه جمع تعزيزات كبيرة واستعدادا لهذا الأمر حتى انه جمع عشرين ألف مقاتل من خمس عشر قبيلة، (Decret (F) et Fantar (M),1981 :335) .

ولا شك أنه صار أقوى بتحالفه مع القبائل المورية التي مكنته من السيطرة على العديد من المناطق ونشر الذعر في نفوس أعدائه(Winkler(A), 1908 :137) .

وبدت ثورته سريعة ومهددة للوجود الروماني ووجدت القبائل المورية في هذه الثورة أمل الخلاص والرغبة في التحرر، وظهر" فيرموس" للسكان المور بمثابة المنقذ من الوضع، وخاصة بعد أن ظهر الحاكم "رومانوس" عاجزا على فرض سلطته المعنوية على قواته العسكرية في القيصرية وفي المناطق الواقعة تحت قيادته (شنيتي م ب. 1999: 362) .

ولم تعد روما قادرة على ضمان هيبتها على مجتمع يتميز بقوة الروح القبلية والتي عرف "فيرموس" كيف يستغلها، بعد ما عبر عن مطامحها في وقت انضمت فيه فرقتان من الكتائب المساعدة الرومانية المشكلة من الأهالي إلى جانب "فيرموس"، مما صعب من مهمة الرومان في القضاء على هذه الثورة، وتحول دورهم في حالات كثيرة إلى الدفاع (غانم .م ص.1997:20)..، واجتاح "كارتيناو" وكان انهيار المقاطعة سريعا.

وآزرته مختلف القبائل بدليل امتداد رقعة حربه الجغرافية التي انطلقت من نقطة الصومعة لتصل إلى مصب نهر الشلف، وربما أبعد من ذلك، وفي الجنوب الشرقي دعمته القبائل التي تقطن منطقة جبل بوطالب غرب الأوراس، وحتى الجنوب الغربي أين دعمته قبائل"المازيق" التي تقطن التلال الوهرانية (Mesnage (J.), 1914 :307) .

وكون العديد من جنود الفرق الأساسية كتائب داخلية، اصطفت تحت راية "فيرموس" يضاف إليهم المرتدون من جيش "رومانوس"والدوناتيين، والدوارين والقبائل، إلى أن بلغ جيش فيرموس العشرين ألف رجل، وتمكن من عزل عاصمة القيصرية التي أُحرقت وسُلبت، ويعتقد أنها سَمّت "فيرموس" بالملك إلى درجة أن إحدى القبائل قد وضعت له تاج الملك.

واختلف أتباع فيرموس كما اختلفت التركيبة الاجتماعية والفكرية لقواته، وضمت كامل سكان المنطقة على أسس مختلفة، العشائري والوثني والدوناتي المتحمس والجندي الناقم على الوضع القائم، فكانت ثورة شاملة متسعة في المكان الذي وصل إلى أطراف التل الوهراني غربا مرورا بالقيصرية ومنطقة قاد الحملة الرومانية تجاه "فيرموس" "الدوق ثيودوز" زعيم الفرسان الذي كلفه الإمبراطور "فالينتيان" بالقضاء على هذه الثورة، باعتباره أفضل القادة العسكريين لتبدأ مرحلة جديدة من عمر هذه الثورة واستمرت الحملة ثلاث سنوات من372م إلى 375م، وشهدت القضاء على ثورة "فيرموس" (Robert (A), 1903 :52) .

ويظهر أن قوة ثورة فيرموس كانت قد أرعبت روما والكونت "ثيودوز" الذي أعلن حالة الطوارئ وأصدر قانونا يسمح لأعضاء مكاتب مختلف الحكومات المدنية والعسكرية بالانضمام إلى الجيش الروماني ويجبر الموجودين في حالة انتداب مؤقت في فيالق الحدود أو أي فرقة أخرى بالالتحاق بفرقهم إن كانوا قادرين على حمل السلاح"(حارش م ح. 1993: 12-13).

والملاحظ أن"تيدوز" تجنب أسلوب المواجهة المباشر واختار حرب المباغتة لضرب قوات "فرموس"، وبذلك طبق خطة عسكرية يستهدف منها مفاجأة جيش عدوه وإرباكه حتى يتسنى له تحقيق نصر سريع، ومما يعني أيضا أن هذه الثورة قد أرعبت روما فعلا، مما جعلتها تفكر في تلك الخطط العسكرية الكبيرة الموكلة إلى قائد بحجم "تيدوز". الذي سعى إلى كسب الوقت ودفع القبائل لأن تمل الحرب وتفقد الحماس، وتتخلى عن مساندة فيرموس، في الوقت الذي ينكل فيه بأنصار فيرموس ليكونوا عبرة لكل من يرغب في الانضمام إليه (غانم .م ص.1997:21)، والذي يكون قد طلب الصلح وقبل هذا القائد عرضه الداعي إلى الأمان

بوساطة كهنة مسيحيين لكنه سرعان ما تراجع عن ذلك لأن القائد الروماني غالى في شروطه والتي كان من بينها استسلام فيرموس نفسه ليشنّ الحرب من جديد.

وقد يكون فيرموس طلب السلم حتى يخادع خصمه ويشعره بثقة زائدة (Yanoski (M.J.), 1884 : 86.)، أو أراد ربح الوقت ليعيد تنظيم صفوف جيشه مع هذا المعطى الجديد وليجعل جنود خصمه يشعرون بالملل في منطقة ذات مناخ حار نسبيا وغير متعودين عليه. وحسب" أميان مرسلان" فإن جيش"تيدوز" كان يحقق الانتصار تلو الآخر وملاحقة أعدائه إلى حدود الصحراء ويحرق المحاصيل والقرى). (Ammien M, 1777: XXIX,5)وأرعب أعداءه، وتمكن من عقد حلف مع "جيلدون "القائد الذي ظلّ وفيا للإمبراطورية الرومانية، في مواجهة أخيه (Mesnage (J.).1914 :310.) وتمكن جيش القائد الروماني بعد أن توجه إلى "توبسكتو" على وادي الصومام من هزيمة قبيلتي "بتندس" و"مسيسنة" وكانتا تحت قيادة أخويه "ماكزيزيل" و"ديوس"، واحتل ممتلكاتهما وممتلكات "سماك "وقصر "بترا"(حارش م ح. 1993: 13).

ولا شك فإن سياسة التفرقة الرومانية كانت قوية في هذا التحالف ما بين أخوي فيرموس (جيلدون ومكزيزل) وبدأ "تيدوز" في البحث عن تحالفات أخرى في صفوف القبائل بغية تشتيت جهد "فيرموس"، وتطويع القبائل الثائرة من منطقة "ستيفيس" إلى الحضنة والتيطري وما وراء مرتفعات الونشريس بعد معارك عديدة والتي أسفرت عن إعادة احتلال شرشال القيصرية،حيث ترك فرقتين لحمايتها من الهجمات المتكررة (Cagnat R. 1913 :84)

وواصل القائد الروماني زحفه حيث بدأت الفرق التي انضوت تحت راية فيرموس تتراجع ومنها خالة الفرق الرابعة التي أنزل " ثيودوز" رتبها وطلب منها أن تسير خلفه إلى مدينة "تكافا" بحوض الشلف، حيث طبق عليها أشد أنواع العذاب (Ammien M, 1777: XXIX,5 ;20 ;21,23) وواصل رحلته إلى مدينة "زوكوبار"–مليانة – و"كاستيليوم تانجيتيوم" –الشلف–لتعقب الفرق التابعة لفيرموس الذي لجأ إلى منطقة جبلية محصنة بعدما أحتل معسكره ليتقدم "ثيودوز"في منطقة وعرة ليجد نفسه وسط قبائل تحمل الكره لكل ما هو روماني فاضطر إلى العودة في فيفري سنة 374م إلى مدينة تيبازة (Cagnat R. 1913 :85-86).

ويظهر أن" ثيودوز" قد بدأ في تنفيذ تهديده هذا حيث قتل عددا من أفراد قبيلة "الإيزفلاس" في إحدى المعارك مما دفع بايغمازن إلى التفاوض السري معه من أجل القبض على فيرموس وتسليمه إليه . (Ammien M, 1777: XXIX,5,51-52)

ويعود سعي "ثيودوز" إلى سلاح الخيانة نظرا لارتباط السكان بفيرموس، خاصة بعد أن تعرض لضربات قبيلة "يزالنس" بالهضاب العليا والتي كانت قد تعهدت بتقديم العون للرومان(حارش م ح. 1993: 15) .

مما جعل "ثيودوز" يتيقن في ظل الانتصارات المحققة من قبل فيرموس استحالة القضاء على ثورته عسكريا – فلجأ إلى أسلوب الغدر والخيانة والترهيب وشراء ذمم بعض القبائل بوعود لا تنفذ.

ولما وقع" فيرموس" في يد"إيغمازن" وأدرك بأنه واقع لا محالة في يد عدوه " تيدوز" قتل نفسه في غفلة من حراسه الذين كانوا يسبحون في نشوّة الخمر، وقام "إيغمازن" بحمل جثة "فيرموس" على ظهر بعير إلى "ثيدوز" الذي عرضها أياما أمام الجمهور ليرتدعوا .(Ammien M, 1777: XXIX,5.) .

وبنهاية فيرموس المأسوية فقدت قبائل المنطقة والحركة الدوناتية والدواورن، قائدا متمرسا استطاع أن يجمع كل تلك الفئات على اختلاف منشئها، ولكنها اتحدت إلى حد بعيد في تحديد هدفها وهو العداء للاستغلال الروماني.

ج: نتائج ثورة فيرموس

إخضاع وتطويع القبائل لفائدة روما بعدما صادرت أراضيها إضافة إلى أعمال الحرق وضرب مصادر المؤن والذخائر وتخريب الضياع والمدن وتدمير مصادر الغذاء (شنيتي م ب. 1999: 364) .

الكثير من القبائل التي أذعنت للدوق الروماني مما سمح له بعقد تحالفات مع أمراء محليين لتقوية أتباع روما في المنطقة.

تفكيك القبائل المتحالفة، ولو لبعض الوقت من خلال تكريس أسلوب فرق تسد، وإعادة ترتيب النظام الروماني في المنطقة وبتكليف أمير محلي متحالف مع الرومان .

ساهمت في ميلاد الرغبة في التحرر وعدم الرضوخ للمحتل ن وتجلى ذلك في تجدد الثورة على يد أخيه جيلدون الحليف السابق للرومان.

أما على صعيد روما فهذه الثورة ليست أمرا هيّنا، إذ أنها غيرت وجه أفريقيا الرومانية وقد أسهمت بكل تأكيد في تعزيز دور "ماقنوس ماكسيموس" (Magnus Maximus) والذي أعلن إمبراطورا من "غالا" في 25 أوت 283 م ولكنه انتظر حتى سنة 387م لكي يدخل ايطاليا.(Jean Pierre L, 2004 : 296-297)

خاتمة

سعى الاحتلال الروماني إلى محاولة الاعتماد على زعامات محلية للحفاظ على نفوذه مقابل منحها بعض الامتيازات، ونظرا لتردي الوضع العام في المنطقة وانتشار مظاهر الفساد والرشوة وما صاحب ذلك من زيادة في الضرائب انقلبت تلك القيادات المحلية على الحليف الروماني ومنها ثورة فيرموس بن نوبيل الذي تحول من أمير موالي إلى ثائر معادي، كبد الاحتلال الروماني خسائر كبيرة وساهم في زيادة حدة العداء تجاه روما التي استعانت بخيرة قادتها العسكريين للقضاء عليه، ولم تتمكن من ذلك إلا بعد سياسة الغدر والخديعة والإغراء.

مصادر ومراجع المقال

أ– مصادر أجنبية

1. -Ammien Marcellin, 1777: histoire, T,3 trad.,Lourdet ,Paris, Librairie Broyset.
2. Augustin (Saint.), 1986: les plus beaux sermons de St. Augustin, trad., Humeau (G.), T.,1, Paris, les études Augustiniennes.

ب–مجلات عربية

1 عبد العزيز أكرير ، 2005: "مقاومة الموريين للرومان بموريطانيا الطنجية ما بين 40-285م دراسة اسطوريوغرافية"، في المقاومة المغربية عبر التاريخ أو مغرب المقاومات، ج 2، الرباط ، المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية، ص ص23-44.

2 محمد الهادي حارش ، 1993:"ثورة فيرموس 372-375م"، مجلة الدراسات التاريخية، جامعة الجزائر، العدد، 7،ص ص 11-15.

3 محمد الصغير غانم ، 1997:"بعض من ملامح التحرير في الجزائر أثناء فترة الاستعمار الروماني"، مجلة الثقافة،العدد 115، الجزائر، وزارة الاتصال والثقافة، ص ص 11-27.

ج – مراجع بالعربية

4 محمد البشير شنيتي ،1999: الجزائر في ظل الاحتلال الروماني، (بحث في منظومة التحكم العسكري "االيمس "الموريطاني ومقاومة المور)، جزءان، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية.

د– مراجع أجنبية

1. – Achille Robert, 1903: « Note sur les Ruines de Castellum-Auziense », R.S.A.C., N° 37.
2. -Berbrugger (A), 1857:les Epoque militaires de la grande Kabylie, éditeur, Alger, Bastide libraire,.
3. -Cagnat René, 1913: l'armée romaine d'Afrique et l'occupation militaire de l'Afrique sous les empereurs, Paris, imprimerie Nationale, E. Leroux.
4. CHARBONNEAU(M.), 1869: «L'inscription du Tétrastyle de potitus a Constantine »,R.S.A.C. N° 13.
5. Christian Courtois, 1951: les Vandales et l'Afrique,Paris.
6. –François Decret et Fantar Mohamed, 1981: l'Afrique du Nord dans l'antiquité, histoire et civilisation des origines au V^{eme} siècle, Paris, Payot.
7. Jean-Pierre Laporte, 2004: les armées romaines et la révolte de Firmus en Maurétanie l'armée romaine césarienne, in de Dioclétien à Valentinien1^{er}, Paris ,Diffusion de Bocccard .
8. Jérôme Carcopino, 1918: « les Castella de plaine de Setif d'après une inscription Latine », R.AFR.,N°,59.
9. -Kotula (T.), 1970: «Firmus était-il usurpateur ou roi des Maures », Acta Antiqua Academiae Scientiarim Hungariae,T.18.
10. -Martroye (F.), Gensériс la conquête Vandale en Afrique et la destruction de l'Empire d'occident, Hachette, Paris,1907.

11.-Mesnage jaen Paul, le christianisme en Afrique (L'origine développement et extension) ,Alger – Paris, 1914.
12.Monceaux Paul, 1894: Les Africains(étude sur la littérature latin D'Afrique) les païenes , Paris , Licence Audio et éditeurs.
13.Ragot (W.), 1875 -1876: «le Sahara de la Provence de Constantine », R.S.A.C,17eme VOL.
14.Schmidt (L.), 1953: Histoire des Vandales, trad., H.E.,Delmedico Paris,Payot.
15.-STEIN Ernest, 1959: Histoire du Bas-Empire, T,1,(de l'Etat romain à l'Etat byzantin 248-476), Paris, Desciee de BROUWER .
16.-Stephane Gsell , 1902: «observation géographique sur la révolte de Firmus »,R.S.A.C.,N°36.
17.Stephane Gsell, 1903:l'Algérie dans l'antiquité ,Alger, imprimerie libraire éditeur.
18.Tauxier(H.), 1890 :« récite de l'histoire d'Afrique le conte Romanus », R.AFR, N°, 19.
19.Winkler(A) ,1908: « Précis d'histoire des Campagnes d'Afrique de Théodose contre Firmus 372-375» ,R.T N°68.
20.-Yanoski (M.J.), 1884: l'Afrique chrétienne, Paris,édit.,Fermain Didot.

تاريخ الاستلام: 2016/03/26- تاريخ التحكيم:2016/08/22 -تاريخ النشر2016/12/30

مصـــادر التـــاريخ الموريتـــاني

د. آدب ولد سيد امحمد

جامعة العيون الإسلامية – (موريتانيا)

❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁

ملخص:

تعتبر مصادر التاريخ الموريتاني علي شحها مصادر مهمة ومتنوعة، فبالإضافة للمصادر المحلية التي تعتمد أساسا الرواية الشفهية والحديثة نسبيا هناك مصادر أجنبية مقسمة بين ماهو عربي وماهو أوروبي أساسا، ولا تشمل هذه المصادر كل حقب التاريخ الموريتاني، ولذلك يعول على المصادر الأثرية من نقوش وآثار وبقايا شواهد على حياة بشرية ماضية.

والمصادر المحلية تتكون من حوليات ونوازل وتراجم وأنساب كتبت أغلبها اعتمادا على الرواية الشفهية بينما تقدم المصادر الأجنبية على أخبار الرحالة والاستكشافيين و أخبار المستعمر إبان فترة احتلال البلاد ومزيد من البحث في هذا المجال يمكن من جمع وتصنيف وفرز مصادر تساعد في كتابة تاريخ للبلاد.

Résumé :

Réduite qui ‘elles soient , les sources de l’histoire de la mauritanien sont importantes et très diversifiées .

En plus des sources locales récentes qui s’appuient sur les sources orales , nous sommes en présence des sources les externes composées de elles qui sont orales et celles qui sont européennes.

Ces sources, dans l’ensemble, ne couvrent pas toutes les périodes de l’histoire du pays c’est pourquoi la vision se tourne vers l’archéologie

مقدمة:

"وكنت أتعجب من علماء هذه البلاد البيضانية "العرب" (ابن بطوطة م. 1968م، ص674) الصحراوية المغربية وأدبائها على فضلهم ونبلهم كيف لم يعتنوا بتاريخها في كتاب معتبر من أول الزمان مع كثرة ما وقع فيها من الأمور الكبار من كل صنف الذين لاينبغي أن تترك أخبارهم نسيا منسيا على جلالتها ولو وجدت فيها كتابا في ذلك أعتمد عليه لقيدت منه ما يشار بالأصابع إليه"(بابا ولد الشيخ سيديا ، ش، 2003م،ص75-76)

إن عملية جمع المادة الأولية التي تعني وباختصار المصادر والمراجع الموثوق بها في كتابة تاريخ أي بلد مسألة معقدة وبالغة الأهمية ، لأن الأمر لم يعد يتعلق باسترجاع الأحداث وترتيبها زمنيا ، بقدر ماهو محاولة لربطها بمحيطها والتأثيرات التي تحدث بين الفينة والأخرى ولما كان الأمر يتعلق بشعب ظل قرونا طويلة يعيش حياة البداوة والترحال أزداد الأمر تعقيدا وصعوبة في الوصول إلى الغاية المنشودة ، حينها كانت المعلومات المتوفرة فيما قبل الإسلام عن تاريخ هذه البلاد قليلة جدا وكذلك الحقب المتتالية كالحقبة الوسيطة والحديثة ، وكل ماهو معروف عن هذه البلاد لايعدو أن يكون استنتاجا وتخمينا من واقع الآثار التي اكتشفت حتى الآن، أو معطيات تاريخية متفرقة وهو على كل حال لايمثل تاريخا متكاملة عناصره وانطلاقا من هذا فإن تاريخ موريتانيا أو شنقيط

مازال لم يكتب بعد ويكتنفه الغموض، وأغلب ماكتب فيه إلى اليوم كان من قبل الأجانب الذين دسوا وأشاعوا فيه الكثير من المفاهيم الخاطئة، ويستدعي ذلك من الغيورين على أوطانهم أن يقوموا بكتابة وتصحيح الأخطاء الكثيرة والشائعة، وإلغاء الضوء على المسائل الغامضة ، ولن يتاح ذلك إلا بإعداد الوثائق التاريخية المحلية (كالتراجم والأنساب،النوازل والفتاوى ،الحوليات والوقائع) وتنقيحها لجعلها في متناول الباحثين، وهو ماسيمكن من إعادة كتابة تاريخ البلاد كتابة تتكامل فيها المصادر الشفوية والمكتوبة والأثرية.وبناءا على هذا يمكن تقسيم مصادر التاريخ الموريتاني إلى ثلاثة مصادر وهي:

1-مصادر الرواية الشفوية

2-المصادر المكتوبة

3- **المصادر الأثرية**

1- **مصادر الرواية الشفوية** : وهي تكاد تكون الغالبة حتى الآن ،لأن كل ماكتب وحتى القرن 17م إلى اليوم اعتمد بشكل كبير على الرواية الشفوية ، كأن يقول المؤلف: أخبرني فلان،أوحد ثني فلان،أوسمعت من الثقة دون تعيين، وأحيانا يذكر سلسلة الرواية الشفوية على شكل الحديث المسلسل، وقلما يسلم سطر مما دبج قديما من ذكر أو إشارة إلى رواية شفوية اعتمد عليها المؤلف في كتابة موضوع معين تصريحا أوتلميحا(مني ، ع وآخرون ،2012م، ص204)، وحسبك مثالا على ذلك اعتماد الشيخ سيد محمد الخليفة بن الشيخ سيد المختار في نصه "الرسالة الغلاوية" على اعتماد الرواية الشفوية في نقل من أخبار وأنساب، وإن كان لم يعرض بشكل واضح للمعايير أوالضوابط التي اعتمدها في تمييز صحيح الرواية من ضعيفها ، حيث يقول : الذي صح ووقفنا عليه في التواريخ وثبت بالنقل لدينا عن من قبلت روايته وكملت درايته أن بني الحاج الوتيدات من صنهاجة ، وإديعقوب ينتمون إلى يعقوب إبن العاقب ...(الشيخ سيد محمد الخليفة ، ش ،2007م، ص:214)، كما اعتمد محمد اليدالي في نصيه"شيم الزوايا"و"امر الولي ناصر الدين" على مااستقاه من الروايات الشفوية المأثورة عن الثقات العدول في زمانه ، سالكا في ذلك منهج الإسناد، حيث يقول:"وروينا عن صالح ميتور بن أبي الصالح عن اتشفغ عبد الله بن محمد بن المختار بن ابهنض أوبك عن عمه أحمد أكذ المختار"، وبهذا الإسناد أيضا أصل بعض قصص "تشمشة" في ظل حكم "أولاد رزك" ثم انتقل إلى سند آخر عن محمد بن حبيب بن خير عن ألفغ المصطفى بن أبي عبد الله وهكذا دواليك (الشيخ محمد اليدالي ، 1990م،صص: 83.82.77).

كما اعتمد أحمد بن الأمين الشنقيطي في مانقله في كتابه الوسيط في تراجم أدباء شنقيط على ما استقر في ذاكرته من الروايات التي جمعها عن تاريخ بلده وثقافته ، كما ذكر في مقدمة كتابه(احمد بن الأمين ، ش ،1911م ،ص ص: 3.2)

حيث أشار بما يفيد الامتعاض والتأسف على عدم وجود مصدر تاريخي مكتوب عن تاريخ البلاد وآدابها يمكن الاعتماد عليه أو الركون إليه لفهم حادثة أو معرفة واقعة ،أوتر جمة شخصية علمية وقد كانت تلك الندرة أو العزوف أحد أبرز دوافع الشنقيطي إلى تأليف كتابه المذكور، حيث يقول في مقدمته:"ولما لم يتقدمني في هذا من أستمد منه ولم يكن في هذه البلاد من يمد يد المساعدة ، كنت حريا بالمعذرة ، ممن تطمح نفسه إلى أكثر مما جمعت(احمد بن الأمين ، ش ، مصدر سابق، ص: 3)، لذلك كان اعتماد المؤلف في مانقل على مااستقر في خلده من أخبار ووقائع وأحداث وأنساب وأشعار، ومعلومات أخرى ساقها تتعلق بالخطط والعمران، وقد اعتمد صاحب الوسيط كذلك على المصادر المكتوبة لكنها قليلة جدا بالمقارنة مع الشفوية ، وقد ظل الاعتماد على الرواية الشفوية في اطراد مستمر،خاصة في ظل غياب مصادر مكتوبة عن الكثير من الأحداث التاريخية والشجرات الأنسابية في البلاد(قام المعهد الموريتاني للبحث العلمي في إطار المسوحات التي نفذها لجمع وحفظ التراث الموريتاني خلال سبعينيات القرن المنصرم بتسجيل ،مكتبة صوتية تتألف من حوالي 524 شريطا، وقد تم إفراغ محتويات هذه الأشرطة وأدخلت نصوص المقابلات في الحاسوب لكنها لم تراوح مكانها ولم يتم استغلالها ولا توظيفها، على حد علمنا في ماجمعت له).

ومن بين أهم المدونات التاريخية التي اعتمد أصحابها على الرواية الشفوية والمزاوجة بينها وبين المصادر المكتوبة ، كتاب الأخبار لهارون بن الشيخ سيديا (1919-1977م) وهو عمل ضخم من حيث غزارة المادة التاريخية وتنوعها، ويقع في نحو ستة آلاف (6000) صفحة من الحجم المتوسط ، وفيه نقول كثيرة ومعلومات غزيرة، أغلبها يعتمد على الرواية الشفهية(هارون ، ش، بدون تاريخ طبع، ص: 7) ، ثم كتاب تاريخ بلاد التارزة لمؤلفه أحمد سالم بن باكا (1901-1981م)، الذي يقول فيه :"ولم أرو شيئا مما ذكرت فيه من غير هذه الكتب إلا عن ثقة عدول مشاهد لما رويت عنه ،أو راو عن ثقة مثله، وقد تجنبت فيه الحكايات المزخرفة التي ليس لها أصل صحيح(ولد باكا ، أ ،2002م، ص 19).

ولعل أهم أبرز النماذج وأهمها وأكثرها دقة وتمحيصا عمل المؤرخ الموريتاني الكبير المختار بن حامد (1897-1993م) المعنون "بموسوعة حياة موريتانيا" ، وهو أول كتاب جامع وشامل وموسوعي عن التاريخ الموريتاني، جمع فيه الكثير من الروايات الشفوية التي كانت تتناقلها الأجيال وترويها الأعيان عن تاريخ البلاد وماضيها ، يقول المؤلف :("وحسبي أني جمعت فيه مما كان متفرقا في شتى المصادر التي ماتزال مخطوطة ،بالإضافة إلى ماأخذته من أفواه عدد كثير من الثقات الذين التقيت بهم في مختلف أنحاء البلاد...وتحريت في ماأخذته عن الحكايات الشفهية

التي تختلف رواياتها غالبا، مارأيته أقرب إلى الصحة بعد المقارنة تاركا للباحثين رأيهم ورواياتهم،ورائدي في كل ذلك صيانة تاريخ هذه البلاد (إن أريد إلا الإصلاح مااستطعت ، وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب ") (ولد حامد ، ح ،2000 م ،صص: 9.10.11.

وتأسيسا على ماسبق، فإن المصدر الشفوي ظل يحتل مكانة هامة في التدوين التاريخ الموريتاني وتوثيق أخباره ،إلا أنه مع ذلك يطرح العديد من الإشكالات والقيود، نظرا لطبيعة حساسيته ،لأن الروايات الشفوية ينالها عادة الكثير من التحريف والتبديل والزيادة والنقصان ..وربما تناسخت من راو إلى آخر، وربما ينقصها النسيان من أطرافها، أونالت منها العواطف الجامحة تضخيما وتقزيما ، لذلك يطرح اعتمادها اليوم في كتابة التاريخ إشكالات معقدة ، فلا مناص والحال هذه من إخضاعها للعديد من الشروط ، ومقابلتها ومقارنتها بمصادر مكتوبة إن وجدت أوروايات أخرى للتأكد من مدى سلامتها ومطابقتها للواقع(أحمد، ش ، 2010 م، ص: 84 وما بعدها).

المصادر المكتوبة : لايخفى على ماينطوي عليه هذا المبحث من غموض يصل حد الإبهام، نظرا لتشعب استخدامه وما يحيل إليه، فإذا كان المقصود به"كل مايو صل الصوت والحس فإن ذلك يشمل الشاهد الكتابي والرسوم المحفورة في الحجر وفي الصخر وفي قطع النقود..وباختصار كل رسالة؛ تحفظ اللغة والفكرة بغض النظر عن حاملها"، لكن هذا التمديد للمفهوم قد يؤدي إلى إقحام العملة والخطاطة وسائر العلوم المساعدة في دائرته ،وهي مستقلة في الحقيقة عنه(جعيط ، 1983م، ص: 103)، وتضيق دائرة المفهوم أكثر إذا تعلق الأمر بموريتانيا ،حيث يقتصر"على ماهو مكتوب على الورق أو منقوش على الحجارة أوغيرها"(محمد المختار ولد السعد ، س ، 1988م، ص: 44). ووفقا لهذا التحديد تنحصر مصادرنا المكتوبة في نوعين وهما:

أ- **مصادر خارجية** : وهي تعني المصادر التي كتبتها أقلام غير موريتانية ، والتي لها صلة مباشرة أوغير مباشرة بموريتانيا، وهي متفاوتة الأهمية ومتنوعة الأشكال ، وقد ظلت حينا من الزمن تمثل المصدر الوحيد عن تاريخ البلاد الموريتانية ، ذلك أن اهتمام الموريتانيين بتدوين تاريخهم وأنسابهم إنما برز في سياق متأخر ،نتيجة لجملة من العوامل يضيق المقام لذكرها وهو مانبه إليه باب بن الشيخ سيديا في مقدمة كتابه إمارتا إدوعيش ومشظوف كما أسلفنا أعلاه ، لذلك ظل التعويل في الحصول على معلومات وأخبار عن البلاد خلال العصور الماضية على مصادر خارجية عربية وأوربية ، ولكنها مصادر خاطفة وخافتة ومثغورة ومشوهة ، ولاتقدم في الغالب إلا نتفا متفرقة وغامضة في بعض الأحيان عن ماضي بلاد شنقيط ،لأنها لاتعدو كونها إطلالة من الخارج على الواقع والمجتمع الموريتاني، رغم ما قد ينطوي عليه بعضها من أهمية بالغة إذا أُحسن التعامل معها بمنهج علمي سليم ، ويمكن تقسيمها إلى عدة أقسام :

*- مصادر عربية: وتشمل كتابات الرحالة والجغرافيين العرب التي من أهمها بالنسبة للمنطقة:

. صورة الأرض ،أبو قاسم ابن حوقل النصيبي،المتوفى 977م.

. المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب لأبو عبيد الله بن عبد العزيز (البكري)،المتوفى 1094م.

. الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، لعلي بن عبد الله المعروف(بابن أبي زرع)،المتوفى 1349م.

. نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ، لأبو عبد الله الشريف الإدريسي ،المتوفى 1156م

. البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ،ابن عذارى المراكشي ،

. مسالك الأبصار في ممالك الأمصار،لإبن فضل الله العمري ،المتوفى 1349م .

. تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار،المعروفة (برحلة إبن بطوطة)،المتوفى 1377م .

. تقويم البلدان ،لأبي الفداء ،المتوفى 1331م .

. كتاب الجغرافية ، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الزهري .

. العبر وديوان المبتدأ والخبر(تاريخ ابن خلدون)،لعبد الرحمن بن خلدون، المتوفى 1406م .

. الحلل الموشية في الأخبار المراكشية ،لمؤلف مجهول ...الخ(ولد السعد ، مرجع سابق، ص46) .

وتعتبر هذه المصادر العربية من أهم المصادر المكتوبة التي تتضمن في ثناياها نتفا من التاريخ والجغرافية عن موريتانيا الوسيطة ،على أن كتاب الأنوار الجلية في تاريخ الدولة المرابطية "لأبي سعيد الصيرفي الأنصاري" يبقى أهم مصدر عن تلك الفترة إلا أنه مازال مفقودا حتى الآن"(**حماه الله ، س، 2006م ، ص: 198**).

هذا بالإضافة إلى مصادر عربية أخرى معاصرة تهتم بموريتانيا منها على سبيل المثال مؤلفات، محمد يوسف مقلد، وعبد الباري عبد الرزاق النجم، ويونس بحري ، ورغم أنها غير دقيقة في التأريخ لبعض الأحداث والأعلام نتيجة النقص المخل في مصادرها ، ويستثنى من هذا الحكم سعد خليل في حديثه عن تكوين موريتانيا (**محمد المختار ولد سيد محمد ، س ،2013م ، ص: 8**)، إلا أنها تبقى مهمة للفترة التاريخية التي ظهرت فيها.

***- مصادر سودانية تنمبكتية** ومن أهمها على الخصوص :

. كتاب الفتاش في أخبار البلدان والجيوش وأكابر الناس، لمحمود كعت مع ذيل لبعض حفدته.

. تاريخ السودان ، لعبد الرحمن بن عبد الله السعدي .

*– **مصادر أجنبية** : وتشمل كل الكتابات الأوربية التي تناولت شيئا عن موريتانيا وهي تبدأ تقريبا من بداية الكشوفات الجغرافية على الشواطئ الموريتانية وذلك عند احتلالهم لآركين االقرن الخامس عشر الميلادي ، وتعود هذه الكتابات للبرتغاليين أولا(فالا نتيه فير ناندس، v.fernandes) مثلا ، ثم الهولنديين والبريطانيين والفرنسيين، وأوفرها حظا كان من نصيب الفرنسيين، وتتميز هذه المصادر بصورة عامة بالاستمرارية والتنوع باستثناء الفترة السابقة للقرن الثامن عشر التي لم تحظ بنصيب وافر من تلك المادة ، وتشمل هذه المصادر كتبا، وتقارير إدارية ، وأبحاث ،ومذكرات ، ووثائق المعاملات التجارية ، والمراسلات العامة التي كانت تتم بين الحكومة الفرنسية وولاتها العامين في السنغال ، وبين هؤلاء الولاة وقادة المراكز الإدارية والزعماء المحليين، ثم تقارير العمليات العسكرية التي تشمل علاوة على المعلومات الحربية معلومات طبيعية وطبوغرافية عن البلاد الموريتانية(**ولد السعد ،س ، مرجع سابق ، ص: 46 وما بعدها**)، وتكاد تغطي هذه المصادر الأوربية على اختلاف أنواعها الفترة الممتدة من القرن السادس عشر الميلادي إلى غاية القرن العشرين ، وإن كانت الوثائق الفرنسية أكثرها عددا ، وخاصة من النصف الثاني من القرن التاسع عشر حينما قويت قبضة الفرنسيين على البلاد ،

ويبقى معظم المصادر الأجنبية باستثناء الفرنسية منها في حكم المفقود نتيجة عدم إمكانية الاستفادة منه بحكم عائق اللغة غير الفرنسية لدى الموريتانيين وغيره، رغم ماتنطوي عليه من أهمية لأن بعضها انفرد بحكم السياق التاريخي الذي ظهر فيه بمعلومات وإشارات هامة عن تاريخ البلاد (ومما يبعث على التأسف بالنسبة لنا كباحثين في التاريخ الموريتاني ما نراه اليوم من عزوف واضح من لدن أغلب الباحثين الموريتانيين عن الاهتمام بمواضيع جديدة تلامس قضايا غير مطروقة من تاريخ البلاد في إطار علاقاتها بمختلف القوى الأوربية التي كانت ترابط على شواطئها خلال القرن الخامس عشر الميلادي وتوغلت خلال القرون 18،17،16،من غير الفرنسيين ،لأن مرحلة الاستعمار الفرنسي قد لهجتها أقلام الباحثين طويلا، في حين ماتزال صلات البرتغاليين والهولنديين والبريطانيين بالبلاد خالية من الدراسة والبحث ، وستمكن دراسة هذه الفترات بلاشك من إلقاء الضوء على حقب مازالت شبه مجهولة من تاريخ البلاد).

أما المصادر الفرنسية فهي من أهم المصادر الموجودة عن تاريخ موريتانيا ، نظرا لما تقدمه من مادة تاريخية غنية بالأحداث والوقائع التي تشمل :"المعاهدات والمراسلات والإحصائيات ووثائق المعاملات والصحف وغيرها من المصادر الأولية الثمينة والشهادات العيانية التي تمكن المؤرخ من استعمال الطرق الدراسية الدقيقة المستعملة في دراسة التاريخ اليوم ولاسيما التاريخ الكمي(**محمدو ، م ،1998م ، ص: 26 وما**

بعدها). ومن الأمثلة على ذلك مؤلفات الإداري الفرنسي بول مارتي ، ورني باسَي ، وجان لويس بالان ، وفيليب مارشزينه ، وفرانسيس دشاسي .

ب – مصادر محلية:

ويعود أقدم المصادر المحلية تقريبا إلى القرن 11هجري و17م وقد عرفت تطورا ملحوظا مواكبا مع تطور حركة التدوين في المجتمع الموريتاني التي شهدت أزدهارا غير مسبوق في القرنين الثاني عشر والثالث عشر الهجريين ، مع نمو الوعي التاريخي ، ونتيجة لانشغال فئة الزوايا بتأليف في جميع أنواع العلوم المختلفة نتج عن ذلك فائض من المخطوطات ، مما حدا بالدولة الموريتانية وذلك بعد استقلالها عن فرنسا ، بإنشاء مؤسسة وطنية مكلفة بحفظ التراث الثقافي أطلقت عليها المعهد الموريتاني للبحث العلمي سنة 1975م ، وقد تمكنت هذه المؤسسة من جمع رصيد هائل يقدر 60000 مخطوط خلال خمسة أعوام من 1975 إلى 1980م ، وقد اعتمد هذا المعهد غداة إنشائه خطة استعجالية لإنقاذ المخطوطات واقتناءها مجانا أو شرائها فتم التنازل عن آلاف من المخطوطات القيمة أو حتى عن مكتبات كاملة مقابل ثمن زهيد، وقد تكللت هذه العملية بنجاح ، وهو ما جعل المعهد العالي للدراسات والبحوث الإسلامية منذ إنشائه إلى انتهاج نفس الأسلوب سنة 1988م ، وحصل على كميات هامة من المخطوطات وصلت زهاء 2500 مخطوط ، ويبقى جزء هام من هذه المخطوطات بحوزة الأهالي لم يأت الكشف عنه بعد، وتتمثل المصادر المحلية في أصلها في .

أ- الحوليات والوقائع

ب – النوازل والفتاوى

ج- التراجم والأنساب

الحوليات والوقائع : يمكن في البداية أن ننطلق من تحديد مبسط للحوليات بأن نعتبرها تلك تآليف التأريخية التي تعتمد تسجيل الوقائع والأحداث مرتبة ترتيبا زمنيا دقيقا حسب السنوات دون التقيد في أغلب الأحيان بالتفاصيل الجزئية لكل حدث أوواقعة ومن هنا جاء مصطلح الحوليات ،وتكاد الحوليات التاريخية تكون نمطا متميزا من مصادر التاريخ الموريتاني، فهي تختلف عن مصادر التاريخ العام وكتب التراجم والرجال ومؤلفات الأنساب ، ولا يجد الباحث بدا من الرجوع إليها إذ تأخذ الحوليات مكانة خاصة بين هذه المصادر نظرا لصرامتها المنهجية القائمة على الترتيب الزمني الدقيق ونظرا لاعتمادها التركيز والتقاط الأحداث المختلفة من ميلاد ووفاة ونعم وقحط وسلم وحرب(ولد طوير الجنة ، ط ،1995م ، ص: 10،11.

وقد اقتصرت على المراكز الحضرية حيث كان المسجد هو دار التوثيق وحفظ هذه الكراس التي يتم فيها تسجيل حوادث السنين ، ويشرف على ذلك أشخاص عدول ، وكان يسمى هذا النوع من الكتابة "بالتواريخ"(عائشة منت ديدي ، د ، 1990م ، ص: 8) مثل تاريخ ولاتة ، وتاريخ تجقجة، وتاريخ النعمة، وتاريخ تيشيت ، وهذه التسميات ترجع إلى المدينة التي ألفت فيها الوثيقة، ومع أن مصطلح "الحوليات " أصبح شائعا في أوساط الباحثين المهتمين بهذه النصوص إلا أننا لانجد المؤلفين الموريتانيين القدماء يطلقونه على مؤلفاتهم بل نجد عناوين تختلف اختلافا بينا بحسب المؤلف أو التأليف ويمكن أن نحصرها في أربعة أنواع :

النوع الأول: عناوين يبدو أنها من وضع المؤلف مثل

– النبذة في التاريخ الزمان:لصالح بن عبد الوهاب الناصري

– فتح الرب الغفور في تواريخ الدهور:لسيدي عبد الله بن انبوجه.

النوع الثاني : قد يسمي النص باسم مؤلفه مثل:

– تاريخ جد بن الطالب الصغيرالبرتلي

– تاريخ ابن طوير الجنة الحاجي

النوع الثالث : تسمية التأليف بموضوعه مثل :

- نظم وفيات أمراء البراكنة والترارزة لوالد بن خالنا الديماني .
- وقائع البرابيش لباب الكبير بن سيد أحمد العلوي الأرواني.

النوع الرابع:التسمية التأليف باسم المدينة التي ألف فيها مثل:

- تاريخ ولاتة للطالب ببكر بن أحمد المصطفى المحجوبي وأب بن جودتي .

تاريخ تيشيت لمحمد بن عشاي والشريف بوعسرية التيشيتيين(ولد طوير الجنة ، مصدر سابق، ص 11،10

وقيمة هذه الحوليات التاريخية تنحصر في ضبط وفيات بعض الأعيان وذكر جملة من الحوادث البارزة التي لها أثر كبير في مجريات التاريخ كالوقائع مثلا، التي تحدث بين القبيلة والأخرى وعادة ماتكون أسبابها تافهة كملاحات بين رجلين أوهزل يؤول إلى حد قاتل ،أونزاع على رقعة من الأرض لم تكن الحرب تحتاج إلى أسباب وجيهة لتندلع ، فقد تعود أهل الصحراء إضرام النار بدون شرارة ،وكانت الحروب ظاهرة اجتماعية لصيقة بالمجتمع الصحراوي حتى كأنها جبلة فيه(الخليل ، ن،1987م ، ص: 101)، لقد أثخنت الحروب المجتمع الصحراوي ونتج عنها

دمار كثير(نفس المرجع ، ص 105). وتبقى الحوليات والوقائع أهم مادة وثائقية تم تدوينها من طرف الموريتانيين، وهي بذلك من أهم كنوز مصادر التاريخ الموريتاني .

ب- النوازل والفتاوى :

النوازل اصطلاحا هي مجموعة الفتاوى والأجوبة على مختلف المشاكل التي تنزل بالمجتمع في مختلف المجالات ، والنوازل جمع نازلة في اللغة اسم فاعل من نزل ينزل إذاحل(ولد أمباله ، م ، 1999م ، ص: 96)، ويمتاز فقه النوازل بأنه الفقه الواقعي الذي يتحدث عن واقع المجتمع ويعالج مشاكله ولذلك يجب تبيينه للناس ،أما الفتوى ومعناها الجواب عما يشكل من المسائل الشرعية أوهي الإخبار بالحكم الشرعي على وجه الإلزام والمفتي من يتصدى للفتوى بين الناس ، ويبين لهم حكم الله تعالى ، ويكشف لهم رأي الدين والشرع ، ويعتبر القرن السابع عشر قرن ظهور المجامع الإفتائية الكبرى في موريتانيا مع محمد بن أبي بكر بن الهاشم الغلاوي المتوفى 1098هجري الموافق 1686م ، ومحمد بن المختار بن الأعمش المتوفى 1107هجري الموافق 1695م(ولد السعد ، م ، 2000م ، ص: 42) ، والفتوى من أقدم الوثائق المكتوبة عن هذه البلاد وأكثرها تعبيرا عن خصوصيتها وهموم أهلها الظرفية ، لذا فإن النوازل والفتاوى من أهم الوثائق التاريخية المدونة لهذا البلد يمكن أن تجيب على كثير من الإشكالات إذا وجدت من يستنطقها .

ج- التراجم والأنساب: وهي نوعين

1- النوع الأول : ويهتم بتأريخ لطبقات الشعراء والأولياء وللمجموعات القبلية ، أي بمعنى أنه يهتم بتآليف الشاملة التي تزاوج بين المعطى الثقافي والبعد التاريخي، ومن أمثلة على ذلك كتاب فتح الشكور في معرفة علماء التكرور، ومنح الرب الغفور في ذكر ماأهمله صاحب فتح الشكور، والوسيط في تراجم أدباء شنقيط ، ورسالة في أنساب حسان للشيخ سيد المختار الكنتي الكبير ، والحسوة البيسانية في علم الانساب الحسانية ، والشعر والشعراء في موريتانيا،...الخ

2- النوع الثاني : وهو الذي يقتصر فيه المؤلف على مترجم واحد كما هو الحال بالنسبة لكتب المناقب والكرامات ، وغالبا مايكون على صلة به ، و يمكن ندرج في ذلك كتاب :الطرائف والتلائد في كرامات الشيخين الوالدة والوالد ، للشيخ سيد محمد بن الشيخ سيد المختار الكنتي، وكتاب مناقب ناصر الدين أو أمر الولي ناصر الدين ،للشيخ محمد اليدالي، وكتاب النجم الثاقب لما لليدالي من

مناقب، و إلى غير ذلك من الكتب التي تعالج هذا النوع ، وتبقى تآليف كتب التراجم والأنساب مهمة لمعرفة تاريخ موريتانيا.

هذا بالإضافة إلى وجود مصادر محلية أخرى معاصرة ومهمة للباحثين والمؤرخين يمكن الاستفادة منها والرجوع إليها ، وفي مقدمتها العمل القيم الذي أنجزه المؤرخ الكبير المختار ولد حامد بالاشتراك مع المستشرق هوما يوفسكي المعنون "بمعجم المؤلفين الموريتانيين" ونشر في أمستردام سنة 1966م (ولد حامدن ، م، 1994م ، ص5)، "والبيبلوغرافيا العامة لموريتانيا" للسفير السابق محمد سعيد ولد همدي الذي نشرته دار نشر كودا نواروا كورتت 1995م، ويتكون من (500 صفحة باللغة الفرنسية)، وكتاب المنارة والرباط للكاتب الكبير الخليل النحوي الذي يحتوي على قدر كبير من أسماء المؤلفين وعناوين الكتب والفتاوى المهمة ،كذلك هناك الوثائق الغير منشورة المودعة في وزارة الداخلية الموريتانية والتي يرمز لها (و. د.م)، والتي لم تصنف بعد ، وكذلك الوثائق الوطنية الموريتانية والمدون أغلبها باللغة الفرنسية وهي محفوظة برئاسة الجمهورية ويرمز لها (a.n.m) ، وتكمن أهمية هذه الوثائق في كونها توفر للباحث مادة أولية ذات قيمة علمية هامة ، وتأتي في المرتبة بعدها الوثائق المنشورة وأهمها منشورات حزب الشعب التي تتضمن خطب وأحاديث الرئيس المختار في المناسبات الوطنية والدينية ، والمؤتمرات الحزبية ، وفي المقابلات الصحفية ، وتشمل المصادر الموريتانية كذلك مذكرات بعض الساسة كالرئيس المختار (محمد المختار ، س ، مرجع سابق ، ص 6-7)، والرئيس محمد خونه ولد هيداله ، وبعض الوزراء السابقين.

2- **المصادر الأثرية** : وهي إلى الآن تتلخص في نتائج البحث الأثري الذي بدأ مع استقلال البلاد منذ ستينات في الأماكن الأثرية كآودغست ، وكمبي صالح ، ورغم ضعف الإمكانيات الفنية ومحدودية أعماله في الزمان والمكان إلا أنه نجح في إنجاز بعض الأعمال الهامة والتي من بينها ،"سلسلة اركيو لوجيا آوداغست "، التي أنجزتها الحكومة الموريتانية بمساعدة آثاريين فرنسيين ونشرت نتائج الأبحاث في مجلة المعهد الموريتاني للبحث العلمي، وتبقى المصادر الأثرية في موريتانيا بحاجة إلى الكثير من التنقيب والعناية قصد الكشف عن التاريخ الأثري لموريتانيا.

قائمة المصادر والمراجع

الكتب:

الشنقيطي، أحمد بن الأمين، 1911م، الوسيط في تراجم أدباء شنقيط، (ط1)، القاهرة، مكتبة الخانجي.

- الشكري، أحمد، 2010 م، الذاكرة الإفريقية في أفق التدوين إلى غاية القرن 18م، الرباط، منشورات معهد الدراسات الإفريقية.
- بن باكا، أحمد سالم، 2002 م، تاريخ بلاد التارزة، (ط1)، منشورات معهد الدراسات الإفريقية.
- بن الشيخ سيديا، باب، 2003 م، إمارتا إدوعيش ومشظوف، (ط3)، نواكشوط، المعهد التربوي الوطني.
- جعيط، هشام، 1983م، المصادر المكتوبة السابقة للقرن السادس عشر، تاريخ إفريقيا العام، باريس، اليونسكو.
- بن الشيخ سيديا، هارون، بدون تاريخ ،كتاب الأخبار ، (ط1)، نواكشوط، المطبعة السريعة.
- النحوي، الخليل، 1987م، بلاد شنقيط المنارة والرباط، تونس، المنظمة الإسلامية للتربية والثقافة والعلوم.
- بن الشيخ سيد المختار، الشيخ سيد محمد الخليفة ، 2007م، الرسالة الغلاوية، الرباط، دار المعارف الجديدة.
- بن سيد محمد، محمد المختار، 2013م، المجتمع والسلطة في موريتانيا (1961-1978م)، نواكشوط، المطبعة الوطنية.
- بنت ديدي، عائشة، 1990 م، حوليات تجقجة، جامعة نواكشوط.
- بن طوير الجنة، الطالب أحمد ، 1995م، تاريخ ابن طوير الجنة، منشورات معهد الدراسات الإفريقية.
- محمد اليدالي، الشيخ، 1990م، نصوص من التاريخ الموريتاني، (ط1) تونس، بيت الحكمة.
- ولد السعد، محمد المختار، 2000 م، الفتاوى والتاريخ دراسة لمظاهر الحياة الاقتصادية والاجتماعية في موريتانيا من خلال فقه النوازل، (ط1)، بيروت، دار الغرب الإسلامي.
- ولد حامد، المختار، 2000م، موسوعة حياة موريتانيا التَّاريخ السّيَاسي، دار الغرب الإسلامي.
- ولد حامد، المختار، 1991م، حياة موريتانيا الجغرافيا، الرباط، منشورات معهد الدراسات الإفريقية.

المؤتمرات:

- ولد أمباله، محمد المختار، 1999م، أهمية النوازل الفقهية ومعالجتها للواقع السياسي في بلاد شنقيط، فعاليات الملتقى الدولي الأول حول المخطوطات الموريتانية المنظم بالتعاون مع اليونسكو، نواكشوط.
- بن محمذن، محمدو، 1998 م، المصادر الأجنبية للتاريخ الموريتاني المعاصرة، أعمال المؤتمر الأول لمنتدى التاريخ المعاصر، زغوان.
- ولد السالم، حماه الله، 2006، تدوين التاريخ الموريتاني، أعمال ندوة تيكماطين، الدورة الخامسة، تيكماطين.
- عبد القادر، منَي وآخرون، 2012م، التاريخ الشفوي الموريتاني مقتضيات الهم وعوائق التدوين، أعمال الندوة الفكرية لأيام الشارقة التراثية ، الدورة العاشرة ،الشارقة.

المجلات العلمية:

- ولد السعد، محمد المختار، (1988م)، عوائق البحث في التاريخ الموريتاني، مجلة الوسيط، العدد 2.

تاريخ الاستلام: 2016/04/21- تاريخ التحكيم: -2016/09/17- تاريخ النشر2016/12/30

المخططات الفرنسية للقضاء على الثورة الجزائرية من الداخل – الولاية الثالثة نموذجا –

أ. كمال سليح

جامعة الجزائر 2 -(الجزائر)

ملخص

يندرج هذا المقال ضمن التاريخ السياسي العسكري، وهو يعالج جزء من المخططات الفرنسية الرامية إلى القضاء على الثورة في منطقة القبائل (المنطقة الثالثة أو الولاية الثالثة بعد مؤتمر الصومام)، (1954 – 1962)، ويكمن الهدف من وراء هذا المقال في محاولة تسليط الضوء على هذا الجانب الذي اطاله الاهمال من طرف المؤرخين والباحثين في تاريخ الثورة الجزائرية.

Résumé

Cet article inclus dans l'histoire politico-militaire, il traite une partie de la stratégie et les plans français contre la révolution dans la région de Kabylie (zone trois , wilaya trois après le congre de la Soummam), 1954 – 1962, l'objectif principal de cet article est la tentative d'éclairer une phase de la révolution algérienne qui est abandonnée par les chercheurs et les historiens.

مقدمة:

كما هو معلوم، قامت لجنة الستة بتقسيم البلاد عشية اندلا ع الثورة إلى خمسة مناطق على النحو التالي: المنطقة الاولى (الاوراس – النمامشة بقيادة مصطفى بن بولعيد)، المنطقة الثانية (الشمال القسنطيني بقيادة ديدوش مراد)، المنطقة الثالثة (القبائل بقيادة كريم بلقاسم)، المنطقة الرابعة (الجزائر وما جاورها بقيادة رابح بيطاط)، المنطقة الخامسة (القطاع الوهراني بقيادة محمد العربي بن مهيدي)، في حين كُلّف بوضياف بمهمة التنسيق بين الداخل والخارج بين مختلف المناطق، وأعيد التقسيم الجغرافي للبلاد في مؤتمر الصومام، حيث تم استبدال المنطقة بالولاية وأضيفت ولاية سادسة وهي جنوب الجزائر، وقد حاولت فرنسا القضاء على الثورة وجنّدت لذلك مختلف قواتها، ومع اتساع العمل الثوري وعجز فرنسا على احتوائه، بدأت تخطط في ضرب الثورة من الداخل منطقة بعد منطقة ، ووقع اختيارها على المنطقة الثالثة كنموذج لسياستها الجديدة قصد تعميمها على باقي المناطق الاخرى، ففيما تتمثل هذه السياسة ؟ وما هي نتائجها وتأثيراتها وانعكاساتها على الولاية الثالثة بصفة خاصة وعلى الثورة بصفة عامة؟

1 – الموقع الجغرافي للولاية (المنطقة) الثالثة:

تقع المنطقة الثالثة شرق العاصمة، تمتد من وادي ياسر غربا (ولاية بومرداس)، إلى جبال البابور شرقا (ولاية سطيف)، ومن البحر المتوسط شمالا، إلى ولايتي برج بوعريريج والبويرة جنوبا (فراد، م ، 2006: 11)، هذه المنطقة ذات التضاريس الوعرة من جبال وهضاب وسهول ضيقة، وأودية يكسوها غطاء نباتي كثيف (بوعزيز، ي، 2004: 16)، وبذلك يمكننا القول أن سطح هذه المنطقة يتميز بتضاريس متنوعة من جبال (جرجرة، البيبان، والجزء الغربي من جبال البابور)، وسهول كالسهول العليا الشرقية وجنوب غرب الحضنة، وحوض الصومام ، ضف إلى ذلك الناحية الجنوبية سيدي عيسى وبوسعادة (ولاية المسيلة) المعروفة بالصحراء، وتمتاز المنطقة الثالثة بمناخ

رطب، خاصة في فصل الشتاء البارد، ويشتد فيها الجفاف صيفا، تكثر فيها الينابيع العذبة المتدفقة من الجبال، مما أدى إلى وجود غطاء نباتي دائم الاخضرار، ومتنوع من حيث الاشجار كالزيتون، العرعار، البلوط، الزان ، الصفصاف، وغيرها من الاشجار، كما تتميز بكثافة سكانية عالية أهّلتها لأن تحتل المراتب الاولى من خلال مساهمة السكان في دعم الثورة، فمداشرها وقراها كثيرة متقاربة من بعضها البعض، على قمم الجبال والسفوح، وعلى ضفاف الوديان، ظف إلى ذلك وحدة اللسان والدين، فسكان المنطقة معظمهم ينتمون إلى العنصر الامازيغي (بوعزيز، ي ، 2004: 16 - 18)، وتحتل مكانة رائدة بين المناطق الاخرى خاصة، وأنها عبارة عن منفذ مباشر إلى كل المناطق (الاولى، الثانية، الرابعة، والسادسة) ما عدا الاقليم الوهراني (أتومي، ج، 2008: 215، كذلك :شوقي، ع،2004 : ص 131)، فتعتبر همزة وصل، وذلك ما حتم عليها تولي مسؤولية الربط والتنسيق بينها، ومد يد المساعدة لها في الكثير من الاحيان.

2 – عملية العصفور الازرق:

ادرك القادة الفرنسيون سياسيون وعسكريون على حد سواء، أن الاعتماد على الحل العسكري كخيار أوحد لتطويق الثورة وخنقها من أجل القضاء عليها يعد خيار ضروريا أساسيا بالنظر إلى النتائج التي يحققها في الميدان، غير أنه يبقى غير كاف، ومن ثمة بات من الضروري البحث عن خيارات مكملة ومدعمة في ذات الوقت للخيار العسكري.

وبحثا عن مكان لتنفيذ استراتيجية سياسية وبسيكولوجية في نفس الوقت ، كانت المنطقة الثالثة (الولاية الثالثة بعد مؤتمر الصومام) مسرحا لهذه التجارب والمخططات الجهنمية الرامية من ورائها إلى القضاء على الثورة في هذه المنطقة التي كانت تعتبر القلعة رقم واحد في ميدان المقاومة، ومنها يتم تعميمها على باقي المناطق الاخرى في الجزائر.

اهتدت فرنسا إلى خطة جهنمية لإجهاض الثورة في منطقة القبائل ، وهي عبارة عن مؤمراة حولها جيش التحرير الوطني إلى انتصار وخيبة أمل للجيش الفرنسي، أطلق عليها عدة اسماء: العصفور الازرق، كومندو ك، المؤامرة، القوة ك (بوعزيز، ي ، 2004: 104)، وتم تنفيذها في اطار التهدئة (Lacoste ,C. D.J, 1997, 23).

كان الوالي العام في الجزائر "جاك سوستيل" أول من بدأ في التفكير في البحث عن القوة الثالثة منذ نوفمبر 1955، ولهذا الغرض كلف المصالح الادارية المختصة بالتمهيد لها بوسائلها الخاصة، وتم تعيين الجنرال "بوفر" على راس الفرقة الثانية للمشاة ، ليواجه المجاهدين في منطقة العمليات بمنطقة القبائل (بوعزيز، ي، 104)، وقد كان لفشل جيش بلونيس وخروجه من المنطقة الثالثة سببا مباشرا في تفكير السلطات الفرنسية في تنفيذ العملية، لذلك بدأت في البحث عن خلق صراع بين الجزائريين وانشاء قوة ثالثة موالية لها، تحارب معها ضد الثوار

(Lacoste,D. J,23)، ولكون موقعها الاستراتيجي الهام سواء من حيث الكثافة السكانية أو توسطها البلاد مما جعلها تكون همزة وصل بين مختلف المناطق، وقلب نابض للثورة، جعل العدو يختارها كمزرعة نموذجية للقضاء على نظام جيش التحرير الوطني (واعلي، 160).

أ – تنفيذ العملية:

بدأت فصول العملية في نوفمبر 1955، عندما اتصل مفتش قديم للشرطة في فرقة الرماة يدعى "محمد أوسمر" بصديق طفولته "عشيش الطاهر" من قدماء المحاربين في الحرب العالمية الثانية (بوعزيز، ي ، 107)، اقترح عليه تجنيد متطوعين جزائريين لمحاربة الثوار في المنطقة الثالثة بنفس أساليبهم، وتخطيطاتهم، يكونون في مستوى المهمة الخطيرة شجاعة وذكاء، يتم تنظيمهم في فرق مسلحة يتراوح عدد كل فرقة منها بين خمسة و عشرين رجلا، كما هو معمول في فرق جيش التحرير الوطني، يقوم الجيش الفرنسي بتدريبهم وتزويدهم بالاسلحة والذخائر والاموال (الصديق، م.ص، 1990: 09).

تشجع عشيش للفكرة، وابدى تعاونه، فسافر إلى عزازقة قاصد أحمد أزايد (مناضل قديم في حزب الشعب– حركة انتصار الحريات الديمقراطية، من ضواحي مدينة عزازقة بولاية تيزي وزو) وعرض عليه المشروع، هذا الأخير نقل الخبر إلى محمد يازوران (قائد ناحية عزازقة لجبهة التحرير الوطني)، الذي نقل الخبر بدوره إلى كريم بلقاسم قائد المنطقة الثالثة.

امر كريم أزايد الاستمرار في اتصالاته إلى النهاية حتى يتعرف على خطة المخابرات الفرنسية، أهدافها ووسائلها (بوعزيز، ي ، 107 – 108).

ونظرا لحجم وخطورة العملية، عرض كريم خلفياتها على قادة جيش التحرير الوطني بالمنطقة، كما اوفد "مغني محمد الصالح" للتشاور مع عبان رمضان الذي كان في تلك الفترة احد مساعدي أوعمران اعمر قائد المنطقة الرابعة ، وبالرغم من ابداء القادة قلقهم من المشروع وترددهم في اتخاذ القرار، إلا أن كريم أكد لهم أنه يتحمل المسؤولية، فشرعوا في دراسة معمقة للمشروع وجميع احتمالاته، وتم وضع خطة عملية محكمة، وفق سرية تامة لاستغلاله لصالح الثورة (منظمة المجاهدين، 1985 ، 38).

كُلّف لقيادة العملية محمد ايازوران الملقب بـ " سعيد فريروش"، وأعطيت له تعليمات أن لا يجند في المنظمة إلا المناضلون المخلصون والأذكياء الذين يقدرون على تحمل أعباء هذه المخاطرة وكتمان السر (الصديق، 48)، وتم تجنيد المناضلين من ثلاث فئات: من جنود جيش التحرير الوطني المختبؤن في الجبال، رجال الاستعلام المكلفون بمهام الاتصال ونقل الاخبار، والمسبلون في القرى والمدن.

تم اختيار 15 رجلا في البداية، واعطيت اسمائهم لعشيش مع ارقام بطاقات تعريفهم، وكلف كريم بلقاسم رجلا ذو ثقة وهو "مخلوف محمد" بأن يكون إلى جانب ازايد ، ويتولى الاتصال بالفرنسيين، ليحدد معهم نوعية الاسلحة والمبالغ المالية المطلوبة لكل فوج، ويظهر حماسته للعملية، وبعدما تأكد سوستيل من نجاح الخطة هيكل لها كل الوسائل المادية ورصد لها ميزانية خاصة (الصديق: 28)، إذ زود المجاهدين بعتاد عسكري تمثل في السلاح الاوتوماتيكي منها موس كوتو، ماس 36، مدافع رشاش، بنادق قارون، الزي العسكري، المناظير الميدانية بالإضافة إلى مرتب شهري يقدر بـ 30 ألف فرنك فرنسي لكل فرد على مدى احدى عشر شهرا (متحف المجاهد: 23 – 24).

عاد عشيش بالموافقة إلى ازايد بعد لقائه مع أوسمر الذي تدارس العملية مع الولاية العامة، وطالبه بتجنيد المزيد من الرجال، ، وهكذا بدأت عملية العصفور الازرق التي مست نطاق واسعا من منطقة القبائل وبالتحديد: آث جناد، افليسن، أزفون، مع اتساع الرقعة اتجاه عزازقة، بوزقن، أي المنطقة الممتدة من تيقزيرت غربا الى عزازقة شرقا، وثلاث قرى من آث زمنزر بضواحي معاتقة ، اما مراكز تنسيق العملية فكانت موزعة على كل من "اقر نسالم"، "اغيل مهنى"، "آث وانش" (ضواحي تقزيرت)، ونفذت تحت قيادة الجنرالين "بوفري" و "اولي"، للفرقة الحادية عشر للمضليين التابعين لمصالح التوثيق الخارجية للمخابرات المضادة (متحف المجاهد: 31).

وحتى يغطي كريم الخطة، ويذر الرماد في أعين الفرنسيين، لحماية جنوده ومساعدتهم، طلب منهم الاكثار من اطلاق النار في الليل في الهواء وتبادل التراشق الاصطناعي، في حين قام هو بتصفية المعادين للثورة من المصاليين والعملاء وتقديم جثثهم إلى هؤلاء المجندين ليقدموها بدورهم إلى القوات الفرنسية، وكان يختار قتلاه خارج المنطقة حتى لا يتم التعرف عليهم (بوعزيز، ي ، 109 – 110).

كادت الخطة تنكشف يوما عندما تم قتل خائنا وألبسوه زيا عسكريا، ثم اخبروا الضابط كالعادة، لكن لما انتقل إلى المكان لمشاهدة الجثة، اكتشف انه ليس مجاهدا وانما كان عميلهم وعونهم الامين، مما أدخل الشك لدى القادة الفرنسيين وجعلهم يحتارون من الامر، ويراجعون عميلهم عشيش الذي اتصل بدوره بأحمد أزايد ، وما كان من هذا الاخير إلا أن اخترع مكيدة للتغطية على ما وقع ليطمئن عشيش على أنه المسؤول على العميلة (الصديق، م.ص، 49).

تطورت العملية واكتملت في النصف الاول من عام 1956 ، وقبل رحيل سوستيل في فيفري من نفس العام اخبر بها خليفته روبير لاكوست، حيث شرح له بالتفصيل أهميتها، فاستبشر بها هذا الاخير خيرا متوقعا من ورائها نجاحا كبيرا ونهاية للثورة، لذلك طلع على العالم بشعاره المعروف "الربع الساعة الاخير"، مستبقا للأحداث ومتكهنا بأن الثورة لم يبق لها إلا ربع ساعة لتموت وتنتهي (بوعزيز، ي ، 112).

وفي اطار تعزيز العملية، عمدت الولاية العامة إلى تنصيب فرق الدفاع الذاتي والحركى، متوهمة بذلك أن منطقة القبائل أصبحت موالية لها ، فقامت بتنظيم احتفالا لهذا الغرض يوم 17 سبتمبر 1956 بضواحي تيقزيرت، تم خلاله توزيع الاسلحة على القرى التي اعلنت ولائها، وعلى بعض الفرق العسكرية في المنطقة، لكن فرحة الولاية العامة لم تدم طويلا، بحيث لم يمر سوى أسبوعين حتى يأتي الرد قويا من طرف جيش التحرير الوطني، ففي الفاتح أكتوبر من نفس السنة جرت معركة كبرى في افليسن بين القوات الفرنسية والثوار في كمين نصبه المجاهدون بقرية "ايقر نسالم" التابعة لقوى الدفاع الذاتي، اكتشفت على اثرها فرنسا خيانة هذه القرى لها، مما جعل الجيش الفرنسي يقوم باحراق قرية " أقني موسى" والقرى المجاورة لها (Lacoste, D.J, 49 - 52).

ب – نهاية المؤامرة:

قرر مؤتمر الصومام فضح المؤامرة ، باصدراه أمر إدراج الفرق المسلحة في صفوف جيش التحرير الوطني، لكن بعض المجموعات لم يصلها الأمر، فسارعت قوات العدو المتمركزة في معاتقة إلى حجز أسلحتهم وأسرهم، وفور ذلك عمدت قوات العدو المتمثلة في عشرات الآلاف من جنودها مجهزين بمختلف الاسلحة خفيفة وثقيلة إلى القيام بحملة حصار وتفتيش لدائرة عزازقة ،تيقزيرت، وأزفون، واشتبكوا مع المجاهدين لعدة ايام، شاركت فيه حتى القوات البحرية، تصدى لها المجاهدون بكل بسالة في المعركة المعروفة بـ "أقني أوزيضوض" (الصديق، م.ص، 49 - 50) .

بعد فضح المؤامرة ، تم توزيع الاسلحة على مختلف الكتائب والفرق عبر النواحي التابعة للمنطقة، ويعود هذا النجاح إلى حكمة القادة، وثقة المجاهدين، فكانت صفعة جديدة وبداية مرحلة حاسمة للثورة، وحطمت بذلك كل آمال سوستيل ولاكوست الرامية إلى القضاء على الثورة (الملتقى الوطني لكتابة تاريخ الثورة المسلحة، 14).

ج – نتائج العملية على الثورة:

هزت عملية العصفور الازرق التي جرت في تمام السرية والكتمان في أوساط المقاومة، أركان الجيش الفرنسي ، وأكسبت الثورة ما يفوق عن 1500 رجل مزودين بأحدث الاسلحة القتالية من الرشاشات والمدافع (أتومي، ج ، 30)، بلغ عددها 850 قطعة سلاح، كما تدعمت خزينة المنطقة الثالثة بواسطة المنحة الشهرية لهؤلاء المجندين بمبلغ قدر بـ 84 مليون فرنك فرنسي قديم (بوعزيز، ي ، 112)، وبذلك يمكننا القول أن جوسسة الثورة تفوقت على جوسسة فرنسا ولقّنتها درسا في الجوسسة المضادة.

إذا نظرنا إلى العملية من الناحية السياسية والنفسية، فإن المنطقة الثالثة (الولاية بعد مؤتمر الصومام)، ومن خلالها الثورة الجزائرية، خرجت منتصرة من هذه المؤامرة، بالمقابل أخفقت فرنسا في خلق قوة ثالثة لمواجهة الثورة لاقتناع المجاهدين بشرعية قضيتهم، ومن الناحية العسكرية فإن جيش التحرير الوطني شهد زيادة بنسبة 30 بالمائة مقارنة بالحصيلة المقدمة في مؤتمر الصومام (أتومي، ج ،).

عقب هذه العملية، وجه كريم بلقاسم رسالة مفتوحة إلى لاكوست جاء فيها: "... **أن هدية لاكوست تسلمناها، وسنكافئكم في مستقبل الايام...**"، وفي نفس الاتجاه صرح العقيد محمد اعزوران قائلا: " **إن الشعب الجزائري لا ينبغي أبدا أن ينسى هدية فرنسا الغالية، وأن لا تنسى فضلها في تجنيد الثورة وتسليحها** " (الصديق، م.ص، رحلة، 2002: 197)، كانت هذه العملية نكسة كبرى على فرنسا، وهزيمة نكراء لقيادات أركانها، لكن لم يثنهم عن أعمالهم القذرة، إذ واصلوا نسج مؤامرات أخرى أخطرها عملية الزرقاء أو الزريق.

3 – مؤامرة الزريق bleuite (1958 – 1959):

لم تهضم فرنسا الهزيمة النكراء التي منيت بها ، والخسائر الكبيرة التي تكبدتها من خلال ما عرف بعملية العصفور الازرق، وعلى هذا الاساس، كان لزاما على ادارة الاحتلال أن تعيد الاعتبار لنفسها جراء ما لحق بها، فضلا عن عزمها أكثر من ذي قبل على ضرورة استرداد ما خسرته من أسلحة وذخيرة، لذلك سعت بعد نظر عميق ودراسة مستفيضة للتجربة السابقة والوقوف عند المعطيات الراهنة، من خلال الاعتماد على خبراء الحرب النفسية إلى التسلل والنفاذ إلى عرين الثورة.

ان الوضعية التي كانت عليها الولاية الثالثة والدور المحوري الذي كانت تقوم به بالتنسيق مع الولاية الرابعة في تدعيم الصحراء والاوراس، حوّلت انظار القوة الاستعمارية اليها، فاتجه عدد كبير من قادة الجيش الفرنسي الى التفكير في اعادة عملية العصفور الازرق الفاشلة بصورة اكثر دهاءا وخطورة عن طريق اللجوء الى توظيف الحرب النفسية باستخدام اسلوب تعميم الاشاعة التضليلية (خيثر، ع.ن، 270).

كلل سعي ادارة الاحتلال وأفضى تدبيرها إلى ما كانت تطمح إليه ، حيث عانت الولاية الثالثة الكثير نتيجة الضغط الرهيب الذي فرضته مصالح الاستخبارات الفرنسية التي أحسنت مد خيوطها، وزرع شبكتها عن طريق عملاء استوعبتهم ووظفتهم في عملية انجاز وإنجاح مؤامرة الزريق.

قبل الاسترسال في الحديث عن هذه العملية ، ينبغي لنا أن نقف عند طبيعتها، أهدافها، تداعياتها العنيفة والخطيرة على مسار وحركية الثورة بالولاية الثالثة من جهة، وعلى باقي الولايات الاخرى من جهة أخرى، فضلا عن رغبة فرنسا في كسر شوكة الثورة عبر مراحل مدروسة.

أ – طبيعة العملية ودوافعها:

تعد مؤامرة الزريق صورة بارزة من صور الحرب النفسية التي استطاعت أن تؤثر على استقرار الولاية الثالثة بشكل كبير، وتعود جذورها إلى نهاية سنة 1957 وبداية 1958 (المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية، 328)، كان ورائها العقيد "قودار"، فيما تولى تنفيذ العمل الميداني النقيب "ليجي".

أما أصل التسمية، فيعود إلى أولئك الموالون للجيش الفرنسي، الذين يرتدون بذلات زرقاء، ويقومون بمهمة التشويش على خلايا جبهة التحرير الوطني التي كانت تؤرق الجالية الاوروبية في العاصمة (Mekacher, S, 2006 : 61).

وفيما يخص طبيعتها والأساس الذي تقوم عليه، فيتمثل في العمل على تلغيم الولاية الثالثة، بزرع الشكوك في صفوف المجاهدين، فعندما يلقى القبض على احد المجاهدين ، ولا يستطيعون الايقاع به رغم التعذيب والاهانات، يأتي الكاتب العام ليجي الرأس المدبر لهذه العملية ليقول له بأن الثورة مليئة بالخونة ويعدد له اسماء مسؤولين "خانوا الثورة"، ويظهر له وثائق مزورة، وأدلة كاذبة، ثم يسمح له بالفرار لينقل الرسالة على حسن نية لمسؤوليه (عزي، 168).

لقد كانت تلك العملية الخطيرة تحديا كبيرا بالنسبة للعقيد اعميروش ورفاقه في مجلس الثورة، لأنها كانت طعما مفخخا تم التخطيط له بشكل يؤدي الى نتيجة حتمية وأكيدة لصالح الاجهزة الخاصة الفرنسية التي قامت باعداده (خيثر، 271)، كما تم ربط عملية الزريق بقضية المثقفين الذين التحقوا بالجبال أفواجا وجماعات بعد الاضراب العام الذي اعلنه الطلبة يوم 19 ماي 1956، عن الدراسة في الجامعات ، المعاهد والثانويات (بوعزيز، 169).

لجأت السلطات الفرنسي إلى اتباع هذه الاساليب ، وتطبيق المؤامرة في الولاية الثالثة لعدة اعتبارات:

1. رغبة الولاية العامة في رد الاعتبار للهزيمة النكراء التي تعرضت لها جراء عملية العصفور الازرق، والتي حولها نظام الثورة إلى عملية "العصفور الاخضر" (واعلي، 160).
2. محاول احداث القطيعة الجذرية بين الشعب والثورة من جهة، والعمل على زعزعة صف الثورة من الداخل، والنفاذ إلى حصن الثورة من خلال الاعتماد على خبراء الحرب النفسية (المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة اول نوفمبر 328) .
3. قوة نظام الثورة في الولاية الثالثة سنة 1958، إذ بلغ ذروته، لذلك اهتدت فرنسا إلى نمط جديد من غير المواجهة العسكرية المباشرة (واعلي، 348).
4. ادراك فرنسا لدور المثقفين الفعال في التنظيم ، لذلك عملت على استهدافهم والقضاء عليهم (بوعزيز ، 169).

ب – مراحل العملية:

هناك ثلاث مراحل يمكن عدّها أساسية في التمهيد لظهور المؤامرة، تمثلت الاولى في "مصطفي لاليام" الذي التحق بصفوف الثورة عن طريق تونس بعد اضراب الطلبة، وأوكلت له مهمة تنظيم الشؤون الصحية بالولاية الثالثة، وقد توطدت علاقته بطبيبة الاطفال "نفيسة حمود"، وتعاونا على العمل الطبي، لكن النقيب "احسن

محيوز" كان من أشد المعارضين لوجود النساء الاطباء، الطلبة المثقفين عامة في الثورة، حيث اعتبرهم عملاء (منشورات المركز الوطني، ص 331).

لعل ما زاد الضغط بالولاية هو مسألة زواج طبيب الاسنان "علي عمران" من "دانيال " الاوروبية التي التحقت بالثورة، وعلى نفس الخطى قام "لاليام" بطلب الاذن للزواج من "نفيسة"، هذا التصرف اغضب جنود جيش التحرير الوطني الذين لم يهضموا مثل هذه السلوكات التفضيلية والتمييزية في الوقت الذي يحكم فيه بالإعدام على كل جندي يتصل بامرأة (بوعزيز، 171).

في ظل هذا الجو المكهرب ، أصدر مجلس الولاية الثالثة بتاريخ 22 أكتوبر 1957، قرار يقضي بارسال كل النساء الموجودات بالجبال مع أزواجهن إلى تونس (المركز الوطني للبحث في الحركة الوطنية، ص 332).

أما المرحلة الثانية، فهي التي قادها النقيب "ليجي" بالتعاون مع "أحسن قندريش" أحد مساعدي ياسف سعدي، وقد وقع الاختيار عليه ليكون وسيط الاتصال بين الولاية الثالثة والجزائر العاصمة ، بغرض اعادة بعث وتفعيل حركة ونشاط العمل الفدائي بالعاصمة.

بعد نجاح عملية تسليم الاسلحة لمسبلي العاصمة الذين اختارهم قندريش العميل الذي اتفق يوم 14 اكتوبر 1957 مع احد مسؤولي الولاية الثالثة (بوعزيز، 178)، دبر ليجي عملية القاء القبض على الملازم الاول "حسين صالحي" ورفاقه منتصف شهر جانفي 1958 في ضواحي برج منايل (المنطقة الرابعة من الولاية الثالثة) (عزي، 158).

لما بلغ الخبر مسامع العقيد عميروش، أصدر أمرا بتحرير مقال عاجل في صحيفة "لومند" الفرنسية يعرض فيه تبادل اطلاق سراح الضابط صالحي مقابل اطلاق سراح الملازم الفرنسي "ديبو" الذي اسر إثر تدمير مركز الحوران بالمسيلة، لكن السلطات الفرنسية رفضت ذلك، حيث عمدت إلى اعدام صالحي خوفا من اكتشاف الثورة لأشياء خطيرة في عالم الزريق (واعلي، 164).

اثر التحريات التي قام بها مسؤولوا المنطقة الرابعة بالولاية الثالثة عن ظروف اعتقال الملازم صالحي ورفاقه، وصلوا إلى نتيجة مفادها وجود خيانة في صفوف جيش التحرير الوطني، توالت الاعتقالات وعمليات الاستنطاق مع التعذيب ، وتسارعت مع مرور الوقت من أجل انتزاع أكبر عدد ممكن من المعلومات (Mekacher, S, 65).

بينما المرحلة الثالثة من هذه المؤامرة، تتمثل في ظهور المناضلة "زهرة تاجر"ذات الـ 18 عام الملقبة بـ "روزا"، (من مواليد 1940 بالجزائر العاصمة، كانت تنشط ضمن خلية تابعة لجبهة التحرير الوطني ببلكور، اسندت لها مهمة خياطة الاعلام الوطنية، ألقي عليها القبض نهاية عام 1957، واصبحت لعبة في يد النقيب

ليجي)، والتي تتفق معظم المصادر والمراجع على أنها بمثابة السبب الرئيسي في اكتشاف المؤامرة (المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية، 333).

في هذا الصدد ، يروي لنا أحد الشهود على العملية وهو رشيد أجعود ، أنه تم العثور في احد المخابئ بدوار آيت يحي موسى على فتاتين قادمتين من العاصمة، الاولى تدعى روزا والثانية مليكة، وبحوزتهما توصية مزورة من مسؤولي منطقة الجزائر، تطالب من قيادة الثورة بالولاية الثالثة تجنيدهما ، كونهما محل بحث من طرف البوليس الفرنسي، طرح عليهما العقيد عميروش بعض الاسئلة حول نشاطاتهما في العاصمة، فصرحتا أنه بعد المشاركة في عمليات فدائية تم توقيفهما وسجنتا في سجن سركاجي ، إلا أنهما تمكنتا من الفرار، لكن عميروش لم يقتنع بهذه الرواية، فأحالهما للاستنطاق والاستجواب، و بعد يوم كامل من الاستنطاق ، اكتشف امرهما وأمر الاستعلامات الفرنسية، فكان ذلك عبارة عن عمل ثوري مضاد للجوسسة و التغلغل (شوقي، ع.ك، 175).

كان مصير روزا الاعدام ، واستمرت عملية الاستنطاق والتعذيب والاعدام، لم يستطيع المعارضون أن يفعلوا شيئا ، فتم على اثرها اعدام الكثير من المشبوهين وهم أبرياء (بوعزيز، 175)، وكان قطاع الصحة والاستعلامات أكثر القطاعات تأثرا وضررا من العملية، ومع ذلك لم تسلم القطاعات الاخرى ، إذ استمر النزيف إلى أن وصلت الأمور إلى درجة لا تطاق طالت كل الفئات، وكادت أن تجعل من الولاية الثالثة مقبرة (أمقران، ع.ح، 1998: 65).

انتقلت عملية الزريق إلى الولاية الرابعة، لكنها لم تستفحل كما استفحلت في الولاية الثالثة، أما مسؤولوا الولاية الثانية فلم يصدقوا اطلاقا بوجودها- على حد تعبير قائدها علي كافي – والذي اعتبرها مؤامرة مدبرة من طرف المخابرات الفرنسية، والذي نبه العقيد عميروش بضرورة الرجوع إلى لجنة التنسيق والتنفيذ تطبيقا لمقررات مؤتمر الصومام (كافي، ع، 1999: 196).

ج – تدابير الولاية الثالثة لمواجهة مؤامرة الزريق:

كان رد العقيد اعميروش منسجما مع صرامته الثورية، وأمام تفاقم الظاهرة أصدر عميروش تعليمات لتبني استراتيجية قائمة على عدة حبهات هي:

- تكوين محكمة عسكرية للنظر في ملفات الزريق.

- اصدار امر إلى قادة المناطق بإلقاء القبض على كل جندي قادم من العاصمة، والتحق بصفوف الثورة بعد أفريل 1957.

- مراقبة بريد الولاية الرابعة والتحقق من كل رسالة تصل إلى المقر باسم أي ضابط كان.

- لا يصدر أمر بتوقيف أحد، إلا إذا كان عدد الذين ذكروا اسمه ثلاثة فما فوق.

ـ لا يسلم المتهم المقبوض عليه إلى مركز الاستنطاق، إلا بعد مروره على لجنة الامتحان التي تقوم بمناقشته بالطرق السلمية، ومحاورته وجس نبضه (واعلي، 165 – 169).

ـ تعيين لجنة تحقيق واستنطاق، أوكلت له مهمة الاشراف عليها لمحند والحاج.

ـ تنبيه الولايات الاخرى، واطلاعها على حجم الظاهرة، ودعوتها للتنسيق والتشاور (أتومي، 320).

د – نهاية المؤامرة:

انتهت المؤامرة مع وصول الشهيد العقيد عبد الرحمان ميرة مارس 1959، الذي قام باطلاق سراح المعتقلين من عملية الزريق البالغ عددهم حوالي المائة، مما أوحى للبعض ان نهاية المؤامرة ارتبطت بنهاية عميروش (أتومي، 321).

غير أن البعض يمدد في تاريخ نهايتها إلى شهر جويلية من نفس العام، وذلك بربط تاريخ نهايتها بتاريخ بداية عملية المنظار بقيادة الجنرال شال، مما أدى بقيادة الولاية الثالثة تنشغل عن القضية بالتفكير في كيفية التصدي للعميلة، فأهملت المحاكمات والاستنطاقات، لأنها كانت بحاجة إلى مجهود كل رجل (شوقي، 183).

انقسمت الآراء بشأن هذه المؤامرة من حيث صحة وقوعها وضحاياها إلى قسمين:

ـ قسم ينكرون حقيقتها ويعتبرونها مجرد اشاعات، بثتها مصلحة الاستعلامات الفرنسية، لخلق البلبلة بين صفوف الثوار، وقسم ثان يعتبرونها عملية مفتعلة،

صرح الرائد أحمد فضال المدعو "سي حميمي" قائلا:" من أنكر وجود الزرق في صفوفنا آنذاك فهو أزرق"، ايده المجاهد عبد العزيز واعلي الذي ذكر أن 1400 مجاهد و 40000 مسبل أقروا بوجودها (واعلي، 379 – 380).

أما الذين يعتبرونها مفتعلة ، فإنهم أكدوا على أنها كانت موجهة لتصفية صفوف المثقفين بالولاية الثالثة ، والذين أحصوا عددهم حوالي 1800 مثقف، وهو رقم مبالغ فيه، فأي مستوى تعليمي تحصلوا عليه؟ وهل كانت منطقة القبائل تزخر بالجامعات والمعاهد العلمية التي شيدتها فرنسا الاستعمارية، وهناك رقم آخر تراوح بين 600 و 800 ضحية (شوقي، 183)، بينما علي كافي فقدر عدد الضحايا بحوالي 1800 بالولاية الثالثة و 500 من الولاية الرابعة (كافي، 124).

بينما المراجع الفرنسية، فقد أعطت ارقام خيالية تدعو إلى الشك تتراوح بين 3000 و 4000 ضحية، وامام تضارب الارقام ، قدم المؤرخ الفرنسي شارل روبير أجيرون أرقام تقريبية، اعتماد على التقارير التي كانت بحوزة العقيد عميروش عند استشهاده، على النحو التالي: الذين تمت محاكمتهم كمتهمين قدر عددهم بـ 543 متهم،

الذين تم الافراج عنهم 54 ، المحكومين عليهم بالاعدام 152، الذين هلكوا أثناء الاستجواب بلغ عددهم 336، ويبدو أن هذه الارقام الاقرب إلى الحقيقة برأي العديد من ضباط جيش التحرير الوطني الذين عاشوا الحدث، ولا زالوا على قيد الحياة (أتومي، 202).

لقد ادت عملية التطهير في الولاية الثالثة التي امتدت من صيف 1958 الى شتاء 1959 الى فقدان عدد كبير من اطاراتها، وافقدها ايضا استقرارها الداخلي الذي كان عنوانا لقوتها وتنظيمها، كما انها تزامنت مع فترة حرجة بشكل كبير بالنسبة للولايات التي فرضت عليها مواجهة عمليات شال الجهنمية، دون ان تصل اليها امدادات القيادة الخارجية التي عجزت عن ايجاد حلول عملية في مواجهة السدود المكهربة، وهو الامر الذي جعل الولاية الثالثة تقود جبهة داخلية عريضة في وجه الحكومة المؤقتة بعد اشهر قليلة من تأسيسها (خيثر، 272).

الخاتمة:

في ختام الكلام بودي ان ادرج مقتطفات من الرسالة التي وجهها كريم بلقاسم لروبير لاكوست عقب عملية العصفور الازرق، ومما جاء فيها : "...ظننتم بأن خلق وتسريب القوة ك هو عبارة عن حصان طروادة في كنف المقاومة الجزائرية، أنتم مخدوعون...، الذين كنتم تظنونهم خونة للوطن الجزائري هم في حقيقتهم مناضلون أوفياء لوطنهم، لم ولن يتوقف نضالهم من أجل استقلال بلادهم، وهم ضد الاستعمار، نحن نشكركم على دعمنا بالسلاح الذي نستخدمه لتحرير بلدنا..."، فقد أصيبت فرنسا كما قلت آنفا بضربة قاصمة في أجهزتها الاستخباراتية، حيث تبين مدى هشاشتها وسهولة اختراقها، بالمقابل أثبتت العملية بأن الانسان الجزائري لا يُشترى في قضاياه الوطنية، فعملت فرنسا لاحقا على الانتقام من منطقة القبائل عبر العملية الخطيرة التي عرفت بعملية الزريق والتي يمكن اعتبارها امتحان عسيرا اجتازته الولاية الثالثة، حيث سجلت فيه نتائج سلبية بالعودة إلى عدد الضحايا، ونتائج ايجابية في التصدي للحرب النفسية ووضع حد لشبكة العملاء والخونة، فعليه تغيرت الاساليب بالمنطقة وبالجزائر عامة.

بيبلوغرافيا البحث:

المصادر:

أتومي، جودي: **العقيد أعميروش بين الاسطورة والتاريخ**، دار ريم للنشر، بجاية، 2004.
أتومي، جودي: **أعميروش امام مفترق الطرق**، دار ريم للنشر، بجاية ، 2008.
أتومي، جودي: **وقائع سنين الحرب في الولاية الثالثة 1956 – 1962**، دار ريم للنشر، بجاية، 2012.
أجعود، رشيد: **الشاهد الاخير**، تر بوحبيب، حميد، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2002.
أزواوي، اعمر: **جومال الطوفان ببلاد القبائل**، دار الامل للطباعة والنشر، الجزائر، 2013.
أمقران، عبد الحفيظ الحسني: **مذكرات من مسيرة النضال**، دار الامة، الجزائر، 1998.
عزي، عبد المجيد: **مسيرة كفاح في جيش التحرير الوطني، الولاية الثالثة**، دار الجزائر للكتاب، الجزائر، 2001.

الصديق، محمد الصالح: **عملية العصفور الازرق**، منشورات دحلب، الجزائر، 1990.

الصديق، محمد الصالح: **رحلة في اعماق الثورة**، مع العقيد اعزوران محمد (فريروش)، دار هومة للطباعة والنشر، الجزائر، 2002.

كافي، علي: **من المناضل السياسي الى القائد العسكري 1946 – 1962**، دار القصبة، الجزائر، 1999.

واعلي، عبد العزيز: **احداث ووقائع في تاريخ الثورة التحريرية بالولاية الثالثة**، دار الكتاب للنشر، الجزائر، 2011.

Lacoste- du jardin, Camille : **operation oiseau bleu,** ed la decouverte, paris, 1997.

Mekacher, Salah : **la guerre de liberation national aux P.C de la wilaya trois, dee 1957 – 1962**, 2eme ed, ed dar el amel, 2006

المراجع:

بوعزيز، يحي: **الثورة في الولاية الثالثة، اول نوفمبر 1954 – 19 مارس 1962**، دار الامة للنشر، الجزائر، 2004.

شوقي، عبد الكريم: **دور العقيد اعميروش في الثورة التحريرية 1954 – 1962**، دار هومة، الجزائر، 2004.

منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة اول نوفمبر 1954: **استراتيجية العدو الفرنسي لتصفية الثورة الجزائرية**، دار هومة، الجزائر، 2007.

–الرسائل الجامعية:

خيثر، عبد النور: **تطور الهيئات القيادية للثورة التحريرية,1954–1962**,اطروحة لنيل شهادة الدكتورة في التاريخ المعاصر ,قسم التاريخ ,جامعة الجزائر,2005–2006.

تاريخ الاستلام: 2016/08/07 -تاريخ التحكيم: 2016/10/26 -تاريخ النشر2016/12/30

النشاط العلمي والثقافي للزاوية التجانية بقمار، خلال القرنين19و20م.

أ.عقبة السعيد

جامعة الشهيد حمة لخضر بالوادي (الجزائر)

❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁

ملخص:

تناولت الدراسة الدور العلمي والثقافي للزاوية التجانية بقمار، التي تعتبر أول زاوية في تاريخ الطريقة التجانية حيث تأسست سنة1204هـ/1789م، وسنتطرق من خلال هذه الدراسة للنشاط الفكري والثقافي الذي قامت به هذه الزاوية والمتمثل في الحفاظ على القيم العلمية والحضارية للمجتمع، والاعتناء بالتعليم بمختلف مراحله والتركيز على تعليم القرءان الكريم، والاهتمام بمختلف العلوم الشرعية واللغوية، فكانت مركزاً مهماً من مراكز الإشعاع الثقافي في الجزائر وخارجها.

الكلمات المفتاحية:الزاوية التجانية، التعليم القرءاني، الكتاتيب، النشاط الثقافي، الرحلة العلمية، العلوم الدينية واللغوية.

Abstract:

This article examines the scientific and cultural roles of ZAOUIA TIDJANIA in Guemar, Which is the first Zaouïa in the history of the way in1204 h / 1789, And we will try through this study to identify the leading roles and stature it is to maintain the values of the Islamic community, it's interest in various kinds of education, Zaouïa Tidjania focused on teaching the Koran And various care of forensic science and Arabic linguistics It was the focus of attention of the Algerian science centers and it was known by it's scientific and intellectual activity in Algeria and outside Algeria.

مقدمة:

إن المتأمل لدور الزوايا قديما وحديثا، والباحث المنصف في تاريخها لا يسعه إلا الاعتراف بدورها الريادي في النهضة العلمية والحضارية والمحافظة على قيمنا الإسلامية إبان الاحتلال الفرنسي، حيث كان و لا يزال لهاته الزوايا رسالة سامية، وعمل نيل تمثل في المحافظة على الإسلام و تعاليمه، وذلك بالتركيز على تعليم القرآن الكريم، و العناية بشتى العلوم الشرعية واللغوية.

ولم تكتف الزوايا بالاهتمام بهذا الجانب، بل تعداه إلى الجوانب الاجتماعية حيث أصبحت مقصد عابري السبيل و دار القضاء التي يُفصل فيها النزاعات، و مقصد الأعمال الخيرية التي تعتني بالشؤون العامة للمجتمع، حيث أدّت دورا دينيا وتعليميا واجتماعيا متكاملا.

أولا: التعريف بالزاوية التجانية بقمار:

يعود تأسيس الزاوية التجانية بقمار إلى سنة 1204هـ/ 1789م، و قد تم تأسيسها على يد مقدم الطريقة السيد محمد الساسي القماري(سكيرج،أ.2014: 595)، وذلك بأمر من مؤسس الطريقة التجانية الشيخ سيدي أحمد التجاني(الحجوجي،م:03).

وتعد الزاوية التجانية بقمار أول زاوية في تاريخ الطريقة التجانية، حيث بنيت على القواعد التي خطها سيدي محمود التونسي9م x9م أي بمساحة81م^2، حيث تؤدى فيها الصلوات الخمس والأذكار الجماعية وقراءة القرآن الكريم.

وقد شهدت الزاوية التجانية بقمار توسيعات كبيرة ومتعددة، بفضل أبناء الخليفة الشيخ سيدي الحاج علي التماسيني(ابن المطماطية،م:01) والتي اسْتَهلّهَا نجله الشيخ محمد العيد الأول (1815-1875م) (غريسي،ع.2013: 13) الذي قام بالتوسعة الأولى للزاوية، وذلك بتأسيسه لمسجد الزاوية المعروف «بمسجد سيدي أحمد عمار»، و بجانبه المقر الاجتماعي في طابق علوي هو الأول من نوعه في منطقة سوف (Tijaniya,T.2008:22)، ثم توالت التوسيعات بالزاوية بعد ذلك والتي قام بها كل من الشيخ محمد حمة (1844-1912م)(الحجوجي،م.2013: 2257) الخليفة الرابع للإمام التماسيني، والذي أسس مقراً جديداً للزاوية مدخله الدار الخضراء، و قام ابن عمّه محمد العروسي بن الشيخ محمد الصغير (1852-1920م) (الحجوجي،م.2013: 2256) بتأسيس مجمعاً عمرانياً لاستقبال الضيوف زينه بقبة هرمية الشكل، وبالعديد من الزخارف و النقوش البديعة والملونة، أما أخاه محمد العيد(1865-1921م) فقام هو الآخر بتشييد منزل كبير مخصص للتدريس بجانب المجمع الذي أنجزه أخوه محمد العروسي والذي يعرف «بحوش أسيادنا».

وفيما يتعلق بالدور الاجتماعي للزاوية، فقد ساهمت الزاوية التجانية بقمار في الحفاظ على النسيج الاجتماعي في المنطقة وذلك من خلال التكافل الاجتماعي، فالزاوية كانت تفتح أبوابها للمحتاجين والفقراء و عابري السبيل خاصة في أوقات الأزمات وفي الأعياد والمناسبات المختلفة.

كما ساهمت الزاوية التجانية بقمار في نشر روح التسامح و التراحم بين الناس عملا بالكتاب والسنة، ووصايا مؤسس الطريقة الشيخ أحمد التجاني و خليفته الشيخ الحاج علي التماسيني، وإصلاح ذات البين وحل الخصومات والنزاعات بين الناس(التجاني،ص.2015: 73).

وما تزال الزاوية التجانية بقمار اليوم محافظة على نشاطها، فهي تحتوي على مدرسة قرآنية تعتني بتحفيظ القرآن الكريم وتؤدى فيها الصلوات الخمس، وصلاة القيام في شهر رمضان المبارك، وما زالت منذ نشأتها محافظة على حلقات الذكر المعروفة في الطريقة التجانية (الوظيفة و الهيللة)، والقراءة الجماعية للقرآن الكريم كما تلقى بها دروس دينية في علوم الشريعة والتصوف، كما تحيي الزاوية التجانية بقمار المناسبات الدينية كالمولد النبوي الشريف على صاحبه أفضل الصلاة والسلام، وليلة القدر وذكرى الإسراء و المعراج، حيث تلقى فيها القصائد الدينية التي تحث على حب رسول الله صلى الله عليه وسلم وآل بيته وصحابته رضي الله عنهم أجمعين، كما تبرم فيها مراسيم الزواج، فهي بذلك تشكل معلما من المعالم الدينية و الثقافية والاجتماعية في الجزائر(عقبة،س.2012: 150).

ثانيا– عوامل نمو الحركة الفكرية بالزاوية التجانية بقمار:

عُرفت الزاوية التجانية بقمار بنشاطها العلمي و الثقافي، فكانت مركزا مهما من المراكز الثقافية المنتشرة بالمنطقة، وقد بلغ نشاطها العلمي و الفكري شهرة واسعة في الجزائر و خارجها خاصة في البلدان المجاورة كتونس و المغرب الأقصى و غيرها من البلدان، و تعود هذه الشهرة والتفوق إلى مجموعة من العوامل نوجزها فيما يلي:

أ- عناية شيوخ الطريقة بالعلم و العلماء:

لقد حث الإسلام الحنيف على العلم و التعلم، فكانت أول الكلمات التي نزل بها القرآن الكريم﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (1) خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ (2) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ (3) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (4) عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ (5)﴾(العلق:01-05)، وكان سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يحث على الاهتمام بالعلم و السعي في طلبه بقوله صلى الله عليه وسلم: « طَلَبُ العِلْمِ فَرِيْضَةٌ عَلَىْ كُلِّ مُسْلِمٍ»(الهيثمي،أ:119)، ومن هذا المنطلق كان اهتمام شيوخ و رجال الطريقة بالعلم كبيرا، حيث كان مؤسس الطريقة الشيخ أحمد التجاني يوصي بالعلم ويحث عليه، وكان يأمر أصحابه بتحفيظ أبنائهم ما تيسر من القرآن الكريم وتعليمهم الكتابة و القراءة(السفياني،م:96)، كما كان الشيخ أحمد التجاني نفسه من أكابر العلماء فقد حفظ القرآن الكريم حفظا جيدا و عمره سبع سنوات، ثم توجه إلى دراسة العلوم الشرعية و اللغوية والنقلية،حتى أصبح من أكابر العلماء المدرّسين(سكيرج،أ.2014: 08)، وكان خليفته من بعده الشيخ الحاج علي التماسيني حريصا على العلم و أهله، فكانت له إرادة كبيرة ورغبة شديدة في سبيل الارتقاء بالحركة العلمية، وذلك من خلال مقولته الشهيرة: « اللويحة و المسيحة و السبيحة » والتي يعني بها العلم، والعمل، والعبادة، كما قام الشيخ الحاج علي التماسيني بتأسيس مدرسة قرآنية بتماسين تعنى بتدريس القرآن الكريم وعلوم الشريعة من فقه وحديث وتفسير وعلوم اللغة العربية وغيرها من العلوم(التجاني،ص.2015: 73).

وكان لشيوخ الطريقة اهتمام خاص بالعلم وأهله، سواء في زاوية قمار أو في تماسين و عين ماضي حيث قربوا العلماء والفقهاء والأدباء من جميع المناطق، فكانوا يجلسون إليهم ويحضرون مجالسهم العلمية ويدعمونهم بكل ما يحتاجونه(التجاني،ص.2015: 69).

وقد كان شيوخ الزاوية يشجعون هؤلاء العلماء على الاجتهاد في التدريس، وتنشيط الحركة العلمية و الفكرية بل كانوا يشرفون على مجالس الدروس والحلقات العلمية ويشاركون في التدريس كالشيخ محمد حمَّة (1844-1912) الذي كانت له دروس في الفقه بزاوية قمار، وابنه الشيخ محمد البشير(1861-1918) الذي كان يشارك هو أيضا بالتدريس بالزاوية (غريسي، ع.2013: 41).

ولم يقتصر الأمر على تقريب العلماء وتبجيلهم واحترامهم، بل خصصوا لهم الرواتب ليسترزقوا منها وتعاهدوا طلبة العلم بالهدايا تشجيعا لهم وإعلاءً لمنزلتهم فهذا الشيخ سيدي الحاج علي التماسيني يهدي غابة من النخيل لحفيده سيدي محمود إكراماً له على حفظه القرآن الكريم برواياته السبع.

كما قام خلفاء الزاوية باستدعاء العديد من الفقهاء و المحدثين والأدباء الذين ذاع صيتهم وعلا شأنهم العلمي من مختلف الأقطار بغرض التدريس وتكوين الطلبة كالرحالة المغربي الشيخ السعيد الدوكالي(Tijaniya,T.2008:25) الذي ساهم في التدريس بزاويتي قمار و تماسين، والشيخ عثمان النفطي(Tijaniya,T.2008:26) وغيرهم من العلماء و الفقهاء.

ب: الرحلة العلمية:

كان الاهتمام بالرحلة العلمية وما تشكله من قيمة كبيرة في التحصيل و التكوين كبيرا، فكان الإقبال على الارتحال والتنقل بين الحواضر والمدن رغبة في طلب العلم و طلبا للاستزادة الفكرية أمران مهمان، حيث عُدت الرحلات العلمية من أهم خصوصيات الثقافة العربية الإسلامية (حوالة،ي.2000: 212).

كما كان للدين دور كبير في الحث على طلب العلم و الرحلة في التحصيل العلمي، فالقرآن الكريم اهتم بهذا الشأن كقوله تعالى:﴿ وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ (التوبة:122)، كما حثت الأحاديث النبوية على طلب العلم والتنقل في سبيله مثل قوله صلى الله عليه وسلم:« مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللهُ لَهُ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ» (مسلم،ن: 1242).

لقد شهدت الزاوية التجانية بقمار توافد الكثير من العلماء من مختلف الأقطار، كما شد طلاب العلم من أبناء الزاوية بقمار و تماسين رحالهم إلى مختلف الحواضر العلمية خاصة إلى المعهد الزيتوني بالجمهورية التونسية، حيث أبلى هؤلاء الطلبة البلاء الحسن في سبيل التحصيل العلمي فتزودوا بمختلف العلوم وتمكنوا من العودة إلى بلادهم بالعديد من المصنفات في مختلف التخصصات العلمية (اللولب،ح.2013: 413).

وكانت فرص أداء منسك الحج تتيح للعلماء فرصة التلاقي والتحاور و التلاقح الفكري، ودعم الروابط العلمية و الثقافية بين علماء المغرب و المشرق، فهذا الخليفة الرابع للإمام التماسيني وأحد المدرسين البارزين بزاوية قمار الشيخ محمد حمَّة التجاني(1844هـ-1912م) لما حج مع والده سنة (1283هـ/ 1866م) التقى بمفتي الديار المصرية آنذاك الشيخ عليش(الزركلي،خ.1980: 19) فتدارس معه في العلوم الدينية وأجازه في متن خليل و موطأ الإمام مالك بن أنس(غريسي، ع.2013: 33).

كما كان العلماء يتعاهدون بعضهم البعض بالمكاتبات و المراسلات الإخوانية وحتى المراسلات الفقهية عندما يحتاجون لآراء بعضهم البعض خاصة في المسائل الفقهية، كالمكاتبات و المراسلات التي كانت بين العلامة التونسي إبراهيم الرياحي (ت1266هـ/1849م) (العلوي،أ.2014: 37)، والعلامة الفقيه لخضر بن أحمد حمانة القماري (التليلي،م: 100)، والتي ذكر بعضاً منها عمر بن محمد الرياحي في كتابه تعطير النواحي(الرياحي، ع.1902: 152).

كما كانت بين الشاعرين الأديبين محمد الصالح بن الخوصى(التليلي،م: 86)، والشاعر محمد بن البُرِّية (التليلي،م: 80) وهما من المُدرّسَيْن بالزاوية التجانية بقمار الكثير من المراسلات الأدبية و الشعرية.

ج- التعليم بالزاوية التجانية: أنواعه، مراحله، طرقه و مناهجه:

يعتبر التعليم من العوامل المهمة لنمو الحركة العلمية والفكرية ولدفع عجلة التطور والتقدم للمجتمعات وترقيتها سلوكيا و حضاريا.

وتمثل الزاوية التجانية بقمار إحدى المراكز المهمة التي ازدهرت فيها حركة التعليم بجميع أنواعه وأشكاله، مما انعكس إيجابا على المجتمع بصفة عامة وعلى الحركة الثقافية و الفكرية بصفة خاصة.

وقد عرفت الزاوية التجانية بقمار نوعين من التعليم هما: التعليم العام، والتعليم الموجه إلى النشأ أو التعليم القرآني.

01-التعليم العام(الشعبي):

وهذا النوع من التعليم تتجلى أبرز مظاهره في التعريف بأركان الإسلام وترشيد العامة وتذكيرهم، وتعليمهم المبادئ الأولى للدين وتبيين الحلال و الحرام من أموره، وذلك بالتركيز على تدريس الفقه والحديث النبوي الشريف والتفسير، وتطور هذا النوع من التعليم بمرور الوقت حيث أضاف المعلمون والمدرسون مواد أخرى كعلم التصوف وأصول الدين والسيرة النبوية، وكانت هذه الدروس تقام في المسجد(مسجد الزاوية)، وفي عدد من الأماكن الأخرى كالحوش الشرقي و الدار الخضراء وحوش أسيادنا، وكان يقوم بهذه المهمة النبيلة مجموعة من الفقهاء والعلماء والأدباء من أبناء الزاوية وعلمائها، كالخليفة الشيخ محمد حمه (1844-1912) وابنه الخليفة الشيخ محمد البشير(1861-1918)، الشيخ محمد العروسي وأخوه محمد العيد، و الحاج علي بالقيم القماري(التليلي،م: 97)، والشيخ محمد اللقاني بن السائح الطيباتي وغيرهم من العلماء والفقهاء.

02)- التعليم القرآني:

وهو التعليم الموجه إلى النشأ بهدف تعليمهم الكتابة و القراءة وتحفيظهم القرآن الكريم كاملا أو ما تيسر منه، بالإضافة إلى الإلمام بقواعد اللغة العربية وبعض مبادئ الشريعة، كتعليم الصلاة و الصوم مع شيء يسير من علوم اللغة والنحو و مبادئ الحساب، ويوضح ابن خلدون الفرق بين التعليمين بقوله: إذا كان هدف الأول أي التعليم الشعبي هو ترشيد العامة من الناس، والوصول بهم إلى درجة معينة من الفهم والعلم التي تؤهلهم إلى معرفة الأحكام الشرعية، وتمييز الحلال و الحرام من أمور الدين، فإن التعليم القرآني هو اللبنة الأولى من التعليم الاحترافي الذي هدفه تكوين جيل من الطلبة المتخصصين في العلوم، حيث كانوا يستمرون في مزاولة الدروس والتعمق فيها، وذلك بواسطة الرحلات العلمية والتنقل للاستزادة و لملاقاة العلماء و الفقهاء وكبار الشيوخ(ابن خلدون، ع:447).

وقد عرفت الزاوية التجانية بقمار هذا النوع من التعليم وذلك منذ نشأتها، فكان هذا النوع يقام في كتَّاب الزاوية أو الجامع أو ما يسمى اليوم بالمدرسة القرآنية، حيث تفتح هاته الأخيرة أبوابها مبكرا فتستقبل الطلبة مع طلوع الفجر(غنابزية، ع.2007: 73).

وأول ما يقوم به الطلبة هو كتابة ألواحهم، حيث يشرعون في تلاوتها وحفظها بعد تصحيحها من طرف المعلم، وذلك بأصوات مسموعة، وكان الطلبة في المدرسة أو الكتاب يقسمون إلى قسمين أو مجموعتين:

– المستوى الأول:

ويضم التلاميذ الصغار حيث يتم تلقينهم وتحفيظهم الحروف الهجائية العربية، ويشرف على هذه المجموعة المعلم بنفسه أو يختار لهم مساعدا من تلاميذه النجباء(غنابزية، ع.2007: 75).

كما يتعلم الصبية في هذا المستوى حركات الحروف، مثل الفتحة والضمة والكسرة والسكون، وبعد إتقان هذه الأحرف الأبجدية يتوجهون إلى تعلم الحفظ، حيث يبدؤون بسورة الفاتحة وما يليها من قصار السور، حتى يتعودون على القراءة و يتدربون على الكتابة والحفظ، وحينئذ ينتقلون إلى المستوى الثاني(الأهواني،أ.1983: 58).

– المستوى الثاني:

ويضم هذا المستوى الأطفال أو التلاميذ الكبار والذين تتوفر فيهم بعض الشروط كالقدرة على الحفظ، والكتابة الصحيحة من دون أخطاء، فيتجمعون في شكل حلقة يتصدرها المعلم، حيث يبدأ هذا الأخير الإملاء على جميع الطلبة من اليمين بالتدريج والترتيب رغم اختلاف السور، فيقول التلميذ مثلا: « قُل لِّمَن مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ» فيملي عليه المعلم قائلا: « قُل لِلَّهِ كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لاَ رَيْبَ فِيهِ الَّذِينَ خَسِرُواْ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ» (الأنعام:12)، ويستمر المعلم في عملية الإملاء وتلقين الطلبة في تناسق عجيب وتفاني كبير ويقوم المعلم بتصحيح أخطاء الكتابة والنطق ثم تبدأ عملية الحفظ صباحا ومساءً (الأهواني،أ.1983: 64).

أما فيما يخص أدوات التعليم التي يستعملها الطلبة في الكُتَّاب فهي:

-**اللوح**: ويكون من الخشب وأحسنه الذي يتخذ من شجر الزيتون وهو أهم أدوات الكتابة.

-**الطين**: وهو المادة التي يمحى بها حبر اللوح (الصمغ) بعد حفظ ما فيه من القرآن الكريم.

– **الدواة و القلم**: ويكون القلم من القصب أما الدواة فتكون من الصمغ الذي يحرق ويوضع في دواة ومعه شيء من الصوف والماء حتى يصبح صالحا للكتابة.

-**المصحف**:وهو نسخة من القرآن الكريم يراجع فيه الطالب ما حفظه من القرآن (غنابزية، ع.2007: 73).

ويدعى معلم القرآن بالطالب لأنه يطلب الأجر من الله عز وجل، ويختار المعلم لحفظه الجيد للقرآن الكريم ولصلاحه حيث يلقى معلم القرآن كل أنواع الاحترام و التقدير(غنابزية، ع.2007: 73).

وقد عرفت الزاوية التجانية بثمار منذ نشأتها الكثير من معلمي القرآن ومدرسيه الذين تعاقبوا على تدريس القرآن الكريم وتحفيظه للأجيال، فكان من أوائلهم سيدي عبد الله بدَّة الذي كان من أشهر مدرسي القرآن الكريم بمدينة ثمار، حيث كان يقوم بهذه المهمة النبيلة بجامع الطلبة، ومن أشهر المدرسين للقرآن الكريم أيضا بالزاوية العالم الجليل سي إبراهيم زغودة (1845-1930م) (العقون،ت.2013: 18) الذي كرس حياته في خدمة كتاب الله بالزاوية، ومنهم أيضا الطالب سي أحمد بسا(1877-1955م) (العقون،ت.2013: 424) الذي حفظ على يديه الكثير من أبناء المنطقة القرآن الكريم، من أبرزهم الخليفة الشيخ أحمد التجاني التماسيني(غريسي، ع.2013: 55)، ومنهم أيضا الطالب البركة سي الطاهر بسا (1902-1990) (العقون،ت.2013: 140) الذي تخرج على يديه الكثير من حفظة كتاب الله وذلك بالزاوية التجانية بثمار، نذكر من أبرزهم الخليفة الشيخ محمد البشير بن الشيخ محمد العيد التجاني التماسيني (غريسي، ع.2013: 75).

اهتم معلمو وأساتذة الزاوية التجانية بطرق ومناهج التعليم، حيث كان الاهتمام مُنصباً على مبادئ التربية وأدبياتها، فتدريس القرآن الكريم على سبيل المثال اختلفت الكثير من الأقطار الإسلامية في كيفية تدريسه للصبيان، إلا أن الزاوية بقيت محافظة على طريقة أهل المغرب العربي في تدريسه، لأن القرآن الكريم أصل التعليم الذي ينبني عليه ما يحصل من الملكات، وهذا ما يؤكده ابن خلدون حين يقول:« إعلم أن أهل المغرب يقتصرون على تعليم القرآن فقط، و ما يتعلق به من مسائل ولا يخلطونه بغيره من العلوم، كالحديث والفقه والشعر، أما أهل افريقية فيخلطون تعليم القرآن بالعلوم الأخرى فطريقتهم أقرب إلى طريقة أهل الأندلس » (ابن خلدون، ع: 594).

وحافظ علماء الزاوية على المناهج المتبعة في التدريس، كالتدرج في تلقين العلوم الذي يعد عاملا مهما من عوامل التحصيل العلمي، كما كان علماء الزاوية يراعون درجة الاستيعاب عند طلبتهم أثناء إلقاء دروسهم كل حسب طاقته، فلا يخلطون مسائل التعليم بعضها ببعض حتى لا يقع التشويش على الطلبة، وكان المعلمون يراعون التقاليد المتبعة في إلقاء الدروس، فكانوا يفتتحون دروسهم بالبسملة و الحمدلة، والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم وكلما ورد ذكر النبي صلى الله عليه وسلم قاموا بالصلاة والسلام عليه (ابن خلدون، ع: 589).

أما طرق التدريس فقد تعددت بالزاوية التجانية بثمار، من أستاذ لآخر فكان لكل فقيه أو عالم طريقته الخاصة في تقديم المادة العلمية وفي إلقاء دروسه، حيث عرفت الزاوية طريقتان أساسيتان من طرق التدريس:

- الطريقة الأولى:

وهي الطريقة التقليدية، التي تعتمد على التلقين أو ما يسمى بالرواية الشفوية، وهذه الطريقة نجدها عند معلمي القرآن وعلماء الشريعة، كالفقه والتفسير والحديث النبوي الشريف، حيث تعتمد هذه الطريقة اعتمادا كبيرا على الحفظ و التقييد، ومن علماء الزاوية الذين سلكوا هذه الطريقة ودرسوا بها واعتمدوها كمنهج من مناهج التعليم الفقيه لخضر بن أحمد حمانة القماري، و الفقيه المدرس أحمد دغمان القماري الذي كان يعد من أشهر فقهاء المذهب المالكي بوادي سوف، وغيرهم من الفقهاء والعلماء الذين اعتمدوا هذا الأسلوب في تدريسهم (ابن خلدون، ع: 589).

- الطريقة الثانية:

وتعتمد هذه الطريقة على الإلقاء مع الشرح و المحاورة، حيث يتولى المدرس أو الفقيه شرح هذه الدروس وتبسيطها للطلبة وقد ساهمت هذه الطريقة في التعليم والتي عرفتها الزاوية التجانية بڤمار من خلال الكثير من المدرسين الذين اعتمدوها في تطوير مناهج التدريس والرقي بالحركة العلمية والفكرية، ومن بين العلماء الذين اشتهروا بهذه الطريقة في التعليم واتخذوها منهجا في تدريسهم، العلامة اللقاني بن السائح الطيباتي(1886-1970) (الزاهري،م.1926: 30) الذي كان مدرسا للعديد من العلوم كالفقه والتفسير والحديث النبوي الشريف والتاريخ، وذلك بالزاوية التجانية بڤمار و تماسين، حيث كان منهجه في التعليم يعتمد على التجديد من خلال الاعتماد على الحوار والمناقشة، وقد أثنى الخليفة الشيخ سيدي أحمد التجاني التماسيني (1898-1978) كثيرا على أسلوب الشيخ اللقاني في التدريس وعلى أسلوبه التعليمي الجيد ومهاراته في تلقين العلوم النقلية و العقلية، حيث عده من العلماء الذين طوروا طرق و مناهج التدريس، كما كلف الشيخ أحمد التجاني التماسيني العلّامة الصادق التجاني بمواصلة التدريس والتعليم بمنهجية الشيخ اللقاني (Tijaniya,T.2008:26).

ويجب على الأستاذ أو المعلم أن تتوفر فيه بعض الشروط المهمة، كأن يكون وافر العلم مطلعا على أمهات الكتب والمؤلفات، قادرا على العطاء والحفظ والتثبت والصدق والإنصاف، فمن هذا المنطلق حرص شيوخ الزاوية التجانية على انتقاء أحسن وأجود الأساتذة والفقهاء للتدريس، كالفقيه الشيخ أحمد بن دغمان القماري (التليلي،م: 76) الذي كان مدرسا بمدينة الكاف بالجمهورية التونسية ، فرجع إلى ڤمار بدعوة من الزاوية التجانية ليتولى التدريس وخطة القضاء، وعلى يديه تخرج الكثير من علماء وفقهاء المنطقة (التليلي،م: 76).

كما كان الكثير من الفقهاء والعلماء الأجانب يحطون رحالهم بزاوية ڤمار بغرض التدريس و المشاركة في تنشيط الحركة الثقافية بالزاوية، وعلى سبيل المثال نذكر منهم الشيخ سعيد الدوكالي المغربي، والشيخ مناشو التونسي والفقيه عثمان النفطي التونسي(Tijaniya,T.2008:26).

ثالثا-الإنتاج الفكري لعلماء الزاوية بڤمار:

حرص شيوخ الزاوية وعلمائها على النهوض بالحركة الفكرية والعلمية بالزاوية، ولهذا الغرض سخر علماء وفقهاء الزاوية كامل طاقاتهم واهتمامهم في سبيل تحقيق هذا الغرض، خاصة إذا علمنا أن أغلب هؤلاء العلماء أخذوا على عاتقهم مشقة التعليم والتفقيه والترشيد، ويمكن حصر النشاط العلمي و الفكري بالزاوية في النقاط الرئيسية الثلاثة الآتية:

01- العلوم الشرعية:

لقد كانت العلوم الشرعية في مقدمة العلوم و الموضوعات التي كان لها النصيب الأكبر من الاهتمام بالزاوية التجانية بڤمار، وتشمل العلوم الشرعية الفقه والتفسير وعلم القراءات القرآنية والحديث النبوي الشريف، حيث كانت جميع هذه العلوم تدرس بالزاوية، فالقسم الأكبر من علماء الزاوية كانوا من جملة شيوخ العلوم الشرعية وقد تصدروا للتدريس والإقراء كالشيخ المفتي العلامة لخضر بن أحمد حمانة القماري، وسيدي لخضر نجل سيدي الحاج علي التماسيني، وسيدي محمود حفيد سيدي الحاج علي التماسيني، و الفقيه الشيخ أحمد دغمان القماري الذي ترك الكثير من الفتاوى الفقهية التي تعبر عن آراءه السديدة ومستواه العلمي الراقي، كما قام هذا الأخير بنظم أبيات شرح فيها رموز متن الشاطبية في علم القراءات (الشاطبي،ق.2010: 01)يقول فيها:

بدأت باسم الله صليت ثانيا على المصطفى والآل أيضا وصحبهم
وها هي أبيات تكلفت نظمها ليعرف منها المرء رمز بدورهم
سألتك يا الله يا خير سامع فكن لي معينا في سباحة بحرهم(سعد الله، أ.2014: 284)

ونظم الفقيه أحمد دغمان أحكام البسملة في متن يقول في بعض أبياته:

الحمد لله العظيم المنن هادي الورى إلى الطريق الأحسن
المنزل القرآن بالأحكام على لسان سيد الأنام
وبعد فاعلم أن حكم البسملة قد وردت فيه نصوص مجملة

وختمها بقوله:

فهذه منظومة للبسملة ذكرت فيها حكمها للنَقَلة
كتبتها محتسبا لله وخادما شرع رسول الله
ومن يسل عني فإني أحمد لقب دُغمان الدعاء يقصد(سعد الله، أ.2014: 91)

والخليفة الشيخ سيدي محمد حمه الذي كان من أبرز مدرسي الفقه المالكي بالزاوية، وغيرهم من العلماء والفقهاء والصلحاء الذين لا يمكن ذكرهم جميعا لكثرتهم.

02 – علوم اللغة العربية:

حظيت علوم اللغة العربية بعناية كبيرة بالزاوية التجانية بقمار لما لها من صلة بعلوم الشريعة، فالنحو والصرف والشعر و البلاغة والعروض كلها تساعد على فهم العلوم الشرعية وتوضيح مقاصد الشريعة، وهذا ما يقوي صلة العلوم الشرعية باللغة العربية ويؤكد الارتباط الكبير بينهما،وقد أحاط علماء الزاوية التجانية بقمار علوم اللغة العربية وآدابها إحاطة تامة ورعوها رعاية خاصة، من حيث التدريس والتأليف والإنتاج الأدبي وقد اشتهر بالزاوية الكثير من الأدباء و الشعراء نذكر منهم على سبيل المثال:

الشاعر الأديب محمد الصالح بن الخوصى (ت1346هـ/ 1927م) (التليلي،م:86) الذي ترك الكثير من القصائد، منها قصيدة يمدح فيها شيخ الطريقة التجانية سيدي أحمد التجاني يقول في بعض أبياتها:

أهدي سلاما مكرراً مدى الزمان يدور

وما نبتت نجوم من الليالي تسير

وما تلألأ شمس ولاح بدر منير

إن رمت فوزا بصدق وَيَنْأَ عنك العسير

فاقصد جناب التجاني غوث همام شهير

فالله أعطاه قدرا جلّ الكريم القدير(سعد الله، أ.2014: 302)

ومنهم أيضا الفقيه الشاعر محمد بن بلقاسم الزبيري الشهير بسي محمد البُرية (1874-1949م) الذي قضى عمره ناشرا للعلم بزاويتي قمار و تماسين، وكانت له مراسلات أدبية و فقهية مع العديد من العلماء والفقهاء بتونس، خصوصا مفتي الديار التونسية الشيخ البشير النيفر(ابن القاضي،م.1940: 57)، من قصائده قصيدة نونية يمدح بها سيد الوجود صلى الله عليه وسلم يقول فيها:

أخفي الهوى وتذيعه أجفاني والشوق من ألم الجفا أفناني

ما العشق إلا الموت مر طعمه فاحذر أخي وقيت شر سناني

ما لم تكن في حب مَن مِن أجله شرف الدنيا كالمصطفى العدناني

صلى عليه الله جل جلاله ما غرد القمري على الأغصان

فهناك تحمد في التفاني في الهوى وتنل بها زلفى لدى الرحمان

وتنل شفاعة خير من وطئ الثرى عرب و عجم إنسهم و الجان (التليلي،م:85)

ومن الشعراء الذين امتازوا بشعرهم الرائق ونثرهم الفائق الشاعر الفقيه الشيخ محمد اللقاني بن السائح(ت1970م)، الذي درس بزاوية ڤمار وترك الكثير من الآثار الأدبية منها العديد من القصائد، كالقصيدة التي يحث فيها على طلب العلم والتزود بالمعرفة حيث يقول:

تعالوا إلى الدين القويم وهديه فإني أرى الإصلاح في سنة الهادي

تعالوا إلى العلم الصحيح فإنه يجدد في الأبناء نهضة بغداد

تعالوا إلى نشر المعارف بينكم وكونوا على حياضها خير وُراد

فليس بغير العلم تسعد أمة ولا بسوى الأخلاق تدرك أيادي (الزاهري،م.1926: 30)

ويقول في قصيدة أخرى يمدح فيها شيخ الطريقة التجانية بزاوية تماسين:

على الرحب يا من خامر العقل حبه فأسكره شرب المدامة في الحب

أزلتم على القلب المتيم ناره وألبسته ثوب المهابة و العجب

وكانت بكم أيامنا البيض روضة بها نجتني أحلى الثمار مع الصحب

أتيتم لإسعاد البرية فلتكن بكم أمة الإسلام مأمونة الرعب

عليك رضا الرحمن ما قال قائل أتى زمن الإسعاد يؤذن بالقرب

03-العلوم الاجتماعية و العقلية:

لم يقتصر نشاط العلماء بالزاوية التجانية بڤمار على العلوم الشرعية و اللغوية، بل تعداه إلى العلوم الاجتماعية والعقلية كالفرائض والحساب، والتاريخ والجغرافيا والمنطق، فأولوا عناية كبيرة لهذه العلوم، فجلسوا لتدريسها ونشرها بين طلبة المنطقة، وقاموا بشرح مصنفاتها والتعليق عليها وتبسيط محتواها حتى يسهل فهمها، خاصة إذا علمنا أن أكثر هذه العلوم تحتاج إلى التبسيط والشرح كعلم الفرائض و الحساب والمنطق.

خصائص النشاط الثقافي و الفكري بالزاوية التجانية بڤمار:

يتضح مما تقدم أن أبرز خصائص هذا النشاط الثقافي المتميز تمثل بالنقاط الآتية:

01- وجود كوكبة طيبة من العلماء بالزاوية: أسهمت إسهاما بارزاً في نشر النشاط الثقافي داخل الزاوية وبالمنطقة عموما، حيث تصدر عدد كبير من هؤلاء العلماء للتدريس و الإفتاء في مساجد سوف وزواياها المختلفة، فكانت مجالس العلم عامرة، وأسهم العلماء و الفقهاء في عقدها لتدريس العلوم المختلفة، فقاموا بدور عظيم في سبيل حفظ القيم الإسلامية وتمتين الصلات الثقافية.

02- مؤلفات علماء الزاوية: إلى جانب قيام علماء الزاوية التجانية بالتدريس، كان لهم نشاط متميز لا يقل أهمية عن التدريس والتأليف في مختلف العلوم والمعارف جريا على عادة علماء الأقطار والحواضر العلمية الإسلامية في تخليد أسمائهم بمؤلفات نافعة صنفوها فعرفوا بها، كالفقيه أحمد دغمان الذي ترك بعض المؤلفات منها: «الإجابة بحسم خلاف أسوأ السوأى في الكتابة» (نويهض، ع.1983: 142)، وكالعلامة الشيخ محمد العروسي الذي كتب بعض المصنفات منها: «الكناش» و «المخدرة»(العوامر،إ.2007: 416).

03- الوظائف الجليلة: لم يقتصر نشاط علماء الزاوية التجانية بقمار على التعليم ونشر المعرفة، بل مارس كثير منهم وظائف رفيعة ومناصب إدارية مهمة أدت خدمات جليلة لأبناء المنطقة، وكانت جزءً من النشاط العلمي والفكري الواسع لعلماء الزاوية، و هذا و إن دل على شيء فإنما يدل على مكانة علماء الزاوية ومستواهم العلمي الراقي الذي بوأهم لتولي هاته المناصب كالقضاء و الإفتاء و الإمامة، ومن هؤلاء العلامة لخضر بن أحمد حمانة الذي تولى الإفتاء، حيث كان أحد المفتين في وقته إضافة إلى تصدره لتدريس الفقه وأصوله، ومن علماء الزاوية الذين تولوا خطة القضاء نذكر منهم العلامة لخضر بن أحمد حمانة السالف الذكر، والعلامة الشيخ أحمد دغمان الذي تولى القضاء بقمار حوالي 14 سنة وفي الوادي نحو السنتين من (1876 إلى سنة 1878م) (سعد الله، أ.2014: 294).

الخاتمة:

لقد كانت هذه أهم آثار علماء الزاوية التجانية بقمار و فقهائها في الميدان الفكري والعلمي، حيث بذلوا مجهودات كبيرة في سبيل نشر مختلف العلوم الدينية و اللغوية، وإن كثرة المجالس العلمية و الفكرية، وغزارة تآليفهم ومشاركتهم في التدريس والتعليم لتدل دلالة واضحة على دورهم في سبيل الرقي بالمجتمع، وجعل الزاوية التجانية منارة وحاضرة من الحواضر العلمية.

المصادر والمراجع:

01-المخطوطات:

-ابن المطماطية،محمود.غرائب البراهين في مناقب صاحب تماسين(مخطوط).

-التليلي،محمد الطاهر.من تاريخ وادي سوف(مخطوط).

-الحجوجي،محمد.نخبة الإتحاف فيمن منحوا من الشيخ التجاني بجميل الأوصاف(مخطوط).

02-المصادر:

-ابن خلدون،عبد الرحمن.(دت).المقدمة (دط).بيروت:دار الجيل.

-الهيثمي،أبوبكر.(دت).مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (دط).بيروت:دار الكتاب العربي.

-الزركلي،خير الدين.(1980).الأعلام (ط05).بيروت:دار العلم للملايين.

-الحجوجي،محمد.(2014).إتحاف أهل المراتب العرفانية (ط01).الرباط:دار الأمان.

-مسلم،النيسابوري.(دت).الجامع الصحيح (دط).القاهرة:دار طيبة.

-سكيرج،أحمد.(2014).كشف الحجاب عمّن تلاقى مع الشيخ التجاني من الأصحاب (ط01).الرباط:دار الأمان.

-السفياني،محمد الطيب.(1969).الإفادة الأحمدية لمريد السعادة الأبدية (ط01).القاهرة:دار الطباعة المحمدية بالأزهر.

-العوامر،إبراهيم.(2007).الصروف في تاريخ الصحراء وسوف (ط01).الجزائر:مطبعة ثالة.

-العلوي،أحمد.(2014).روض شمائل أهل الحقيقة في التعريف بأكابر أهل الحقيقة (ط01).الرباط:دار الأمان.

-الرياحي،عمر.(1902).تعطير النواحي بترجمة سيدي إبراهيم الرياحي(ط01).تونس:مطبعة بكار وشركائه.

-الشاطبي،القاسم.(2010).متن الشاطبية (ط05).دمشق:دار الغوثاني للدراسات القرءانية.

-التجاني،الصادق.(2015).العرف الرياحيني في ترجمة سيدي الحاج علي التماسيني (ط01).الجزائر:المطبوعات الجميلة.

03-المراجع:

-الأهواني،أحمد فؤاد.(1983).التربية في الإسلام (دط).بيروت:دار المعارف.

-الزاهري،محمد الهادي.(1926).شعراء الجزائر في العصر الحاضر(ط01).تونس:المطبعة التونسية.

-حوالة،يوسف.(2000).الحياة العلمية في إفريقية (ط01).مكة المكرمة:جامعة أم القرى.

-اللولب،حسن حبيب.(2013).الطلبة الجزائريون في البلاد التونسية (ط01).الجزائر:دار سيدي الخير للكتاب.

-نويهض،عادل.(1983).معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام إلى العصر الحاضر(ط01).بيروت:مؤسسة نويهض للثقافة والتأليف.

-العقون،التجاني.(2013).أعلام من قمار بوادي سوف (ط01).الوادي:مطبعة سخري.

-غريسي،علي.(2013).أعلام وأختام (ط01).الوادي:مطبعة SIB كوينين.

04-الدوريات:

-ابن القاضي،محمد الشاذلي.(أكتوبر1940).التعريف بالشيخ محمد البشير النيفر.المجلة الزيتونية،(04)،57-60.

-سعد الله،أبو القاسم.(مارس،أفريل2004).فذلكة تاريخية عن منطقة سوف بالجزائر،لمحمد الطاهر التليلي.مجلة العرب،(07-08)،284-302.

-غنابزية،علي.(يناير2007).دراسة تاريخية لمناهج القرءان الكريم بين الماضي والحاضر،مجتمع وادي سوف نموذجاً.مجلة البحوث والدراسات(04)،67-84.

05-الملتقيات:

-عقبة،السعيد.(24،2012-25جانفي).الزاوية التجانية بتماسين ودورها الاجتماعي بالمنطقة خلال القرن19م.بحث مقدم في الملتقى الوطني الثاني حول الحياة الاجتماعية والاقتصادية في الجنوب الجزائري خلال القرنين18-19م، من خلال المصادر المحلية،جامعة الوادي،الجزائر.

06-المراجع الأجنبية:

-La Zaouia tijaniya,Temacine.(2008).Modernité et Continuité(Édition01).El oued: SIB Kouinine.

تاريخ الاستلام: 2016/03/15 -تاريخ التحكيم: 2016/11/23 -تاريخ النشر2016/12/30

دور المجتمع المزابي في الحراك الثقافي بالجنوب الجزائري

د.رضوان شافو

أ.محمد بوسعدة

جامعة الشهيد حمه لخضر بالوادي- (الجزائر)

ملخص:

تتناول هذه الدراسة دور المجتمع المزابي في التنشيط الثقافي في الجنوب الجزائري، حيث عرف المجتمع المزابي مثل باقي المجتمع الجزائري، نشاطا ثقافيا وفكريا معتبرا، فقد أنشأ المزابيون كتاتيب وحلقات علمية ومدارس، وبرز منهم مجموعة كبيرة من العلماء والمثقفين الكبار الذين تركوا آثارهم واضحة، دليلا على نشاطهم العلمي والفكري، وذلك من خلال ما قاموا به من تخريج لدفعات من الطلبة والتلاميذ وإنشاء المكتبات والقيام برحلات كثيرة، وقد أثمرت هذه الحركية الثقافية في إرسال بعثات من الطلبة إلى الحواضر العلمية خارج مزاب للاستزادة في العلوم والمعارف، الشيء الذي مكن منطقة مزاب من مضاهاة الحواضر الجزائرية الأخرى في مجال العلم والثقافة.

الكلمات المفتاحية: مزاب ،ميزاب ، الحياة الثقافية، الجنوب الجزائري ،المجتمع المزابي، غرداية

Abstract:

This study is about the role that the Mozabite society played in enhancing cultural movement in southern Algeria. The Mozabites were known for their significant cultural and intellectual activity. They founded schools from which many students graduated. Some of them continued their studies outside the M'zab valley. This community is also famous for its renowned scholars and great intellectuals who left important works. They also created many important libraries. This put M'zab on the list of the important cultural sites in Algeria.

Key words: M'zab – Mizb – Cultural life in Algeria – Culture in southern Algeria , Culture and thought in Ghardaia ,Cultural status in the M'zab society.

مقدمة: تعد الحياة الثقافية والفكرية من المجالات التي اهتم بها المؤرخون وتعمقوا البحث فيها، لما من دور أساسي في صناعة الحركة التاريخية للشعوب والأمم، ومرجعا أساسيا لإثبات هويتها وأصولها ووسيلة لفهم مستوى التطور والرقي الحضاري، ولذلك فإن الثقافة كما يفسرها مالك بن نبي، أنها:" محيط يحيط بالمجتمع وإطار يتحرك بداخله، فهو يغذي جنين الحضارة في أحشائه، إنها الوسط الذي تتشكل فيه جميع خصائص المجتمع المتحضر، وهي الوسط الذي تتشكل فيه جميع خصائص المجتمع المتحضر، وهي الوسط الذي تتشكل فيه كل جزئية من جزئياته تبعا للغاية العليا التي رسمها المجتمع لنفسه..."[1]. (بن نبي، م. 2000م: 77).

يعد مجال الحياة الثقافية في منطقة مزاب العصر الحديث والمعاصر من أبرز المحاور التي تعتمد عليها الدراسات التاريخية في دراستها للمجتمع المزابي لمعرفة جذور التاريخية، الاجتماعية والدينية والسياسية، ومعرفة المتغيرات في هذه المجالات، والعوامل والأسباب التي كانت داعيا إلى هذا التغيير، وأبرز نتائج هذا التغيير في الحركة التاريخية للمجتمع، خاصة إذا علمنا أن منطقة مزاب كانت في الفترة الوسيطة والحديثة، خاضعة لنظام حلقة العزابة التي تولت تسيير الحياة الدينية والثقافية والاجتماعية بشكل ظاهر وجلي.

يعد المجتمع الجزائري بمختلف أصوله وشرائحه الاجتماعية، من المجتمعات التي ساهمت في الحياة الثقافية والفكرية من خلال جهودها العلمية والفكرية في الحقبة التاريخية الحديثة والمعاصرة، ومن إحدى شرائحه

الاجتماعية، المجتمع المزابي الذي ينحدر من منطقة مزاب أحد أبرز المدن الجزائرية التي برز إشعاعها العلمي والحضاري في الفترة الحديثة والمعاصرة، وموطنا يحوي عددا كبيرا من الشيوخ والعلماء، خلال هذه الفترة، فقد ساهمت منطقة مزاب في الحياة الثقافية الجزائرية وفق خصوصياتها الاجتماعية والثقافية والدينية.

فلقد شهدت منطقة مزاب ظهور علماء ومشايخ أكفاء ونساخا كثيرين، ساهموا بقسط وافر في ازدهار الحركة الثقافية والفكرية بالمنطقة، كما ظهر خلال هذه الفترة طلبة وتلاميذ اهتموا بالعلم وقصدوا رواده، وواصلوا المسيرة العلمية والثقافية بعد شيوخهم وأساتذتهم، وقد ازدهرت حركة التأليف والنسخ بالمنطقة، فتعددت المكتبات التي تجمع في رفوفها المؤلفات والمنسوخات كل على حسب تخصصها واهتمامها، وقد أدى هذا إلى انتشار العلوم الدينية وبروز بعض العلوم الدنيوية[2]. (بوراس، ي. 2013م: 96 ـ 97).

كما أوفدت منطقة مزاب بعثات علميات إلى خارج مزاب للاستزادة في العلم والنبوغ فيه أكثر، والاستزادة في العلوم العقلية، وكان ذلك في الفترتين التاريخيتين الحديثة والمعاصرة، وقد شهدت هذه الحركة نشاطا كبيرا في الفترة المعاصرة، وذلك في إطار ما سمي بالبعثات العلمية الزيتونية[3]. (دبوز، م.2013: 117/3).

لقد كان للمجتمع دورا في التنشيط الثقافي في الجنوب الجزائري من خلال المؤسسات الثقافية التي أسسها، ومن خلال العلماء الذين كونهم، ومن خلال الحركة التعليمية التي قام بها، وعليه فإن إشكالية دراستي تكمن في هذه الصيغة: **فيما تمثل دور المجتمع المزابي في التنشيط الثقافي في الجنوب الجزائري؟**، وقد قسّمت هذه الإشكالية إلى عدة تساؤلات وهي: كيف يعرّف المجتمع المزابي؟، وفيما يتمثل التعريف الجغرافي لمنطقة مزاب؟، وكيف كانت الحياة الثقافية في مزاب أواخر العصر الوسيط وبداية العهد الحديث؟، وفيما تمثلت المؤسسات العلمية والثقافية في مزاب التي كان لها دورا علميا وثقافيا في العهد الحديث والمعاصر؟، ومن هم العلماء والنساخ الذين شهدتهم منطقة مزاب في هذه الفترة؟، وهل قام أعلام مزابيون برحلات إلى خارج منطقة مزاب في الفترة الحديثة والمعاصرة؟، ومتى بدأ المجتمع المزابي بإيفاد بعثات علمية إلى خارج مزاب؟

تتمثل أهداف دراستي في دراسة النموذج الحضاري الذي عرفت به منطقة مزاب في الفترة التاريخية الحديثة والمعاصرة، من خلال التطرق إلى أحد الأسس الهامة، وهي المجالات العلمية والثقافية. إبراز مظاهر التفاعل والتكامل بين منطقة مزاب والمناطق الأخرى من الجزائر والعالم الإسلامي، وكذلك معرفة المستوى الثقافي والعلمي بين فترتين تاريخيتين مختلفتين.

اعتمدت في هذه الدراسة على المنهج التاريخي الوصفي التحليلي، الذي يعتمد على وصف الأحداث ثم تحليلها تاريخيا وعلميا. والجدير بالذكر أن موضوع الدراسة قد تعرضت إليه المصادر والمراجع المحلية والدراسات الأكاديمية، مثل: كتاب نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة، وأعلام الإصلاح في الجزائر لمؤلفهما محمد علي دبوز، الذين يعتبران من أهم المصادر التي تطرقت إلى الموضوع، كما اعتمدت أيضا على كتاب بعنوان: مشايخي كما عرفتهم لمؤلفه محمد صالح ناصر، حيث أشار فيه إلى العلماء والمشايخ الذين كانوا فاعلين في الحياة الثقافية في

الفترة المعاصرة، كما اعتمدت أيضا على معجم أعلام الإباضية لمجموعة مؤلفين، الذي استقيت منه معلومات في أكثر من مرة في هذه الدراسة، وأما من حيث الدراسات الأكاديمية فإني قد اعتمدت على أطروحة الدكتوراه للباحثة عائشة يطو، بعنوان: الحركة اللغوية عند الإباضية في المغرب الإسلامي من القرن العاشر الهجري إلى القرن الثالث عشر الهجري، حيث تتضمن معلومات عن بدايات الفترة التاريخية الحديثة في منطقة مزاب. كما اعتمدت على مذكرتي للماستر بعنوان الشيخ أبو إسحاق إبراهيم اطفيش ــ كتاباته ومواقفه السياسية ــ حيث استقيت منها معلومات عن أحد الأعلام البارزين في الفترة المعاصرة، وهو الشيخ أبو إسحاق إبراهيم اطفيش.

أما فيما يخص عن إجابتي للإشكالية والتساؤلات المطروحة فإني قد تبنيت الخطة الآتية: حيث ابتدأت بتعريف منطقة مزاب جغرافيا وتاريخيا، ثم تطرقت إلى بدايات الحركة الثقافية والعلمية بالمنطقة نفسها، ثم تطرقت إلى الحركة العلمية والثقافية في منطقة مزاب في الفترة الحديثة، ثم تطرقت إلى أبرز العلماء المزابيين الذين ظهروا في الفترة الحديثة، ثم بعد ذلك تطرقت إلى المؤلفات والمنسوخات التي أقامها العلماء والنساخ، ثم تطرقت إلى البعثات العلمية المزابية إلى خارج مزاب في الفترة الحديثة، ثم تناولت أبرز العلماء الذين ظهروا بمنطقة مزاب في الفترة المعاصرة، كما تطرقت أيضا إلى البعثات العلمية المزابية إلى خارج مزاب في الفترة المعاصرة، وفي الأخير تطرقت إلى المكتبات، والمحاضر القرآنية.

منطقة مزاب جغرافيا وتاريخيا:

تشير الدراسات التاريخية والجغرافية إلى أن منطقة مزاب هي ما يعرف ببلاد الشبكة، ويطلق هذ المصطلح على هضبة صخرية كلسية تقع شمالي الصحراء الجزائرية، وتتخللها أودية عديدة، وتتجه هذه الأودية من الشمال الغربي إلى الجنوب الشرقي، لتصل نهايتها إلى بحيرة تكنفها الرمال شمال غربي ورقلة[4]. (الحاج سعيد، ي. 2006: 1).

تبلغ مساحة بلاد الشبكة حوالي ثمانية وثلاثين ألف كيلو متر مربع، ويحدها من الشمال وادي بوزبير ومن الغرب وادي زرقون، وأما شرقا فإنها تمتد إلى زلفانة والقرارة، وأما جنوبا فإن تصل إلى بلاد الشعانبة. والعاصمة الحالية لمنطقة مزاب هي مدينة غرداية، التي تبعد عن الجزائر العاصمة بمسافة 600 كلم. وأما التحديد الفلكي لمنطقة مزاب فإنها تتواجد" في تقاطع خط العرض الشمالي 32°30، وخط الطول الشرقي 3°45، وارتفاعها عن سطح البحر بـ 530مترا"[5]. (الحاج سعيد، ي. 2006:1).

تتكون منطقة مزاب من سبعة قصور وهي على الترتيب التاريخي الكرنولوجي: العطف التي تأسست في سنة 402هـ/1012م، ثم تأسس بعد ذلك قصر بنورة سنة 437هـ/1045م، ثم تأسس قصر غرداية سنة 477هـ/1084م، ثم تأسس بعدها قصر مليكة سنة 576هـ/1180م، ثم قصر بني يزقن سنة 720هـ/1320م، ثم تأسس في الأخير قصر القرارة سنة 1040هـ/1630م، ويليه قصر بريان سنة 1060هـ/1650م[6]. (موهوبي، عبد ق. 2011: 118).

يعود تاريخ إعمار منطقة وادي مزاب إلى ثلاثة عشر قرنا خلت، فتوطّن المزابيين في هذه المنطقة كان منذ القديم، وإذا ما اعتبرنا أن تاريخ نشأة أول قصر وهو العطف يعود إلى عشرة قرون، وجدنا ما تشير إليه الدراسات الأثرية عن أسبقية وجود قصور أخرى قد اندثرت وهي على سبيل المثال: أغرم نتلزضيت، وأولوال[7]. (الحاج سعيد، ي. 2014:11، 12).

يدلنا مبارك الميلي نقلا عن ابن خلدون على إعمار المنطقة منذ القرن الرابع عشر الهجري بقوله:" وقصور مصاب سكانها لهذا العهد شعوب بني بدين من بني عبد الواد وبني توجين ومصاب وبني زردال فيمن انضاف إليهم من شعوب زناتة، وإن كانت شهرتها مختصة بمصاب"[8]. (الميلي، م. بـ س: 214/2). فالحركة التاريخية في هذه المنطقة قد قطعت مسار كبيرا من الزمن.

بدايات ظهور الحركة الثقافية بمنطقة مزاب:

ترجع الدراسات المهتمة بتاريخ الإباضية في المغرب الأوسط، أن منطقة مزاب قد شهدت حركية ثقافية بداية من العصر الوسيط، حيث بدأ الاهتمام بالعلم والثقافة واضحا، فبرز علماء ومشايخ أنشأوا حلقات علمية، وكان من أشهر هؤلاء الشيخ أبي عبد الله محمد بن بكر (ت 440هـ)، مؤسس نظام حلقة العزابة في منطقة مزاب خلال هذه الفترة، وقد ساهم في التعليم والثقافة بالمنطقة، ويؤكد ذلك أبو العباس أحمد بن سعيد الدرجيني في كتابه طبقات المشايخ بالمغرب قائلا:" ومن أخبار الشيخ أبي عبد الله رحمه الله: ما بلغنا أن أبا عبد الله كان يخرج للحقلة في أوان الربيع إلى بوادي بني مصعب لمآرب، منها أنه كان يطلب بذلك راحة خاطره وخواطر التلاميذ، واستصلاحها...وأيضا فإن بني مصعب كانوا واصلية، فعمت عليهم بركته، فرجعوا إلى دين الحق، والطريقة المرضية وذلك كان أكثر قصده في انتجاعهم وحلول رباعهم، وكان يبين لهم طرقا يتبعونها ويضرب لهم أمثالا حسنة يعملونها"[9]. (الدرجيني، أبي ع. 1974م: 183/1 ـ 184). وقد كان لهذا الشيخ دورا كبيرا في تحول المجتمع المزابي من المذهب المعتزلي إلى المذهب الإباضي في مدة زمنية قياسية.

من العلماء والمشايخ الذي ظهروا بالمنطقة في هذه الفترة الشيخ باعيسى وعلوان الذي عاش في (القرن 5هـ/11م)، وكان من العلماء الذين تركوا أثرا كبيرا في الحياة الدينية والثقافية في أوساط المجتمع المزابي، حيث تولى مشيخة بلدة غرداية في زمانه[10]. (بحاز، إ وآخرون. 2009م: 2/ 332).

من الشيوخ الذين تزامن ظهورهم في هذه الفترة الشيخ عبد الرحمن الكرتي المصعبي (ق6هـ/12م)، وتؤول أحد الدراسات أن يكون من تلاميذ الشيخ أبي العباس أحمد بن محمد بن بكر، وقد كان من رواد الحركة العلمية والثقافية في زمانه ومن شيوخ المؤسسين للحلقات العلمية التي كان يقصدها الطلبة من قصور وادي مزاب[11]. (بحاز، إ وآخرون. 2009م: 246/2).

هؤلاء الشيوخ هم نماذج من العلماء الذين ظهروا بمنطقة مزاب في الفترة التاريخية الوسيطة، كان لهم دور في تفعيل الحركة الثقافية في المجتمع المزابي، حيث هم من أسس للحركة الثقافية والعلمية لدى المجتمع المزابي لتستمر من بعدهم إلى الفترة الحديثة، والتي ظهر فيها علماء واصلوا الجهود واتبعوا النهج الذي رسمه مشايخهم السابقون.

الحركة العلمية والثقافية في منطقة مزاب في الفترة الحديثة:

أبرز العلماء المزابيين الذين ظهروا في هذه الفترة:

من العلماء الذين عرفهم المجتمع المزابي في هذه الفترة، الشيخ سعيد بن علي بن يحي الخيري الجربي(ت927هـ/1521م)، الذي تعود أصوله إلى جزيرة جربة التونسية، وقد قدم إلى منطقة مزاب بعد أن استنجد المزابيون بإخوانهم الإباضية في جربة التونسية بأن ينجدوهم بعالم، يحي من جديد الحركة العلمية والثقافية التي تراجعت وشهدت فتورا في تلك الحقبة[12]. (الحاج موسى، ب. 2006: 13).

كان قدومه إلى المنطقة ما بين سنتي 884هـ و889هـ، رفقة كلا من الشيخين الحاج محمد بن سعيد المعروف بالشيخ بالحاج، والشيخ دحمان[13] (الحاج موسى، ب. 2006: 16)، وبعد استقراره بمزاب باشر التعليم والتثقيف بجامع قصر غرداية، فصار يؤمه عددا كبيرا من الطلبة من مختلف قصور وادي مزاب، وقد تمكن الشيخ من تخريج دفعات عديدة من الطلبة، وكان من بين طلبته، ابنه الشيخ صالح، والشيخ أبو مهدي عيسى بن إسماعيل بن عيسى المليكي المصعبي[14] (الحاج موسى، ب. 2006: 21).

لعل أبرز ما قام به الشيخ سعيد بن علي بن يحي الخيري الجربي في تنشيط الحركة الثقافية في زمانه هو إحداثه لنظام هيئة التلاميذ[15] (اسماوي، ص. 2008: 459 ـ 460). حيث أدرك أنه لإعطاء الديناميكية للحركة الثقافية لا يكمن إلا في استحداث منهج جديد في التعليم، فكانت نتيجة تفكيره تكمن في إحداثه لنظام هيئة التلاميذ، وعن هذا يقول أحد الدارسين قائلا:"...فعزّز جهوده العلمية بإحداث نظام دراسي للتلاميذ يضمن استمرار الحركة العلمية وازدهارها، يعرف هذا النظام حاليا بمنظمة إروان"[16] (اسماوي، ص. 2008: 21).

كما اشتهر الشيخ بالنسخ والتأليف، فبادر إلى نسخ عدد كبير من الكتب، لأنه كان يرى أن من مستلزمات إحياء وتنشيط العلم والثقافة بالمنطقة لا يتسنى إلا وفق شروط، ومنها نسخ أمهات الكتب وتوفيرها للتلاميذ والطلبة، ومن بين ما نسخ الشيخ من الكتب أذكر: كتاب سير المشايخ[17] (اسماوي، ص. 2008: 23). وقد أحصى أحد الدارسين عدد منسوخات الشيخ ما يزيد عن خمسين مؤلفا ما بين كتاب ورسالة وقصيدة[18] (اسماوي، ص. 2008: 23).

من الشيوخ البارزين أيضا في منطقة مزاب خلال العصر الحديث الشيخ أبو مهدي عيسى بن إسماعيل بن عيسى المليكي المصعبي، الذي كان من الشيوخ الكبار في قصر مليكة فترة زمانه، وقد تتلمذ على ثلة من الشيوخ وهم:" الشيخ عمِّي سعيد الجربي، والشيخ محمَّد بن زكرياء الباروني النفوسي، والشيخ داود بن إبراهيم التلاتي

الجربي، وبامحمَّد بن عبد العزيز اليسجني، وأبو زكرياء بن أفلح، وسعيد بن علي، وحيُّو بن دودو"(19) (بحاز، إ وآخرون. 2009م: 328/2).

لقد واصل مشوار شيخه عمي سعيد الجربي في التدريس، وقد ترك مجموعة من المؤلفات في مختلف فنون العلم، ومن بينها: جواب لأهل عمان ـ رسالة في معنى التوحيد ـ موازين القسط[20] (بحاز، إ وآخرون. 2009م: 328/2).

كما أسندت له مشيخة قصر مليكة، وكان يجتمع بأستاذه الشيخ عمي سعيد الجربي في يوم محدد من أيام السنة يتناقشان فيه مسائل حول العلم والدين[21] (بحاز، إ وآخرون. 2009م: 328/2).

من الشيوخ الذين تركوا أيضا بصمتهم واضحة في مجال العلم والثقافة بوادي مزاب، الشيخ عبد العزيز الثميني (ولد سنة: 1130هـ / 1718م، وتوفي سنة 1223هـ / 1808م)، وقد اعتبر لدى الدارسين من أعظم علماء الإباضية لما له من دور كبير في الحركة الثقافية في وادي مزاب، وقد عرف بتمكنه في العلم فأسندت له مشيخة العزابة، ولكنه انعزل عن هذا المنصب الديني، وقام بالاعتكاف في منزله مدة خمسة عشر عاما لا يخرج منه إلا لضرورة اجتماعية ملحة، من أجل التأليف والنسخ[22] (بحاز، إ وآخرون. 2009م: 328/2). ينظر كذلك: (سعد الله، أ. 1998: 74/2 ـ 75). ومن المؤلفات التي تركها، أذكر: التكميل لما أخل به كتاب النيل، والورد البسام في رياض الأحكام، والأسرار النورانية[23] (سعد الله، أ. 1998: 75/2). وقد قام بجهود كبيرة في ميدان التأليف والنسخ، ويؤكد ذلك أحد الدارسين بقوله: "...إذ خلف تراثا شرعيا نوعيا استطاع به أن يملأ فراغا كبيرا كان يشتكي منه إباضية الجزائر، وبذلك جلب الأنظار إليه"[24] (الشيخ بالحاج، ق.2011: 129)، كما قد تخرجت على يده مجموعة من الطلبة واصلوا المشوار الذي بدأ فيه شيخهم في ميدان العلم والثقافة.

رحالة مزابيون في العصر الحديث:

من ضمن ما تتضمنه الحياة الفكرية والثقافية في منطقة وادي مزاب الرحلات التي قام بها أعلام مزابيون صوب وجهات مختلفة من العالم الإسلامي سواء أكانت من أجل غرض علمي أو ديني، ومن هذه الرحلات أذكر:

1. رحلة المصعبي:

يعود اسم المصعبي إلى صاحب الرحلة نفسه، واسمه الكامل إبراهيم بن عبد الرحمن بن عبد الله بن بحمان، من مواليد ثلاثينيات أو أربعينيات القرن الثامن عشر، وهو من أبرز علماء منطقة مزاب في العصر الحديث، وقد قام برحلته إلى الحجاز سنة 1196هـ/1781م، بعد أن أتم من كتابة مختصر لكتاب الجيطالي في المناسك ليأخذه إلى الحج معه كأنيس علمي له، وكانت بداية رحلته في شهر رجب سنة 1196هـ[25] (المصعبي، إ. 2007: 40).

استغرق طريق التوجه نحو الحجاز مئة وعشرين يوما، انطلاقا من منطقة مزاب وصولا إلى الحجاز، حيث انطلق من مسقط رأسه باتجاه غرداية حيث يوجد مقام للشيخ حمو والحاج يتبرك فيه الحجاج ويدعى لهم بالسلامة والأمن في ذهابهم لتأدية مناسك الحج، ثم بعد ذلك توجه الشيخ المصعبي مع مرافقين له إلى الحج وقد قسموا طريقهم إلى محطات توقفوا فيها للاستراحة أو للمبيت، وقد وصل الشيخ المصعبي إلى البيت الحرام في السابع من شهر ذي الحجة 1196هـ، وبعد تأدية مناسك الحج قفل الشيخ راجعا مع موكبه إلى وادي مزاب، وقد وصلها في أوائل ربيع الثاني سنة 1197هـ[26] (المصعبي، إ. 2007: 54 ـ 62).

أما قد أُرِّخ في هذه الرحلة فيتمثل في ذكر الشيخ المصعبي لنصائح ومستلزمات يقوم بها الحاج في ذهابه إلى الحج، ثم بذكر ما لقيه في طريقه من الأحداث والمعترضات ومن لقيه من الأشخاص عند وصوله إلى الحج، ولذلك فإن رحلته كما قال أحد الدارسين قائلا: "...لذلك فإنه يمكن اعتبار رحلة المصعبي الشيخ إبراهيم بن بحمان من المصادر الأساسية التي لا يمكن الاستغناء عنها للتعرف على أوضاع الجزائر وبلدان تونس وليبيا ومصر والحجاز في القرن 12هـ، 18م، فهي تسجيل حي للواقع الاجتماعي، والأدبي والسياسي، والاقتصادي...ووصف دقيق لحالة المسالك والعمران والأسواق ونقاط الماء والمسؤولين السياسيين وأنظمة الحكم وغيرها"[27] (المصعبي، إ. 2007: 64 . 65).

2. رحلة يوسف بن محمد المصعبي:

اسمه أبو يعقوب يوسف بن محمد المصعبي (ت1187هـ/1773م)، من أعلام قصر مليكة سافر في رحلة علمية نحو جربة صحبة والده سنة (1103هـ/1692م) واستقر فيها مدة من الزمن، أخذ فيها العلم عن مشايخها، ثم توجه نحو تونس للاستزادة من العلم، وكما ارتحل إلى منطقة لالوت بليبيا سنة 1103هـ، والقاهرة سنة 1130هـ[28] (يطو، ع. 2009 ـ 2010: 29).

3. رحلة محمد آزبار:

اسمه الكامل محمد بن عيسى ابن عبد الله آزبار (ولد 1301هـ/1883م) من علماء قصر بني يزقن ارتحل إلى عمان ليستزيد في العلوم النقلية والعقلية، واستقر فيها مدة كبيرة من الزمن، ثم عاد إلى مسقط رأسه مزاب وعقد حلقات علمية بالمسجد ليفيد إخوانه المزابيين بما تلقاه من العلوم في عمان، كما اصطحب معه من عمان كتبا مختلفة كانت نواة لمكتبته الثرية[29] (يطو، ع. 2009 ـ 2010: 34).

هذه بعض الرحلات التي شهدتها منطقة وادي مزاب في العصر الحديث، وتوجد رحلات أخرى لا يتسنى المقام لذكرها جميعا.

المؤلفات والمنسوخات:

اشتهرت منطقة وادي مزاب مثل غيرها من المناطق الجزائرية بنشاط حركة التأليف والنسخ في مختلف مجالات العلوم الشرعية والعلوم العقلية، وقد ألفت ونسخت العديد من الكتب في مجال الفقه والعقيدة والتاريخ والحساب

والفلك، وغير ذلك من العلوم، وقد صنفت هذه الكتب كلا حسب تخصصها، ونذكر على سبيل المثال بعض عناوين المؤلفات والمنسوخات المتواجدة في إحدى مكاتب مزاب، وهي مكتبة البكري.

تخصص التفسير: تضمنت هذه المكتبة ضمن هذا التخصص مخطوط همیان الزاد إلى دار المعاد لمؤلفه الحاج امحمد بن يوسف اطفيش اليسجني الإباضي، وقد فسر في هذا المخطوط آيات لإحدى سور القرآن الكريم. ومخطوط شرح الدرر اللوامع، الموضوع في أصل حرف نافع لمؤلفه محمد بن شعيب بن عبد الواحد بن الحجاج[31] (ابن ادريسو، م، وآخرون. 1994: 1) (يوجد الفهرس بمكتبة الشيخ أبي إسحاق اطفيش لخدمة التراث، غرداية، الجزائر).

تخصص علوم الحديث: وفي هذا التخصص احتوت المكتبة على الأحاديث الأربعون المروية عن النبيء صلى الله عليه وسلم وشرحها لمؤلف مجهول وقد تضمن المخطوط مجموعة أحاديث. والمخطوط الثاني بعنون كتاب في الحديث، والمخطوط الثالث بعنوان كتاب فضل الصلوات، حيث تطرق هذا المخطوط إلى فضائل الصلاة والأجر الذي ينال المسلم[32] (ابن ادريسو، م، وآخرون. 1994: 3)

تخصص أصول الفقه: في هذا التخصص تضمن مخطوطات، نذكر منها على سبيل المثال مخطوط اختصار كتاب العدل لمؤلفه أحمد بن سعيد الشماخي أبو العباس، وشرح مختصر العدل لنفس المؤلف[33] (ابن ادريسو، م، وآخرون. 1994: 3 ـ 4).

تخصص التاريخ: أما في هذا التخصص، فقد تضمن مخطوطات ونذكر منها: مخطوط بعنوان كتاب حديث الإسراء والمعراج لمؤلف مجهول تطرق المخطوط إلى حادثة الإسراء والمعراج، ومخطوط آخر صفات سيد الأولين والآخرين حين حضرته الوفاة تطرق هذا المخطوط إلى ذكر خاتمة الرسول صلى الله عليه وسلم، ومخطوط آخر بعنوان النموذج اللبيب في خصائص الحبيب لمؤلفه عبد الرحمن بن أبي بكر تطرق المخطوط إلى سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم[34] (ابن ادريسو، م، وآخرون. 1994: 28 ـ 29).

تخصص علوم اللغة: فقد احتوت هذا التخصص مخطوطات في النحو والصرف والبلاغة والعروض، ومن ضمن عناوين المخطوطات المنضوية في هذا التخصص، أذكر مخطوط بعنوان شرح الأجرومية لمؤلفه أبي القاسم بن يحي بن أبي القاسم بن محمد، ومخطوط بعنوان شرح أرجوزة...أبي يحي زكرياء بن أفلح الصدغياني لمؤلفه موسى بن عامر بن يحي بن زكرياء النفوسي[35] (ابن ادريسو، م، وآخرون. 1994: 31).

تخصص الشعر والنظم: وقد تضمن هذا التخصص مخطوطات تحوي أشعارا وقصائد متنوعة، ونذكر على سبيل المثال مخطوط بعنوان قصيدة كشف الغمة، في الولاية والبراءة لمؤلفه أحمد بن النضر العماني (القرن 6هـ/12م)، ومخطوط آخر بعنوان قصيدة في الفرائض لمؤلفه زكرياء بن أفلح الصدغياني، أبو يحي الجربي (903هـ) [36] (ابن ادريسو، م، وآخرون. 1994: 33، 35).

هذا تطرق مختصر وموجز إلى المؤلفات والمخطوطات التي توجد في إحدى مكاتب مزاب، يعود تاريخ نشأتها إلى فترة سابقة من التاريخ حافظ عليها أصحابها، وقد قامت الجهات المختصة بفهرسة مخطوطاتها.

البعثات العلمية المزابية إلى خارج مزاب في الفترة الحديثة:

لقد شهدت منطقة وادي مزاب ظهور هذا النظام جليا بداية من العصر الحديث، حيث أرسل عدد من الطلبة المزابيين إلى خارج مزاب للاستزادة من العلم والتمكن فيه، وكانت الجهة المقصودة لهذه الرحلات جربة[37] (الباروني، ي. 1998:175). ومصر بوكالة الجاموس، وقد ورد ذلك لدى المصعبي أنه التقى بالطلبة المزابيين في وكالة الجاموس في رحلته إلى الحج[38] (المصعبي، إ .2007: 56، 62).

من أبرز طلبة البعثات المزابيين إلى مصر، أذكر: الشيخ يحي بن صالح ابن يحي الأفضلي أبو زكرياء (ت1202هـ/1788م)، الذي قصد وكالة الجاموس للتعلم بها، بعد أن قضى 12 سنة في جزيرة جربة يتعلم بها[39] (الباروني، ي. 1998: 175). وقد حضر أيضا دروسا بجامع الأزهر، وبعد أن أتم تعلمه عاد إلى مسقط رأسه بوادي مزاب وأنشأ فيه معهدا للدراسات العليا، كما نسخ عددا كبيرا من المؤلفات في رحلته هذه[40]. (بحاز، إ وآخرون. 2009م: 406/2). وينظر كذلك: (يطو، ع. 2009 ـ 2010: 33).

وقد أكدت أحد الدراسات أن عدد المزابيين بمصر ووكالة الجاموس خاصة، كان ضئيلا، وذلك بسبب بعد المسافة والصعوبة الكبيرة لاستقرار المزابيين خارج الوطن[41] (مصلح، أ. 2012: 104).

أبرز العلماء الذين ظهروا بمنطقة مزاب في الفترة المعاصرة:

1. الشيخ امحمد بن يوسف اطفيش:

يعد الشيخ امحمد بن يوسف اطفيش قطب الأئمة من العلماء البارزين في منطقة وادي مزاب في الفترة المعاصرة (و:1237هـ / 1821م ـ ت: 1332هـ / 1914م)، نشأ عصاميا، وكان شغوفا كثيرا باقتناء الكتب واستنساخها متجاوزا كل الصعوبات والعوائق، كما قد اقتنى بعض خزائن كتب علماء عصره، واستفاد من محتوياتها كثيرا. جلس قطب الأئمة للتعليم والتدريس وعمره لا يتجاوز السادسة عشر عاما، ولما وصل العشرين عاما أصبح من كبار علماء مزاب وذلك لما وصل إليه من مرتب علمي. (بحاز، إ وآخرون. 2009م: 399/2).

أنشأ الشيخ معهدا في بني يزقن، وتولى تدريس الطلبة فيه، وقد تخرجت على يده دفعات كبيرة من الطلبة صاروا فيما بعد مجاهدين ومصلحين[42] (بحاز، إ وآخرون. 2009م: 399/2). بالرغم ما كان يتلقاه من تضييق وخناق من طرف الاحتلال الفرنسي[43] (سعد الله، أ. 49/1998:3). ومن هؤلاء التلاميذ أذكر: الشيخ سليمان باشا الباروني، وأخوه الشيخ يحي، والشيخ الحاج محمد إبراهيم بن عيسى الأبريكي، والشيخ عمر بن يحي والشيخ الحاج محمد بن الحاج قاسم القاضي، وغيرهم كثير[44] (دبوز، م. 2013: 360/1).

وقد ألف قطب الأئمة محمد بن يوسف اطفيش في علوم مختلفة، ويؤكد ذلك محمد علي دبوز قائلا: "فألف في التفسير والحديث، وفي التوحيد والفقه، العبادات والمعاملات، وفي أصول التشريع، وفي النحو والصرف والبلاغة، وفي التاريخ والديانات القديمة، وفي الأنساب والمذاهب، وفي العروض، وألف في التجويد، وفي المنطق والحساب، وفي الميراث، وفي الفلك، وفي الفلاحة، وفي الطب القديم، وفي الأخلاق، وفي غير ذلك من المواضيع..."[45] (دبوز، م. 2013: 304/1).

لقد كان لقطب الأئمة دورا مهما في التنشيط الثقافي في مزاب في الفترة المعاصرة من خلال الجهود المضنية التي قدمها، وقد ارتقى إلى منصب علمي وثقافي حتى صار شيخ المشايخ بالمنطقة، وقد أدلى بدلوه في الميدان الاجتماعي بمحاربته للبدع والخرافات التي كانت سائدة أوساط المجتمع المزابي في زمانه[46] (دبوز، م. 2013: 322/1).

2. الشيخ إبراهيم بيوض:

من علماء مزاب في الفترة المعاصرة الذين كانت لهم بصمة واضحة في ميدان الفكر والثقافة الشيخ إبراهيم بن عمر بيوض (و: 1313هـ ـ 1899م/ ت: 1401هـ ـ 1981م)، فقد نشأ في بيئة محافظة، ساهمت في تربيته وتخلقه وتكوينه، فقد التحق بصفوف العلم كأمثال جيله، اشتهر بحبه الكبير للعلم، وتمكن من حفظ القرآن واستظهاره وهو لم يتجاوز سن الثالثة عشر من عمره، وكان فكره قد سبق عمره إذ أنه كان يحضر جلسات وجهاء القوم وكبار المصلحين، التي غالبا ما تعقد في سرية تامة، وأسند إليه مسؤولية تعليم الطلبة والتلاميذ، وهو لم يتجاوز سن العشرين، الشيء الذي أهله للالتحاق بمجلس العزابة[47] (ناصر، م: 2013: 116).

لقد أدرك الشيخ إبراهيم بيوض أن إعطاء الدافعية للحركة الثقافية والفكرية بمنطقة مزاب، لا يتم إلا بإنشاء معهد للطلبة وتمكينهم من التعلم والتثقيف، وفي هذه النقطة يؤكد أحد الدارسين قائلا: "...فأنشأ معهد الشباب الذي صار فيما بعد معهد الحياة في سنة (1343هـ/1925م)، وكان يريده حصنا منيعا لنشر لغة القرآن وعلوم القرآن، وكان يتولى إدارته والتدريس فيه والمرابطة بين سواريه وعرصاته، حتى صار له شأن بعيد تجاوز حدود القطر الجزائري إلى أقطار عربية أخرى، ورودا وصدورا يستقبل البعثات، ويرسل المتخرجين إلى الكليات والجامعات العالمية"[48] (ناصر، م. بـ س: 15).

كما أنشأ الشيخ بيوض إلى جانب معهد الحياة، جمعية الحياة التي صارت المشرف الرئيسي للمؤسسات الأخرى ومن هذه الأخيرة، أذكر مدرسة الحياة الابتدائية، ونادي الحياة ومكتبة الحياة، حيث ساهمت هذه المؤسسات وغيرها في نشر التعليم والثقافة بين المجتمع[49] (ناصر، م. بـ س: 15).

إلا أن ما اشتهر الشيخ بيوض قد عرف أكثر في الحركة الإصلاحية بمنطقة مزاب، حيث عرفت هذه الأخيرة المرحلة الانتقالية في زمانه، وذلك لما شهدته من دافعية ونشاط كبيرين، ومتفاعلا مع جمعية العلماء المسلمين

الجزائريين ضمن هذا الإطار، وموحدا جهوده مع جهود جمعية العلماء في تأدية رسالة الإصلاح والتثقيف في المجتمع الجزائري الكبير[50] (ناصر، م. بـ س: 16، 17، 19).

3. الشيخ أبو اليقظان:

من العلماء المعاصرين الذين ظهروا بمنطقة مزاب وعاصروا فترة الشيخ إبراهيم بيوض الشيخ إبراهيم بن عيسى حمدي أبو اليقظان (و: 1306هـ ـ 1888م/1393هـ ـ 1973م)، التحق بصفوف العلم كأقران جيله، وبعد أن أتم تعليمه الابتدائي، التحق بجامعة الزيتونة لمواصلة تعليمه العالي سنة 1912م، وترأس البعثات العلمية المزابية إلى تونس في تلك الفترة، وساند الشيخ بيوض في مشروعه الإصلاحي والعلمي، وكانت له بصمة في جمعية العلماء المسلمين الجزائريين[51] (ناصر، م. 2013: 59 ـ 60).

إلا أن ما اشتهر به الشيخ أبو اليقظان وصار يقترن باسمه كثيرا جهوده في ميدان الصحافة حيث أنشأ عدة جراد جاهد بها المحتل الفرنسي، ومن أمثال هذه الجرائد أذكر: وادي ميزاب، ميزاب، المغرب، النور، الأمة، الفرقان، النبراس[52] (ناصر، م. 2013: 59).

كما ألف الشيخ أبو اليقظان مؤلفات عدة، ومن هذه الأخيرة أذكر: كتاب سلم الاستقامة في ثلاثة أجزاء، وكتاب سليمان الباروني في أطوار حياته في جزئين، وكتاب ديوان أبي اليقظان، وكتاب الإباضية في شمال إفريقيا لا يزال مخطوطا، إضافة إلى ما ألف من رسائل وصحف[53] (فرصوص، أ. بـ س: 35).

رحالة مزابيون في الفترة المعاصرة:

1. رحلة القطب:

اسمه الكامل امحمد بن يوسف بن عيسى اطفيش من علماء الإباضية في الفترة المعاصرة، قام برحلتين حجازيتين في حياته، فالأولى قام بها سنة 1290هـ/1873م، حيث بقي في الحجاز ما يقارب سنة كاملة ودرس خلال هذه المدة كتاب السنوسية في عقائد المالكية، كما التق في هذه الرحلة بعلماء وشخصيات في الحجاز، وكما ألف أيضا في هذه الرحلة كتابا أسماه إيضاح المنطق في بلاد المشرق، وقد قدم خلال هذه الرحلة إنجازا تمثل في التدريس والتأليف والمناظرات العلمية[54] (اطفيش، م.2007: 40).

أما الرحلة الثانية فكانت سنة 1303هـ/1886م، وقد ألف في هذه الرحلة قصيدته الحجازية، ووصف في هذه طريق الذهاب والعودة وما قام فيها من أعمال وما شهد فيها من أحداث[55] (اطفيش، م.2007: 41).

2. رحلات الشيخ أبي إسحاق اطفيش:

اسمه الكامل الشيخ أبو إسحاق إبراهيم اطفيش (و:1305هـ ـ 1888م/ت: 1385هـ ـ 1965م)، تنقل مشرقا ومغربا، فكانت له رحلات إلى وجهات مختلفة من العالم في الفترة المعاصرة، فكانت رحلته الأولى صوب

تونس سنة 1917م لغرض علمي، حيث التحق بجامع الزيتونة ليستزيد في العلم ويتمكن فيه العلوم الحديثة[56] (بوسعدة، م. 2014 ـ 2015: 58).

أما رحلته الثانية فكانت إلى مصر سنة 1923م، ولكن في هذه المرة بعد أن ابعد من تونس من طرف الفرنسيين بسبب معاداته لهم، ونشاطه في الحزب الحر الدستوري التونسي، وصارت مصر من خلال هذه الرحلة وطنه الثاني بعد مزاب[57] (شترة، خ. 2009: 9/3).

كما قام برحلتين إلى زنجبار، الأولى كانت سنة 1948م لأجل غرض علمي، وأما الثانية فكانت سنة 1960م[58] (الشيخ بالحاج، ق.2001: 104 ـ 107).

كما قام الشيخ أبو إسحاق برحلة إلى جبل نفوسة كانت سنة 1958م، من أجل غرض علمي وسياحي، وقد قام أيضا برحلتين إلى الحجاز سنة 1939م، والثانية سنة 1963م لأداء مناسك الحج[59] (بوسعدة، م. 2014 ـ 2015: 24 ـ 25).

تميز الشيخ أبو إسحاق عن غيره من رحالة مزاب في زمانه، أنه قام برحلة إلى العالم الغربي أمريكا لأجل تمثيل إمامة عمان في مجلس الأمم المتحدة[60] (كروم، أ. 2010: 22).

البعثات العلمية المزابية إلى خارج مزاب في الفترة المعاصرة:

لقد كانت تونس في الفترة المعاصرة من الحواضر الإسلامية التي احتوت على منابر العلم والتي مكنت كثيرا من طلاب العالم الإسلامي من التعلم والتثقيف، في وقت قلت فيه المؤسسات العلمية في ربوع أخرى من العالم الإسلامي، وأحكم الاستعمار الأوروبي قبضته على بلاد الإسلام، وقد اشتهر بتونس جامع الزيتونة الذي التحق به أبناء الطلبة المزابيين في أول بعثة من مزاب سنة 1917م، ليتموا فيه دراستهم، ويتعلموا ما منعوا من تعلمه في الجزائر بعد أن حارب الاحتلال الفرنسي كل ما يمت بصلة للتعليم العربي الإسلامي[61] (بوسعدة، م. 2014 ـ 2015: 24 ـ 25).

لقد ترأس البعثات المزابية إلى تونس مشايخ مزابيون، وهم: الشيخ أبو إسحاق إبراهيم اطفيش، والشيخ أبو اليقظان إبراهيم والشيخ صالح بن باعلي[62] (ناصر، م. 1980: 15). وينظر: (دبوز، م. 1978: 255/3).

وقد ساهمت هذه البعثات في بعث الحركة الثقافية والفكرية من جديد في أوساط المجتمع المزابي، بعد أن كاد التخلف الفكري يسيطر على عقول الناس.

المكتبات:

مما يمكن أن أدرجه خلال الفترتين الحديثة والمعاصرة، المكتبات لما لها من ارتباط وثيق بين المرحلتين فلأن أغلب المكتبات إن لم أقل كلها كانت نواتها الأولى قد أنشأت في الفترة الحديثة واستمر وجودها إلى الفترة

المعاصرة، حيث تعود أقدم خزائن الكتب بوادي مزاب كما يقول أحد الدارسين:" إلى القرن العاشر الهجري، وهي خزانة الحاج محمد بن سعيد الشهير بالشيخ بالحاج ببني يزقن، صاحبها كان قد نسخ كثيرا من الكتب خلال هذه الفترة سواء في مزاب أو في جربة"[63] (يطو، ع. 2009 ـ 2010: 35).

كما كانت هناك خزائن أخرى للكتب والمخطوطات وأذكر على سبيل المثال لا على سبيل الحصر خزانة الشيخ أزبار، وهي غنية بنفائس المخطوطات وكتب هامة جدا، وقد أثرى صاحب الخزانة مكتبته بمنسوخات بخط يده التي بلغت 12 عنوانا، كما احتوت مكتبته على مخطوطات جلبها من عمان، ولما جاء ابنه من بعده زاد من إثرائها بما اقتناه من كتب مطبوعة ومخطوطات، وأما ما تتضمنه هذه الخزانة أو المكتبة من عناوين مؤلفات، أذكر: كتاب كشف الغمة الكاشف لأخبار الأمة، بخط مؤلفه، والجزء الثاني من تفسير هود بن محكم الهواري[64] (حموده، م.2011: 206، 208، 209).

كما يوجد بقصر القرارة مكتبة مهمة تحمل اسم مكتبة دار آل الشيخ بالحاج، وهي تعتبر من أقدم المكتبات في قصر القرارة وأغناها مخطوطات ومؤلفات، ويعود تاريخ تكوينها إلى القرن 18م و19م، وقد قام صاحبها بنسخ عدد كبير من الكتب في عهده وساهم بذلك في تنوع وتعدد محتويات المكتبة من العناوين[65] (أبو بكر، ص. 2015: 216). ويقول أحد الدارسين عن هذه المكتبة قائلا:"...وهي تضم عشرات المخطوطات المهمة وأمهات الكتب في شتى فنون العلم الشرعية والعربية من فقه وتفسير وعقيدة وسيرة وحديث وأصول ولغة وتاريخ لأكابر علماء الإسلام وعلماء الإباضية..."[66] (أبو بكر، ص. 2015: 216).

من المكتبات التي اشتهرت أيضا في وادي مزاب تباعا على اشتهار صاحبها، مكتبة الشيخ امحمد بن يوسف اطفيش، التي احتوت على كتب ومخطوطات في مختلف العلوم والمعارف، وهي من أشهر المكتبات في وادي مزاب وكان طلبة قطب الأئمة يستفيدون منها كثيرا، وعن هذه المكتبة يقول أحد الدارسين قائلا: "...ولا غرو فهي مكتبة عالم اجتماعي...اتصل بالجميع واتصلوا به، ولم يقتصر تواصله على من في الجوار، بل تجاوز حدود الوطن شرقا وغربا، وأهم مظهر للتوصل، التوصل بكتب العلم، بمختلف الصيغ بين الطرفين...إهداء وتوقيفا واستعارة واستنساخا وابتياعا، وما أشبه ذلك كله"[67] (حموده، م. 2011: 132).

وقد تعددت خزائن الكتب والمخطوطات من حيث العدد ومن حيث التنوع في التخصص، فمنها ما قد تمت فهرسته وتصوير مخطوطاته من قبل الجمعيات[68] المختصة في ذلك، ومنها ما لم يتوصل إليه بعد.

وأغلب الخزائن والمكتبات هي عند أهلها تحت الحفظ والصون، وقد فهرست ليعلم ما تتضمنه من كتب ومخطوطات، وعن هذه النقطة يؤكد لنا أبو القاسم سعد الله قائلا: "ولابد لنا من التنويه بمكتبات ميزاب التي كانت ببني يزقن بالخصوص شهيرة بها والتي حافظ عليها أصحابها كعائلتي الثميني واطفيش، بكل غيرة وعناية"[69] (سعد الله، أ. 1998: 310/1).

المحاضر القرآنية (الكتاتيب):

من ضمن ما يندرج في التنشيط الثقافي للمجتمع المزابي في الفترتين التاريخيتين الحديثة والمعاصرة، وعرف الاستمرارية في الحركة التاريخية، المحاضر القرآنية، أو الكتاتيب القرآنية، والتي ساهمت بدور فعال في الحركة العلمية والثقافية في منطقة مزاب، وكما تعتبر الخطوة الحقيقية في تكوين البنية القاعدية العلمية والثقافية للتلميذ، ومنطلقا له نحو التمكن في الدين والعلم والثقافة، ويعرفها أحد الدارسين بقوله: "تمثل المستوى الأول من التعليم، حيث يحفظ فيها الصبي ما تيسر من القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة، ويلقن مبادئ العلوم العربية والشرعية وهي بالذات ما يعرف بالكتاب"[70] (الشيخ بالحاج، ق. 2011: 106).

بعد أن يختم التلاميذ القرآن ويستظهرونه في الكتاتيب، يتم ترقيتهم إلى مرحلة تعليمية أخرى، هي حلقة إروان وهي من أحد أنظمة مجلس العزابة، لتلقي دروس في العقيدة والفقه وعلوم العربية، بالإضافة إلى ما يقدم من دروس في المسجد من طرف الواعظ والمرشد، كما يقوم بعض كبار شيوخ العزابة بفتح مكتباتهم لأعضاء حلقة إروان ليستزيدوا في العلم، ويتفقهوا في الدين أكثر[71] (بكلي، ع. 2009: 83).

ويعود تاريخ ظهور المحاضر القرآنية في وادي مزاب إلى القرن الخامس الهجري، واستمر من ذلك الوقت إلى الزمن الراهن، وقد عرف في العصر الحديث نشاطا وحركية كبيرة، إلا أنه بعد أن زحف الاحتلال الفرنسي على المنطقة قام بالتضيق على هذه المكاتيب، كما حارب التعليم العربي الإسلامي في باقي القطر الجزائري[72] (بكلي، ع. 2009: 83 ـ 84). وينظر كذلك: (دبوز، م. 2013: 117/3).

وتتواجد هذه المحاضر القرآنية غالبا بجوار المسجد ويلتحق بها تلاميذ من مختلف الأعمار ومن مختلف الطبقات لا فرق بين واحد وآخر، ويتم فيها تعليم القراءة والكتابة ورسم وتحفيظ القرآن، والعقيدة الحديث النبوي وكل ما يتصل بالصلاة[73]، ويؤكد هذه النقطة أحمد توفيق المدني قائلا: " المحضرة في عرفهم عبارة عن كتاب للإملاء وتعليم الخط وحفظ القرآن العظيم ودراسته...وسميت بذلك لأنها تحضر الصبي وتهيئه للدخول في زمرة التلاميذ لتلقي العلوم، وهي تحت إدارة أحد أعضاء العزابة يعرف بالفقيه..."[74] (المدني، أ. بـ س: 118 ـ 119).

خلاصة:

ما يمكن قوله في نهاية هذه الدراسة أن المجتمع المزابي كان له دور معتبر في تنشيط الحركة الثقافية بالجنوب الجزائري في فترة التاريخ الحديث والمعاصر، ولم يمنع الإقليم الجغرافي لمنطقة مزاب الصعب، والمتمثل في الصحراء، من حركية العلم والفكر وتحدي الصعوبات والعوائق الطبيعية والبشرية، بل تم تحدي كل هذه العوائق وغيرها، حتى كادت منطقة مزاب أن تضاهي مدن الجزائر الكبرى كبجاية وتلمسان وقسنطينة، في ميدان العلم والثقافة، إلا أن النهضة العلمية في المنطقة كان قد غلب عليها طابع العلوم النقلية (العلوم الشرعية) على العلوم العقلية (العلوم الدنيوية)، ولكني أقول أنها بالرغم من كل هذا فإنه قد حق لها أن تملك حق المرجعية الدينية والفكرية.

وختاما أريد أن أستحضر جزءا من كلمة المؤرخ أبو القاسم سعد الله التي قالها بعد أن زار منطقة مزاب في بداية التسعينيات بقوله: "عندما تتبارى المدن والنواحي الجزائرية في ميدان العلم والأدب وحلبة العروبة والإسلام ومضمار الوفاء لسدنة هذه الثوابت، ستقف ميزاب في الطليعة بدون منازع..."[75] (سعد الله، أ. 2013: 93).

قائمة البيبليوغرافيا

الكتب:

1. إبراهيم بحاز ومحمد باباعمي وآخرون: 2009م، معجم أعلام الإباضية من القرن الأول الهجري إلى العصر الحاضر (قسم المغرب الإسلامي)، ج2، ط خ، الجزائر، عالم المعرفة.
2. أبو القاسم سعد الله، 2013م، حفل في ميزاب، ضمن كتاب: مكانة الإباضية في الحضارة الإسلامية، إع. محمد صالح ناصر، ط2، الجزائر، مركب المنار.
3. أبو القاسم سعد الله: 1998م، تاريخ الجزائر الثقافي، ج2، ط1، لبنان، دار الغرب الإسلامي.
4. أحمد توفيق المدني بـ س، كتاب الجزائر، المطبعة العربية، ط1، الجزائر.
5. أحمد بن مهني بن سعيد مصلح، 2012م، الوقف الجربي في مصر ودوره في التنمية الاقتصادية والاجتماعية والثقافية من القرن العاشر إلى القرن الرابع عشر الهجريين (وكالة الجاموس نموذجا)، ط1، الكويت، إدارة الدراسات والعلاقات الخارجية.
6. إبراهيم محمد طلاي، بـ س، المدن السبع في وادي ميزاب، بـ ط، الجزائر، جمعية التراث لبني يزقن.
7. أحمد محمد فرصوص، بـ س، الشيخ أبو اليقظان إبراهيم كما عرفته، بـ.ط الجزائر، دار البعث.
8. بشير بن موسى الحاج موسى، 2006م، الشيخ سعيد بن علي بن يحي الخيري الجربي الشهير بالشيخ عمي سعيد (ت927هـ/1521م)، ط2، الجزائر، مؤسسة الشيخ عمي سعيد.
9. الحاج أحمد كروم، 2010م، الشيخ أبو إسحاق إبراهيم اطفيش ـ العالم العامل ـ، ط1، الجزائر، جمعية الشيخ أبي إسحاق إبراهيم اطفيش لخدمة التراث.
10. يوسف بن أحمد الباروني، 1998م، جزيرة جربة في موكب التاريخ، تح. سعيد بن يوسف الباروني، بـ.ط، تونس، بـ د ن.
11. يوسف الحاج سعيد، 2006م، تاريخ بني مزاب ـ دراسة اجتماعية واقتصادية وسياسية ـ، ط2، الجزائر، بـ. د. ن.
12. يوسف الحاج سعيد، 2014م، الهوية المزابية أهم عناصرها وتشكلها عبر التاريخ، ط2، الجزائر، المطبعة العربية.
13. مالك بن نبي، 2000م، مشكلة الثقافة، تر. عبد الصابور شاهين، ط4، سورية، دار الفكر.
14. محمد علي دبوز، 2013م، نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة، ج3، ط1، الجزائر، عالم المعرفة.
15. مبارك بن محمد الميلي، بـ س، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، ج2، بـ ط، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب.
16. مصطفى ابن ادريسو وعيسى بوراس وآخرون، 1994م، مخطوطات مكتبة البكري (الشيخ عبد الرحمن بكلي)، بـ.ط، الجزائر، جمعية التراث.

17.محمد صالح ناصر، 2013م، مشايخي كما عرفتهم، ط2، الجزائر، دار ناصر للنشر والتوزيع.

18.محمد صالح ناصر، بـ س، الشيخ إبراهيم بن عمر بيوض مصلحا وزعيما، بـ ط، الجزائر، مكتبة الريام.

19.محمد صالح ناصر، 1980م، أبو اليقظان وجهاد الكلمة، ب ط، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع.

20.محمد علي دبوز، 1978م، أعلام الإصلاح في الجزائر، ج3، ط1، الجزائر، مطبعة البعث.

21.عبد القادر موهوبي السائحي الإدريسي الحسني، 2011م، ومضات تاريخية واجتماعية لمدن واديي ريغ وميزاب وورقلة والطيبات والعلية والحجيرة، بـ ط، الجزائر، دار البصائر.

22.عبد الوهاب بكلي، 2009م، الشيخ القرادي الحاج أيوب إبراهيم بن يحي ـ آثاره الفكرية ـ، ط2، الجزائر، جمعية النهضة.

23.صالح بن عبد الله أبو بكر، 2015م، القرارة من دخول الاستعمار الفرنسي إلى ما بعد الحرب العالمية الأولى 1882م ـ 1921م، ط1،الجزائر، جمعية التراث.

24.صالح بن عمر اسماوي، 2008م، العزابة ودورهم في المجتمع الإباضي بميزاب، ج2، ط1، الجزائر، مطبعة الفنون الجميلة.

25.قاسم بن أحمد الشيخ بالحاج، 2011م، معالم النهضة الإصلاحية عند إباضية الجزائر (1157هـ ـ 1744م إلى 1382هـ ـ 1962م، ط1، الجزائر، جمعية التراث.

26.قاسم الشيخ بالحاج، 2001م، مذكرات من أعماق جزيرة زنجبار، ب ط، الجزائر، منشورات التبيين الجاحظية.

27.الشيخ أبي العباس أحمد بن سعيد الدرجيني،1974م، طبقات المشايخ بالمغرب، تح. إبراهيم طلاي، ج1، بـ ط، الجزائر، مطبعة البعث.

28.الشيخ إبراهيم بن بحمان بن أبي محمد بن عبد الله ابن عبد العزيز الثميني اليسجني المصعبي، 2007م، رحلة المصعبي، تح وتع. يحي بن بهون حاج امحمد، بـ.ط، الجزائر، وزارة الثقافة.

29.الشيخ امحمد بن يوسف بن عيسى اطفيش الشهير بقطب الأئمة (1238هـ ـ 1821م/1332هـ ـ 1914م)، 2007م، رحلة القطب، در وتح. يحي بن بهون حاج امحمد، ط.1، الجزائر، ب.د.ن.

30.خير الدين شترة، 2009م، الطلبة الجزائريون بجامع الزيتونة (1900 ـ 1956م)، ج3، ط خ، الجزائر، دار البصائر.

المقالات:

1. يحي بوراس، 2013م، الحياة الفكرية بمنطقة مزاب في القرنين 9 ـ 10هـ/15 ـ 16م مخطوط أجوبة الشيخين سعيد الجربي وعيسى المصعبي أنموذجا، مجلة المنهاج، ع2، جمعية الشيخ أبي إسحاق إبراهيم اطفيش لخدمة التراث، الجزائر.
2. مصطفى بن الحاج بكير حموده، 2011م، مكتبة الشيخ أبي عبد الله الحاج محمد ابن سعيد بن محمد بن سليمان الشهير بـ: الشيخ بالحاج من علماء القرن 10 الهجري، مجلة المنهاج، ع1، جمعية الشيخ أبي إسحاق إبراهيم اطفيش لخدمة التراث، الجزائر.

الرسائل الجامعية:

1. محمد بوسعدة، 2014 ـ 2015م، الشيخ أبو إسحاق إبراهيم اطفيش ـ كتاباته ومواقفه السياسية ـ (1305 ـ 1385هـ/1888 ـ 1965م)، مذكرة ماستر، جامعة غرداية، الجزائر.

2. عائشة يطو، 2009 ـ 2010م، الحركة اللغوية عند الإباضية في المغرب الإسلامي من القرن العاشر الهجري إلى القرن الثالث عشر الهجري، أطروحة الدكتوراه، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية قسنطينة، الجزائر.

تاريخ الاستلام: 2016/02/13- تاريخ التحكيم: 2016/09/25 -تاريخ النشر 2016/12/30

التراث العسكري الإسلامي الوسيط بين تقليدية الطرح ورهانات القراءة الجديدة

د. خميسي بولعراس

جامعة محمد لمين دباغين، سطيف 2- (الجزائر)

❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁

الملخص

اشتغلت أقلام الباحثين في الحقل التاريخي على الكثير من الإشكالات التاريخية والفلسفية التي أخذت حقها من الدراسة والتحليل، ولكن في جانب أخر نلاحظ غياب الكثير من الإشكالات التي مازالت مادة خام لم تستغل بعد بسبب قصور وتقليدية المنهج وذاتية المذهب، ولعل من بينها قضايا التراث العربي الإسلامي والذي وإن كان قد قطع أشواطا كبيرة في إخراجه وتحقيقه ودراسته كالفنون والأدب والعلوم والدين ولكن غيبت دراسات في بعض أقسام هذا التراث ونقصد به التراث العسكري الذي يعد مقوما أساسا في تشكل الهوية ومرجعية للمنظومة العسكرية الإسلامية.

إلا أن طرق طرحه كانت بمناهج تجاوزها القارئ المعاصر الذي يتميز بالميغامعرفة فكان طرحا مراهقا غرضه الحماسة لذلك وجدنا في مكتبتنا العربية الإسلامية الكثير من المخطوطات العسكرية التي أنتجتها نخب موسوعية بينت تنظيراتها العسكرية وراسمة معالم مدرسة عسكرية لذلك في الخطاب التراثي العسكري وجب أن يقدم للقارئ بمناهج علمية تعتمد على الرياضيات والكيمياء والفيزياء لتحريكه لأنها موضوع تقني يحتاج إلى مصطلحات تقنية لنخرج هذا التراث من الميتافيزيقا الوصفية إلى القراءات البينية.

الكلمات المفتاحية: التراث، التراث العسكري، النخب العسكرية، رهانات القراءة، المخطوط العسكري

Abstract

Throughout history researchers in the historical field were baffled about a lots of historical and philosophical problems that took much attention and study. Meanwhile on the other side, we can notice lots of problems which are still as if they are raw material. they didn't studied or availed very well due to the insufficiency of traditionalism in method and subjective ideology . One of the most important cases is the Arabic Islamic heritage, even though great effort was made to direct, verify, and study its art, literature, science, and religion, but some branches were almost completely neglected like the martial heritage which is a significant part in the formation of the identity and reference to the Islamic martial system.

The martial heritage was presented in methods which the contemporary reader who is well informed sees it as irrelevant and absurd intended for enthusiasm, therefore we found in our libraries lots of islamic martial manuscripts who were produced by elite intellectuals who presented its martial strategies and drew islamic martial landmarks. Therefore, the martial heritage discourse must be presented to the readers based on scientific methods that rely on mathematics, chemistry and physics because it is a technical subject. It needs technical terminology to take this heritage from descriptive metaphysics to demonstrative readings .

يعتبر التراث العربي الإسلامي واحدا من كنوز الحضارات ممتد الجذور، لذلك فالمخطوط جزء من هذه الذاكرة التراثية خصص له معهد ومجلة خاصة لإبرازه وهما معهد المخطوطات العربية بالقاهرة الذي تأسس سنة 1946 م وانبثقت عنه مجلة معهد المخطوطات العربية، التي كان أول إصدار لها سنة 1955. (علم المخطوط العربي. 2014: 05)

والتراث مصطلح واسع الدلالة يعني ما تركه لنا السابقون من علوم ومعارف وفنون وعرف هذا المصطلح سيرورة مع الزمن إلى أن استقر مدلوله على الموروث الفكري الذي تراكم بفعل جهود الأجيال السابقة عبر مسار الحضارة الإسلامية (محمد، ز. 2006: 45) ، وحفظ التراث ووصوله إلينا كان بفعل الحرص على التدوين والكتابة، وقد ظلت الكتابة لزمن طويل من عمل اليد، ولذلك فإن أغلب نصوص التراث القديم عبارة عن مخطوطات سواء كان كاتبها المؤلف نفسه أم أحد تلامذته أو ناسخ محترف عاصر المؤلف (محمد، ز : 46) .

والتراث العسكري الإسلامي الوسيط مقوما أساسيا من مقومات تشكل الهوية العربية الإسلامية، فرغم أهميته كلبنة في البناء الحضاري إلا أنه لم يعطَ حقه من الدراسة والتعريف به من قبل الباحثين، فكان تراثا مغيبا عكس ما نلاحظه في أنواع أخرى كالفنون والأدب والعلوم والدين، حيث قطعت فيه أشواطا كبيرة في إخراجه وتحقيقه ودراسته، وإن كانت هناك محاولات في تحريك التراث العسكري الإسلامي عن طريق بعض الكتابات من أجل إبرازه وتبيان مكانته، إلا أنها كانت ذات نظرة ومنهجية تقليدية محدودة طغت عليها مراهقة الطرح الذي اتسم بالحماسة والافتخار والبطولة فجعلته في ركن من أركان المتاحف.

من خلال هذا الطرح يمكن تقديم التساؤلات الآتية:

- ما المقصود بالتراث العسكري الإسلامي المخطوط ؟
- ما هي أطروحاته ومضامينه ؟
- مساهمات الباحثين العرب في هذا النوع من التراث بين تقليدية الطرح وضرورة القراءة الجديدة.

1- مفهوم التراث العسكري الإسلامي المخطوط:

نقصد به تلك المؤلفات والكتابات التي تمحورت مضامينها حول فنون التعبئة والخطط العسكرية وصناعة السلاح وتطويره والتدرب عليه وتحريك الجيوش وتوجيه الجواسيس والطلائع والسرايا والخدع الحربية وفنون تعلم الفروسية (الموسوعة العسكرية. 2009: 14) ، لذلك اكتسى التراث العسكري الإسلامي أهمية بالغة في تشكيل الهوية ورسم خطوط تجديدية للمستقبل، حيث يركز محمد عابد الجابري على ضرورة الاهتمام بالتراث دراسة وتحقيقا، حتى ننتقل من كائنات تراثية إلى كائنات لها تراث (الجابري.م.ع، 1993: 16) .

ويشمل التراث العسكري الخبرات العسكرية كتاريخ الجيوش البرية والأساطيل وهو أساس مطلوب للتعليم العسكري ومنطلقا علميا ضروريا للجند النظامي في تدريبه المهني وتطويره الفكري، أضف إلى ذلك أن دراسته يعطي للأمة كيفية وضع خططها الصحيحة وتحديد نوع التربية لأفرادها (أمين.م.ف، 2005: 79، 80).

2- أطروحات ومضامين التراث العسكري المخطوط (دراسة نماذج):

عندما نقرأ المصنفات نجد ان المؤرخين في العصر الوسيط اهتموا بكتب الطبقات فوزعوها حسب اختصاص كل طبقة، حيث نجد طبقة المفسرين، المحدثين، الفلاسفة، الصوفية والحنابلة والشافعية والمالكية...إلخ، ونلاحظ أن كل هذه الطبقات برزت من خلال مؤلفاتها فأعطاها المؤرخون حقها من الدراسة.

ومما لا يدعو إلى الشك أن هذه الطبقات ساهمت في إحداث ثورة في المفاهيم والمدلولات والبرامج شكلت معالم كبيرة في تاريخ الحضارة العربية الإسلامية. (أنظر كتب الطبقات المختلفة)

ولكن عندما نتصفح مضامين هذه الطبقات لا نجد مكانا لطبقة مهمة في حركية الحضارة بل روحها وهي طبقة العسكريين، فهل هذا تجاهل أم طغيان الجانب الديني والفكري في الحضارة العربية الإسلامية ؟ رغم أن جل إنجازات هذه الحضارة كانت بفضل هذه الطبقة التي حملت على عاتقها مهمة التوسع وحفظ الأمن والسياسة، بل

أنهم نظروا في المنظومة العسكرية العربية ويظهر ذلك من خلال هذه المخطوطات التي تخصصت في الفن العسكري قيادة وتنظيرا، ويمكن تقسيمها إلى ما يلي:

أ- مخطوطات في الأسلحة وفن الرماية: وتشمل كتاب معرفة علم الرمي لمؤلف مجهول، والواضح في الرمي والنشاب للطبري بن جرير، والأنيق في المنجنيق لأرنبغا الزردكاش، وغرس الأنشاب في الرمي بالنشاب لجلال الدين السيوطي (موسوعة الحضارة العربية الإسلامية، 1995: 133،134) ومخطوط بغية المرامي وغاية المرام للمعاني في علم الرمي لسيف الدين الأشرفي يشمل علم الرمي وفروعه والركوب ووضعياته (لبسيري، أ. 2009: 233) وكتاب تبصرة أرباب الألباب في كيفية النجاة في الحروب من الأسراء ونشر الأعلام في العدد والآلات المعينة على لقاء العدو للطرسوسي مرتضى بن علي يبحث فيه كيفية صناعة الأسلحة والمواد الداخلة في ذلك كالقوس والرماح والتراس. (الطرسوسي،م.1947: 12).

ب- مخطوطات في الفروسية: نذكر منها: الفروسية لبدر الدين الرماح، وعلم الفروسية وآلات الحرب لمؤلف مجهول، والنفحات المسكية في صناعة الفروسية لأحمد بن محمد الحوي، مدخل في فن الفروسية والحيلة الحربية لمؤلف مجهول، كتاب الفروسية والمناصب الحربية لحسن نجم الدين الرماح، مخطوط كامل الصناعة في الفروسية والشجاعة لبدر الدين محمد بن بكتوت الذي يبين فيه فن علم الفروسية ومواصفات وشروط الفارس وكيفية الصدام، كتاب في الفروسية والمعرفة بالدواب لمؤلف مجهول، كشف الغمة عن جميع الأمة لعبد الوهاب بن أحمد الشعراني. (إبن عماد، ح. 1986: 234، 235)

ج-مخطوطات في الحروب والجهاد: منها: مختصر في سياسة الحروب للهرثمي صاحب الخليفة المأمون، كتاب كشف الكروب في معرفة الحروب لعماد الدين موسى بن محمد الذي يبحث في فن الحرب الإسلامي ونظام الجند، تفريج الكروب في تدبير الحروب لأبي عبد الله محمد بن الرشيدي، كتاب رسالة في الجهاد وآداب الحرب، وكتاب التساريح والتباطيل الذي يعالج فنون الحرب والخطط الحربية، القوانين الفقهية في تلخيص مذهب المالية لأبي القاسم محمد بن أحمد الكلبي الغرناطي. (الزركلي.2002،ج5: 325)

د- مخطوطات في فنون القتال والتعبئة: منها: السعي المحمود في ترتيب العساكر والجنود لابن العنابي، كتاب الأدلة الرسمية في التعابي الحربية والحيل في الحروب وفتح المدائن وحفظ الدروب لابن منكلي الناصري. (إبن منكلي، م، ن. 2002: 16،17 ، 21، 26، 39، إبن منكلي 1988: 220، 221، 223، 226، 230 . إبن العنابي.1983).

هذه بعض المخطوطات التي حفظتها لنا بعض المصادر كابن النديم في كتابه الفهرست، ومعهد المخطوطات العربية بالقاهرة، وهناك الكثير منها ضاع واندثر (إبن النديم. 2009: 341) فيما يتعلق بجيوش العرب لدرجة أن ليو الرابع البيزنطي كتب مقتطف عن جيوش العرب في كتابه الأكثر شهرة والمتعلق بالإستراتيجية وفن التكتيك الحربي الموسوم بـ: The Taktica تكتيكا، دوّن الكثير من الإستراتيجيات العسكرية العربية التي انبهر بها.
(عبيد، ط، خ . 2000: 124، 125، 127)

يضاف إلى ذلك أن الدراسات التاريخية التي قام بها الباحثين العرب والمسلمين حول العديد من علماء ومؤرخي الحضارة العربية الإسلامية تمحورت حول الجانب الاجتماعي والاقتصادي والفقهي وأغفلت جانبا مهما لهؤلاء

العلماء والمؤرخين الذين أثروا بمصنفاتهم التاريخ العسكري بتنظيرتهم التي تمحورت حول فن الحرب والخطط العسكرية والرماية والفروسية والجوسسة والتحصين والحصار، ولعل أهمها:

أ- عبد الرحمن بن خلدون: حيث خصص في مقدمته بابا عالج فيه أنواع الحروب وفنون القتال ونظام الصفوف. (الهرثمي: 24، إبن منظور. 1994: 63، فاروق،ع ، ف. 1988: 207) والكراديس (الهرثمي: 34) وعوامل النصر والتكتيك وعن الحرب البحرية والأساطيل (إبن خلدون، ع. 2001: 336) ويبدو لنا من خلال ذلك أن ابن خلدون مطلع على التراث الإغريقي والروماني والعربي الذي اتخذه كمصادر في تنظيراته العسكري، أضف إلى ذلك تجاربه واحتكاكه بالجند باعتباره كان قريبا من البلاط السياسي والأحداث (البسيري، أ. 2007: 247. 248)

ب- ابن قتيبة الدينوري: في كتابته (عيون الأخبار)، أين خصص في الجزء الثاني بابا عن الحرب وحيلها ومكائدها وفنون القتال والتسليح وأهمية الفروسية وتعلمها والكمين وتقنياته وكيفية التحصن والحصار (إبن قتيبة، د 1996: 109. 14.194.202)، ويبدو لنا أن ابن قتيبة تأثر كثيرا بالفكر العسكري الفارسي واقتبس منه الكثير وليس معنى هذا التأثر السلبي بل زاوج بين الفن الفارسي والعربي، وهذا يدل على أن العرب لم يكونوا منعزلين بل أكثر تفتحا ودراية بالآخر وتطوراته العسكرية، ولعل سلمان الفارسي وأبو مسلم الخراساني كانت لهم صولات وجولات ومساهمات في التكتيك العربي كغزوة الخندق وتأسيس الدولة العباسية.

ت- الحسن بن عبد الله العباسي: في كتابه آثار الأول في تدبير الدول (العباسي،ح ،ع. 1989) وهو من أهم الكتب القيمة الذي وضعه مؤلفه في بداية القرن الثامن الهجري الرابع عشر ميلادي، حيث تناول فيه قسما خصصه للحروب، كفن ركوب وتعلم الفروسية باعتبارها نقطة ارتكاز هامة في الحرب، كما أمدنا بأنواع الأسلحة واستعمالاتها وكذا تكتيك الرمي والطعن وتعبئة العساكر وأوقاتها وما يفعله الهازم والمهزوم وفن الحصار وكيفيته وتكتيك الحرب البحرية (العباسي،ح ،ع . 1989: 370 .287.)، ويبدو لنا أن العباسي من خلال كتابه انه عايش الملوك وعرف أساليب القادة وتكتيكات المعارك وأدوات القتال وأساليب النصر ودواعي الهزيمة، فقد سبق زمانه بقرون، فتكتيكاته ما زالت صالحة إلى اليوم، فكان رجلا عسكريا أكاديميا (العباسي،ح ،ع 21 .)

ث- المرادي أبو بكر محمد بن الحسن: في كتابه (الإشارة في تدبير الإمارة)، حيث خصص بابا لفنون الحرب والسلم وأهمية الحرس والظروف المناخية والكمين والحيلة والمكر والخديعة والجواسيس في الحرب (المرادي،ح . 2003: 06 . 64. 65، إبن بشكوال. 2003: 547، بلغيث، م، ل. 1989: 56.57.) .

ج- الهرثمي صاحب المأمون: في كتابه مختصر الحروب، حيث خصص أربعين بابا في التكتيك الحربي وفنونه كالتعبئة وأنواع الصفوف وكيفية إعداد الكمين وتدبيره والطلائع وتدبيرهم والخداع والحيل وفن التشاور والإعداد للمعارك وشروط اختيار الجواسيس وفن بناء الحصون العسكرية وتكتيك المسير للحرب وأهمية الجانب الديني في رفع معنويات الجيش (الهرثمي، ص، م . 1964: 21. 22. 29. 39. 48. 50)

ح- **الشيباني محمد بن الحسن:** في كتابه (كتاب السير الكبير)، فرغم الطابع الفقهي للكتاب إلا أنه يقدم لنا مادة غزيرة في التكتيك الدبلوماسي والعلاقات الدولية وسبل نجاحها في الحرب، وكيفية التعبئة المادية والمعنوية وإستراتيجية حرب الماء والغذاء على المحاصرين، حيث أثنى على هذا الكتاب كل الباحثين المهتمين بالعلاقات الدولية في الإسلام، وهو أول كتاب في القانون الدولي العام في العالم بأسره، حيث تشكلت في ألمانيا جمعية الشيباني للقانون الدولي سنة 1955 تهدف إلى إظهار أرائه ونشر مؤلفاته. (الشيباني، م، ح، 1971: 243، ضمايرية ، ع ،ج . 1417هـ: 17. 20.)

خ- **ابن سلام:** في كتابه (كتاب السلاح)، وهو جزء من كتاب ضخم يسمى الغريب المصنف، وهذا الجزء يتضمن تكتيك وفن ووضعيات القتال بمختلف الأسلحة الموجودة في عهده وكيفية الطعن بها، كالسيف والسهم والرمح والخنجر...إلخ، وله عدة نسخ في اسطنبول، المكتبة الوطنية بتونس والمتحف العراقي. (إبن سلام، ب، ع، ق. 1985. 10. 12)

د- **محمد بن منكلي الناصري:** في كتابيه (الحيل في الحروب وفتح المدائن وحفظ الدروب) وكتاب (الأدلة الرسمية في التعابي الحربية) وهما مؤلفان يتناولان جزئيات الحرب وفنونها، كالخداع والحصون والتحصين والتسليح والرمي والكمين ونظام الجند والمسير إلى الحرب، ولعل ابن منكلي – حسب رأينا واطلاعنا- أول من أعطانا إشارة في كتابه التعابي الحربية عن الحرب البيولوجية، عندما يتكلم عن تسميم الطعام والمياه أثناء التحصين وجعله طعما للعدو المحاصر. (إبن منكلي، م، ن. 1988: 200. 201. 223. 226. 230، إبن منكلي، م، ن. 2000: 16. 17. 21. 39.)

ذ- **القيم الجوزية:** في كتابه (الفروسية)، فرغم نبوغه في الفقه والحديث إلا أنه كتب عن الفروسية وأساليب استخدامها في الحروب وكذا الرمي وفضائله وكيفيات التدرب عليه، وتقنيات الطعن بالرمح والمبارزة بالسيوف في مختلف الوضعيات فوق الفرس (إبن القيم، ج. 1425 هـ)

من خلال هذه النماذج المقدمة (M.Reinaud : 11-13) يتبين لنا أن هناك مدرسة عسكرية إسلامية قائمة بذاتها من حيث التنظير لفن الحرب وتقنياته، كما نستنتج من خلال أصحاب النماذج المقدمة أنهم كانوا عسكريين بامتياز وهذا هو الجانب المغيب في الدراسات حول هؤلاء المؤرخين الذين درسوا من قبل الباحثين كفقهاء وعلماء اجتماع ورواة وأدباء، بينما لا نجد دراسات حول هؤلاء المؤرخين كعسكريين.

مساهمات الباحثين العرب بين تقليدية الطرح ورهانات القراءة الجديدة:

لقد ساهمت الأقلام العربية رغم قلتها في نفض الغبار عن المخطوط العسكري وذلك من خلال مؤلفاتها التي تصب كلها في العقيدة العسكرية الإسلامية، ومن هذه الكتابات نجد مساهمة محمود شيت خطاب الذي أغنى المكتبة العربية بمؤلفاته العسكرية منها:

إرادة القتال في الجهاد الإسلامي، تاريخ جيش النبي، المصطلحات العسكرية في القرآن الكريم، تعريف المصطلحات العسكرية وتوحيدها، التوجيه المعنوي للحرب، العسكرية العربية الإسلامية، قادة فتح المغرب العربي.

وكذا مؤلفات عبد الرؤوف عون حول فن الحرب في الجاهلية وصدر الإسلام، وجمال الدين محفوظ الذي ساهم بمؤلف العقيدة العسكرية،والعسكرية في الإسلام، كما ساهم شوقي أبو خليل بمؤلفاته حول معركة الزلاقة، الأرك، العقاب.

ثم محمد فرج بمؤلف المدرسة العسكرية الإسلامية، ونجاة سليم محمود محاسيس بمعجم المعارك التاريخية، وأحمد زماني ببحوث في النظام العسكري في الإسلام، وكذا ضو مفتاح غمق بنظرية الحرب في الإسلام، وشكيب أرسلان بغزوات العرب، وياسين سويد بالفن العسكري الإسلامي ومحمود نديم أحمد بالفن الحربي للجيش المصري في العصر المملوكي، ومحمد عبد الحفيظ المناصر بالجيش في العصر العباسي، ومحمد علي الصلابي بمؤلفه غزوات الرسول، وفتحي زغروت بمؤلفه حركة الجيوش الإسلامية.

هذه بعض المؤلفات التي وصلت إليها أيدينا، فمن خلال العدد نجد أن المساهمات المشرقية في هذا الحقل كانت أكثر جرأة في معالجة هذا النوع من التراث، بينما نجد شبه غياب للمؤرخ المغاربي في هذا الحقل، إلا أن القارئ والمتصفح لمضامين هذه المؤلفات يجدها قد كتبت بلغة دينية حماسية بعيدة عن الطرح التقني الأكاديمي المصطلحي، وهذا ما نجده عند جمال الدين محفوظ ومحمد علي الصلابي وأحمد زماني كنماذج لذلك وقس على بقية المؤلفات، (أنظر محفوظ، ج. 1999، زماني، أ .1991) فكانت دراسة كلاسيكية ما عدا دراسة فتحي زغروت حول حركة الجيوش الإسلامية الذي اتخذ من المرابطين والموحدين نماذج للدراسة والتي اتسمت بالطرح الأكاديمي العسكري باعتباره خريج أكاديمية عسكرية أهلته مع خبراته إلى الكتابة في هذا النوع من التراث. (زغروت، ف. 2005)

إن التراث العسكري المخطوط نقل إلينا من مؤرخين موسوعيين وبلغة مصطلحية، تميزت بخليط في الطرح نظرا لتعدد ثقافة أصحاب المخطوطات، حيث كانوا فقهاء وفلاسفة وعلماء وشعراء...، ومن ثمة وجب أن يعاد طرح موضوع التراث العسكري بصيغ أخرى ومنهجية جديدة تعتمد كليا على هذا الكم من المخطوطات التي تخصصت في العسكرية والتقنية لأن عدم وجود تحديد تألفي في الحدث الماضي العربي الإسلامي يجعل المؤرخ سجين مفاهيم محدودة حول الوثيقة والحدث، (العروي ،عبد الله. 1996: 13. 14) باعتبار أن التراث العسكري في تجلياته الإبداعية المختلفة هو عصارة وإنتاج إنساني وهو وليد لحظة تاريخية متحركة ومتحولة وجب أن يسايرها المؤرخ حسب تعبير عبد الله العروي . (سلطان، ج . 1990: 7، العروي ،عبد الله. 12.)

ثم الابتعاد عن الذاتية والحشو اللغوي والكرونولوجي، ذلك أن بعض المؤرخين دمجوا قضية التراث في قوالبهم الأيديولوجية فكانت كتابات تصفية حسابات مع الآخر المختلف معه (سلطان، ج . 1990: 42) دون إحداث تحريك وذلك بمنهجية نقدية وقراءة تقنية موضوعية وهذا ما يؤدي إلى فشل القدرات العقلية. (العروي ،عبد الله. 1996: 06)

فدراسة المعارك والأساليب والتكتيكات التي استعملت فيها تعطي للمؤرخ ثراء معرفي يستطيع من خلاله تغذية أفكاره التي تستلزم منهجية متخصصة في موضوع نوعي ويفسر أسباب الهزيمة والنصر من الناحية التكتيكية. (عثمان، ح. 1964: 185، ناصر؟، س: 16)

ثم أن المؤرخ وجب عليه أن يكون عالما بالعلوم الفيزيائية والجغرافية لدراسة أرض المعركة والأسلحة من الناحية الوظيفية ودورها ومركزها في المعركة والمواد المصنوعة منها (حضر،ع ،ع. 1995: 265) ، ثم أن الأساليب الكمية صارت ضرورية للمؤرخ كتطبيق البيانات والإحصائيات واستخدام التقنية يعطي فكرة واستنتاج أكثر وضوح، وغيابها يؤدي إلى تكوثر التقليدية، وكذا ترجمة المعارك الوصفية السردية إلى أرقام وإحصائيات وقراءتها قراءة علمية رياضية لإخراجها في قالب ومنهج جديد موجه لقارئ معاصر متسارع . (El-Kolli Larbi , 2013 Aout .06,07,08زايد، م. 2000: 60. 61)

أما دراسة المعركة فتتم وفق المنهج الاستقرائي، ذلك أن تحليل المعركة من الجزء إلى الكل أي من بداية الصدام وحركة التعبئة وتحديد ثقل المعركة والفجوات التكتيكية للجانبين والسلاح الأكثر استعمالا والنجاحات التكتيكية وكيفية التعبئة والاستراتيجيات المطبقة لأن هذا يؤدي إلى بروز نتائج أكثر علمية لأنه انطلق من مقدمات جزئية إلى حكم كلي أي من التفسير البطولي التقليدي إلى التفسير الحضاري العسكري (عبيدات،م و أخرون. 1999: 48) .

ويمكن أن نقدم نموذجا لهذه الدراسة العلمية معركة الزلاقة (الحميري، ع. 1995: 83) 479 هـ/1086م من الناحية الإستراتيجية والتكتيكية التي قدمتها لنا المصادر بشكل سردي كرونولوجي مثل ابن أبي زرع في الروض القرطاس والحميري في صفة جزيرة الأندلس فبعد استخدامنا للطرق العلمية وصلنا إلى المفاهيم العلمية الآتية لتفسير مسار المعركة: (خميسي بولعراس. 2015: 139. 141)

المرحلة الأولى:

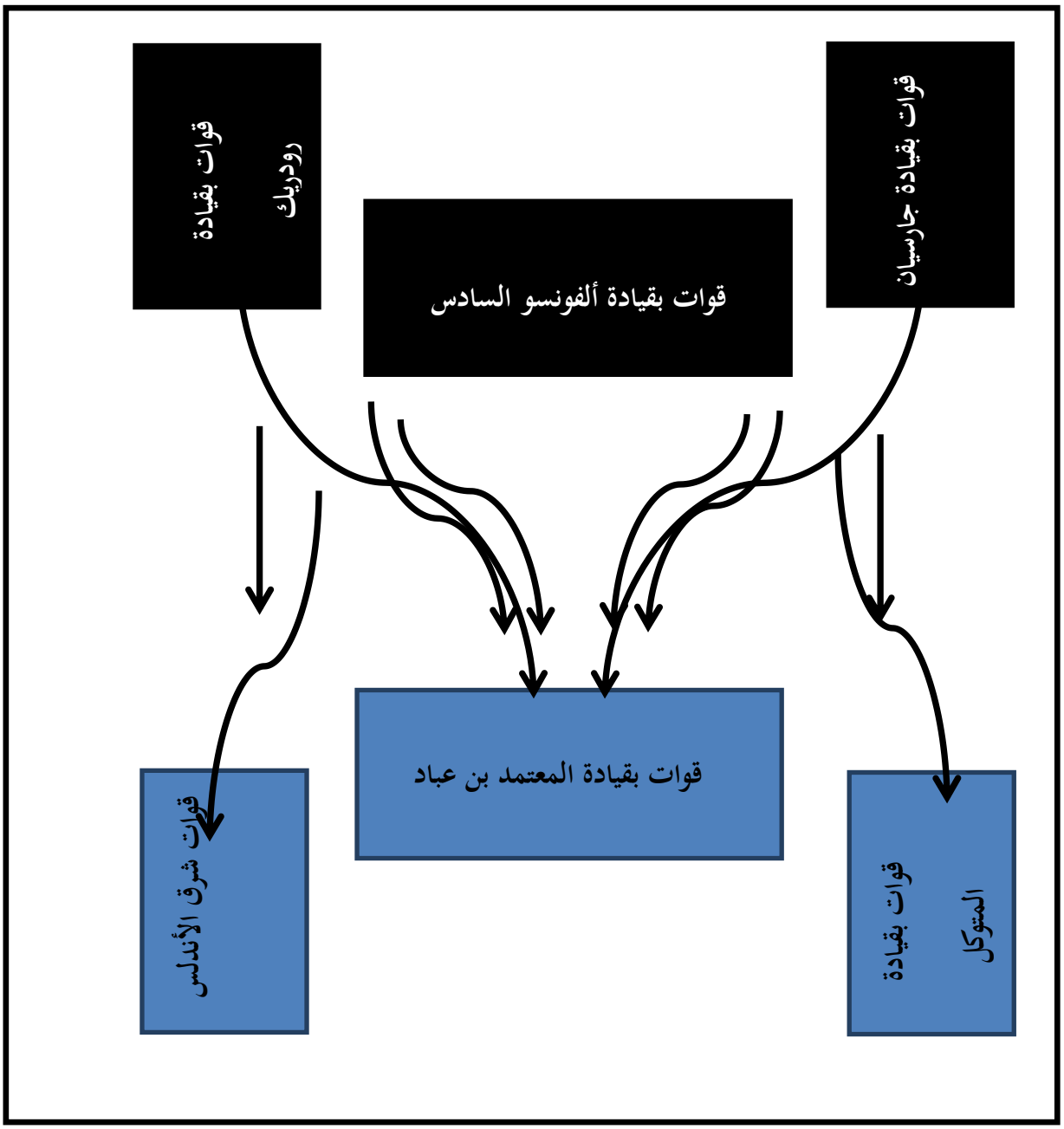

المرحلة الثانية:

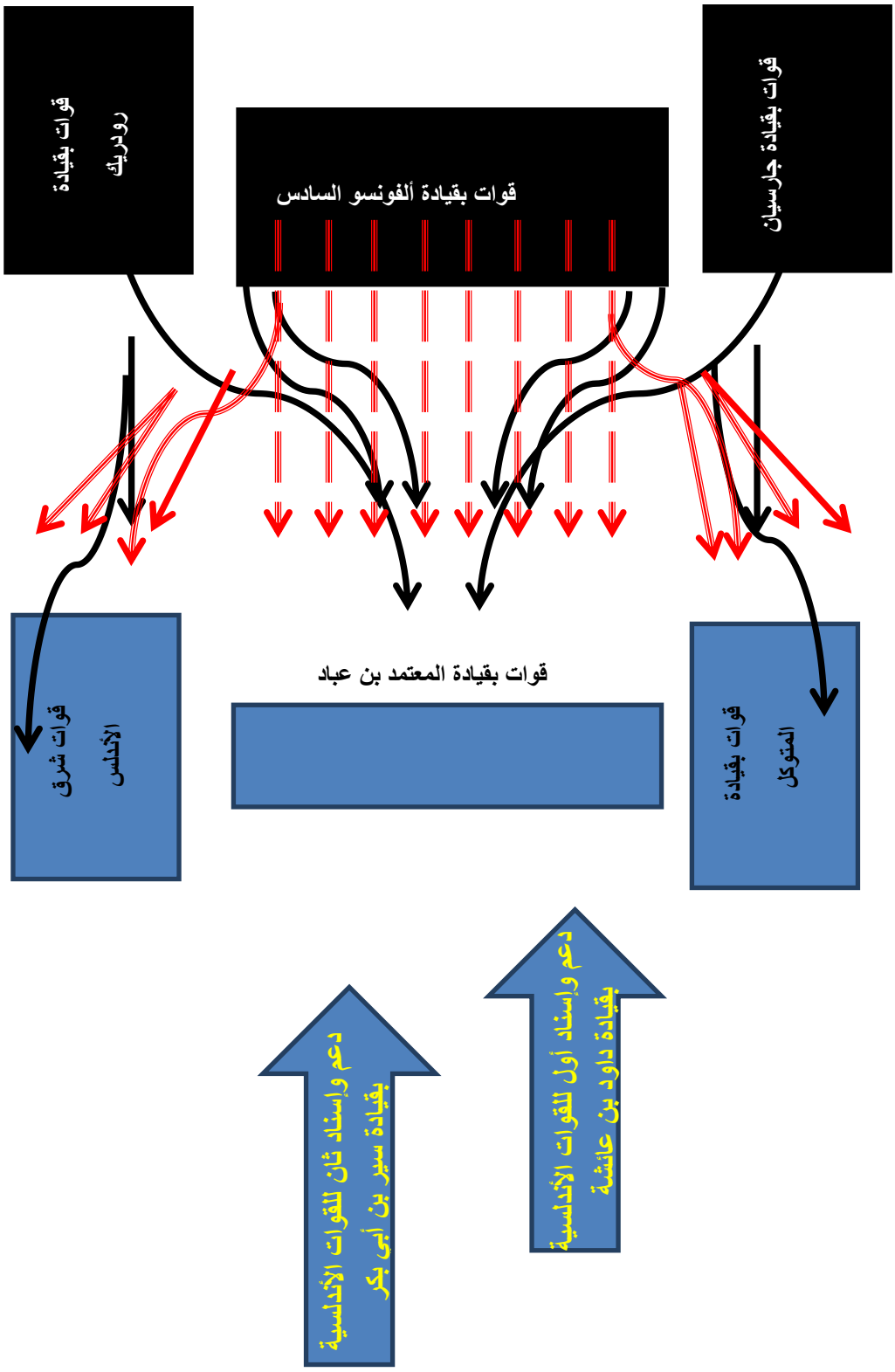

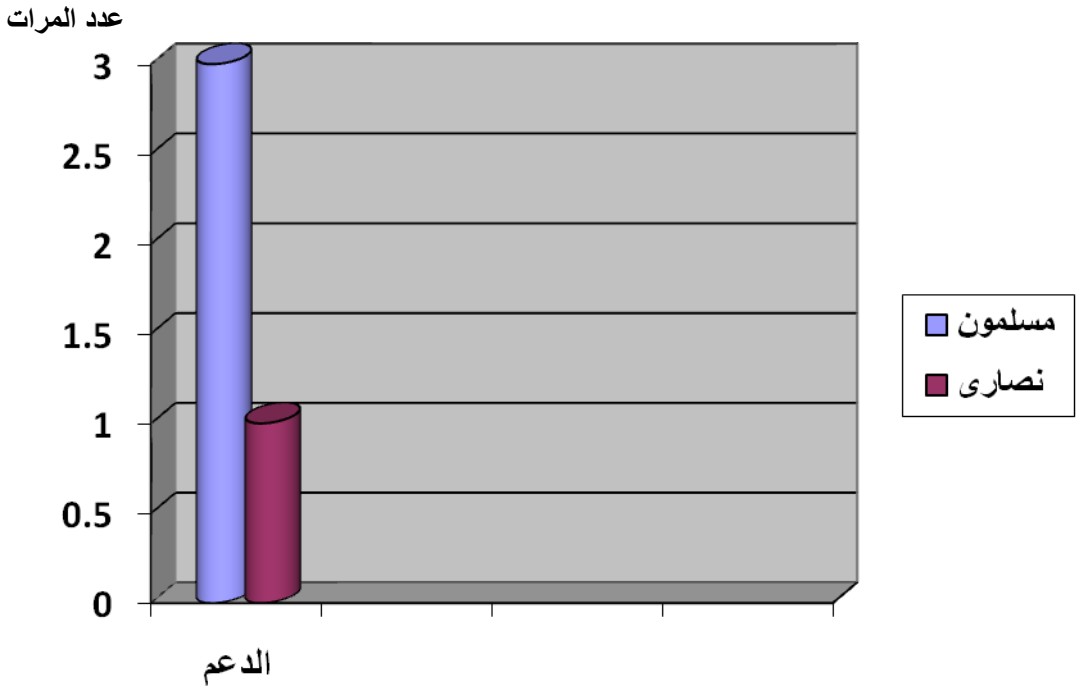

مدرج تكراري يوضح عدد مرات الدعم والإسناد خلال المعركة من كلا الجانبين

المرحلة الثالثة:

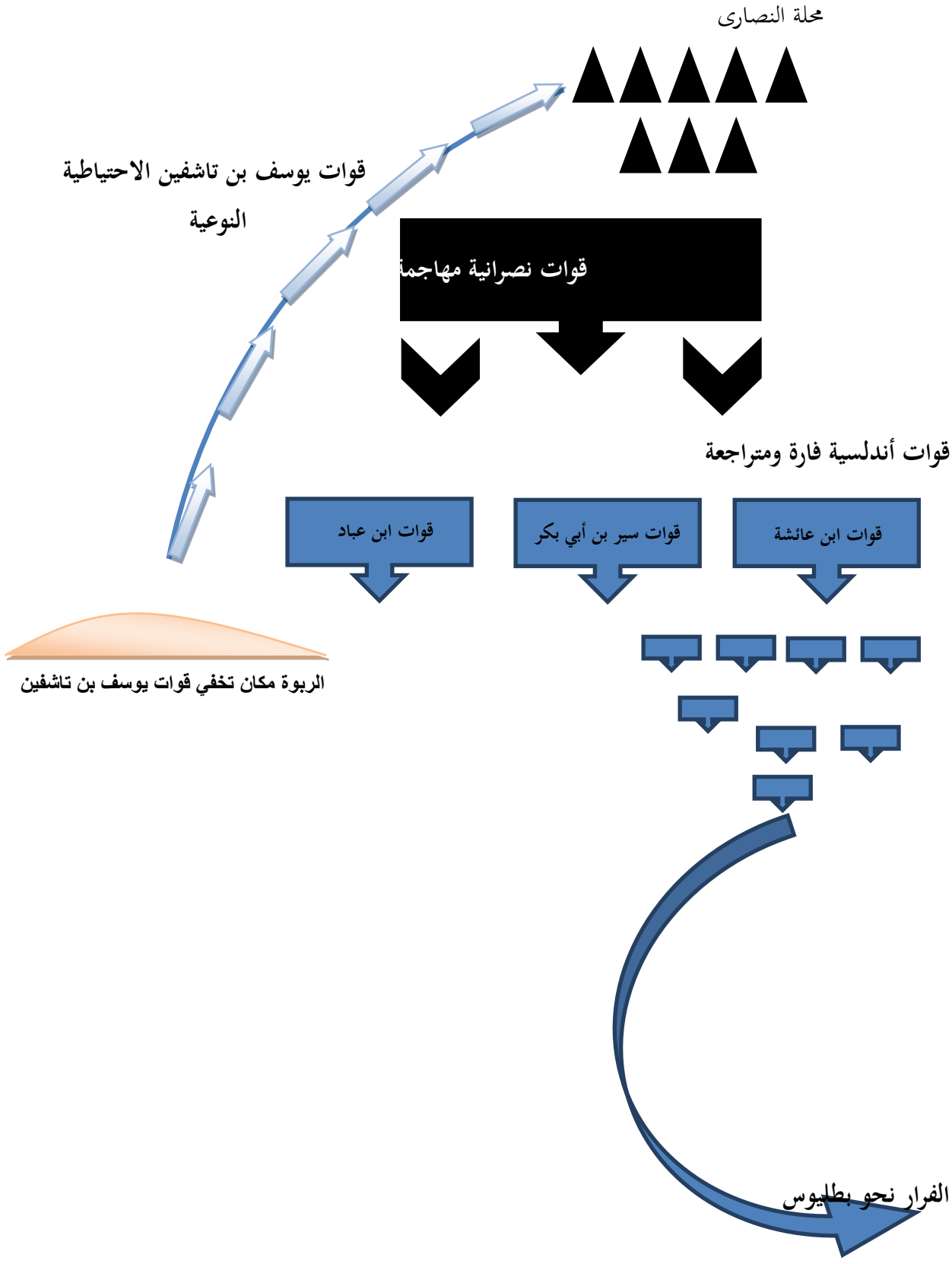

المرحلة الرابعة:

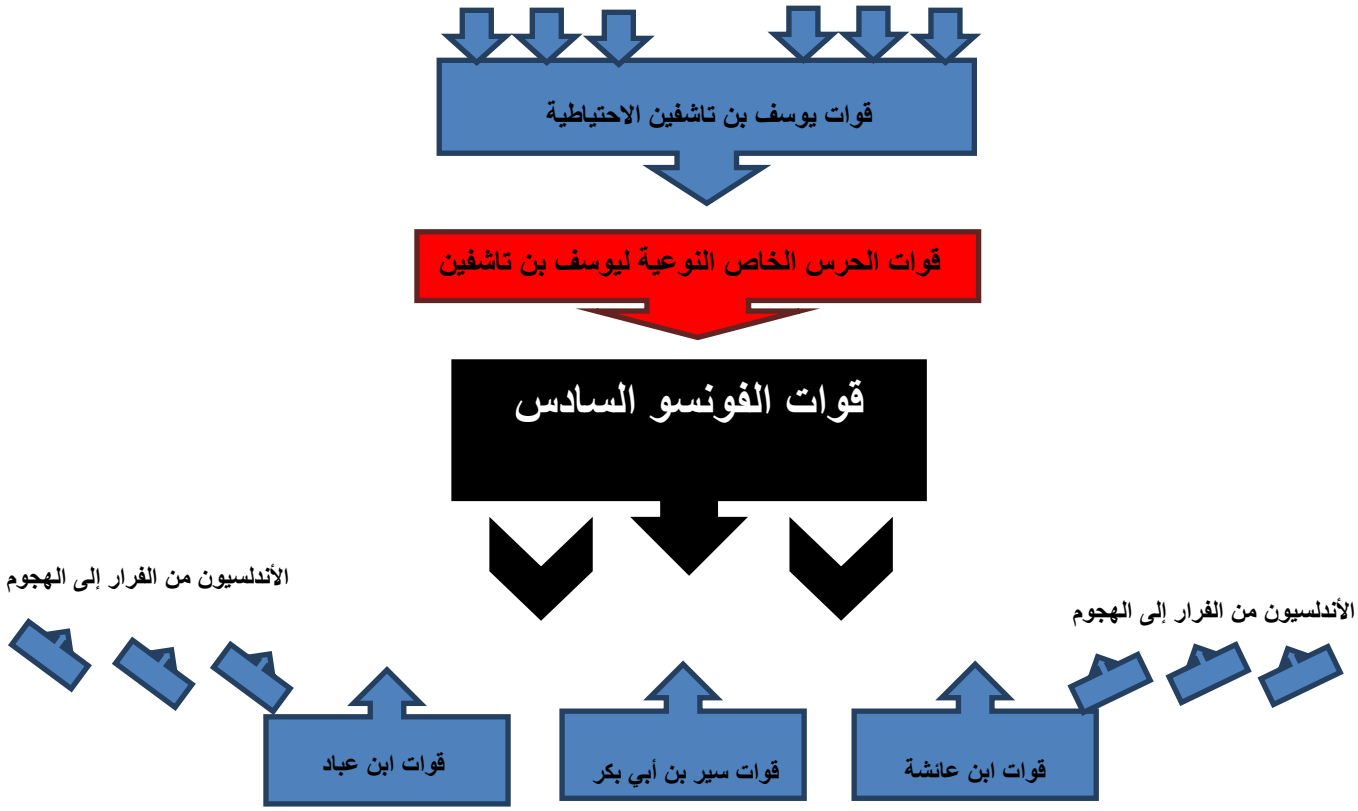

منحنى بياني يوضح قوة التحمل أثناء المعركة للطرفين

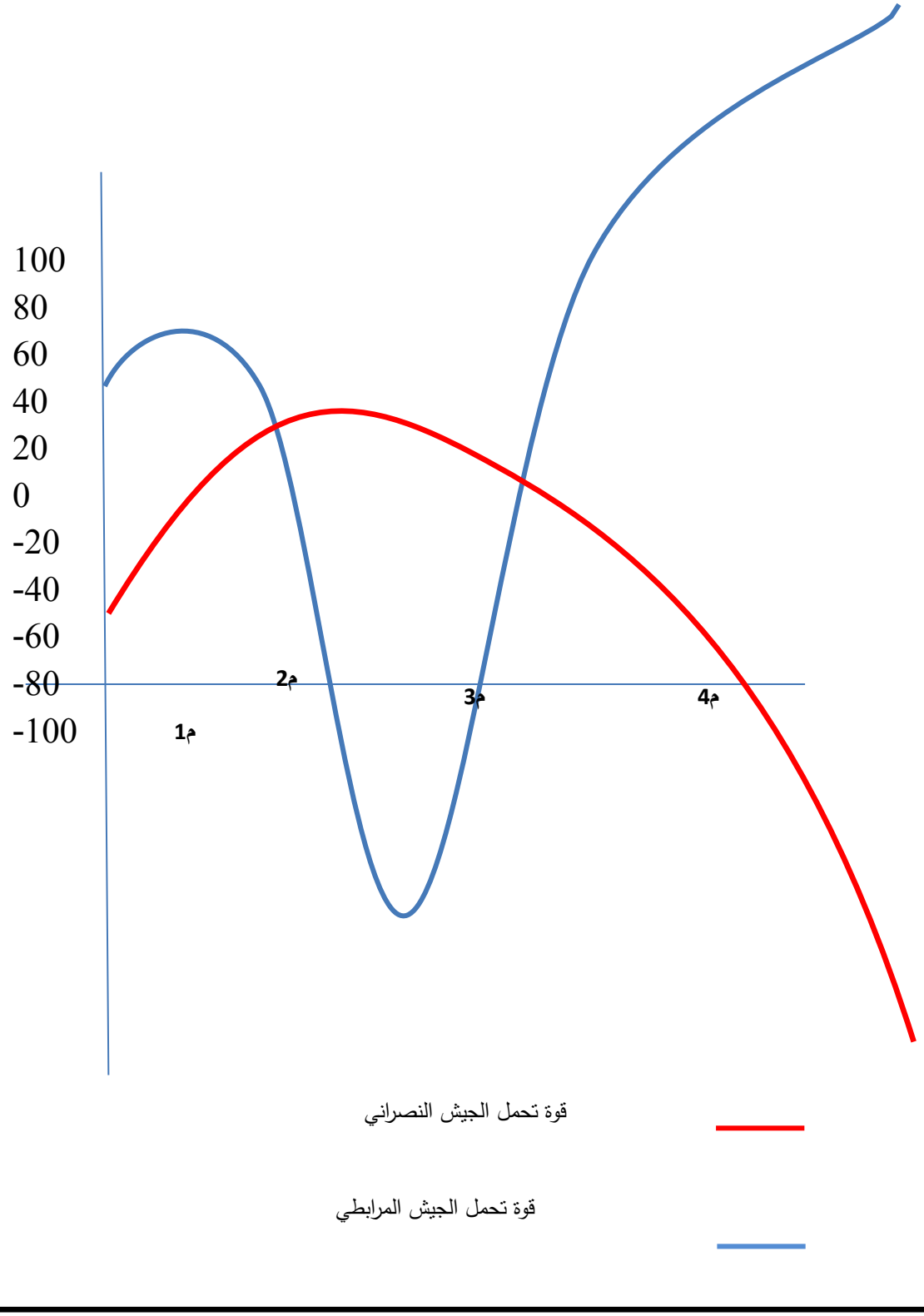

ثم أن الطريقة التي يفتقدها المؤرخ – حسب رأينا – في مثل هذا النوع من البحث هي الاستعانة بالجانب الرياضي وذلك بتحويل بعض الأحداث وجزئيات الدراسة إلى منحنيات بيانية أو أعمدة ودوائر نسبية أو مدرجات تكرارية، فمثل هذه الطرق الرياضية يمكن أن تسهل عمليات التفسير للحدث الحربي وهي مهمة لأنها تختصر – حسب رأينا – الحشو اللغوي والكرونولوجي وتعطي إضافات وقراءة تاريخية رياضية.

يضاف إلى هذا – حسب رأينا – تقيد الباحث بالمصطلحات الخاصة بهذا الحقل كالمؤخرة، الساقة، الميسرة، الميمنة، الكمين، العرادة، الجوشن، الترس، الرمح، السهم، الدعم اللوجستيكي (ونقصد به المدد في المفهوم الحربي الإسلامي في العصر الوسيط)، التراجع التكتيكي والتوزيع الاستراتيجي للقوات...، لأن هذه المصطلحات هي لغة البحث الأساسية، ودونها يتغير المعنى والطرح والهدف، ووجب على الباحث أن يشرح نصه بلغة ذات مصطلحات عسكرية ويبتعد عن الطرح الفقهي (إبن جزي، ك.غ. 2013 : 258. 276)، وما يقابلها من معجم خاص بالمصطلحات العسكرية القديمة وما يقابلها الآن. (محمود، ش، خ. 1403هـ: 62)

وما نستنتجه من هذه الدراسة أن التاريخ العسكري المخطوط يعتبر من أهم المعالم التي غيبت في البحث الأكاديمي وهو من القضايا التي تمس الهوية وهو جزء لا يتجزأ من الحرب الحضارية بين التراث العربي الإسلامي وتراث الآخر، لذا وجب أن يدرس هذا التراث من قبل المختصين ويحقق وينشر، ثم الاستفادة منه وتوظيفه في الدراسات الأكاديمية العسكرية للطلاب وكذا ضرورة التنسيق بين المؤرخ والعسكري فكل يكمل الآخر، وهذا الموضوع هو مساهمة بسيطة لفتح الباب أمام الباحثين ليتخصصوا في مثل هذه المواضيع.

فالخطاب إذن موجه للأكاديميات العربية التي لم تستغل هذا التراث الذي أصبح لا يتعدى رفوف المتاحف عكس الغرب الذي استفاد من التراث العربي ووظفه في مخططاته العسكرية مثل خطط قتال النبي (ص) التي تدرّس في الجامعات الأمريكية وكذا إستراتيجيات خالد بن الوليد والشيباني في ألمانيا.

لذا وجب على الطالب العربي الإسلامي أن ينهل من تراثه العسكري لترسيم معالم الجندية والتزود بالتكتيكات والخطط والمهارات العسكرية التي أنتجتها المؤسسة العسكرية الوسيطة لتكون له مكتسبات قبلية لتطوير العملية الحربية حتى لا تبقى العقيدة العسكرية الإسلامية غائبة في المدارس والمعاهد والكليات الحربية (محمود،ش ،خ: 62، فورجيوس، ب، ج. 2011: 16)

فالمنهج الكمي النوعي بالأرقام هو ثورة في فهم التاريخ، لأن الآليات التقليدية في تفسير ونشر وقراءة التراث المخطوط قد أعاقت إخراجه بمناهج جديدة أكثر تطورا خاصة أمام ثورة التكنولوجيا والمعلومات المغيبة في المخطوط العسكري الإسلامي (زايد، م. 2000: 60. 61)

قائمة المصادر والمراجع المعتمدة

المصادر:

1- ابن القيم، الجوزية. (1425هـ).الفروسية، تحقيق محمد مصطفى أبو العلاء، مكتبة أولاد الشيخ للتراث، مصر.

2- إبن النديم. (2009)، الفهرست، تحقيق أيمن فؤاد سيد، (ط1)، لندن، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي.

3- إبن بشكوال. (2003)، كتاب الصلة، بيروت، المكتبة العصرية.

4- إبن جزي، الكلبي الغرناطي. (2013)، كتاب القوانين الفقهية في تلخيص مذهب المالكية (ط1) تحقيق ماجد الحموي، بيروت دار إبن حزم.
5- إبن خلدون، عبد الرحمان. (2001)، المقدمة، (ط1)، بيروت، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.
6- إبن سلام، أبو عبيد القاسم. (1985) كتاب السلاح، تحقيق صالح الضامن، (ط2)، بيروت، مؤسسة الرسالة.
7- إبن عماد، الحنبلي. (1986)، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق عبد القادر أرناؤوط ومحمد الأرناؤوط، (ط1)، دار إبن كثير.
8- إبن قتيبة، الدينوري. (1996)، عيون الأخبار، (ط2)، القاهرة، مطبعة دار الكتب المصرية، (ج1).
9- إبن منظور. (1994) ، لسان العرب، (ط5)، بيروت، دار صادر.
10- إبن منكلي محمد، الناصري. (2000) الحيل غي الحروب وفتح المدائن والحروب، تحقيق نبيل محمد عبد العزيز، (ط1) دار الكتب المصرية ، القاهرة
11- إبن منكلي، محمد الناصري (1988)، الأدلة الرسمية في التعابي الحربية، الأدلة الحربية، تحقيق محمود شيت خطاب، بغداد، مطبعة المجمع العلمي العراقي.
12- الحميري، عبد المنعم، (1995)، صفة جزيرة الأندلس، (ط1)، بيروت، دار الجيل.
13- الزركلي، خير الدين. (2002) الأعلام،ط5،ج5، دار العلم للملايين، بيروت.
14- الشيباني، محمد إبن الحسن.(1971)، كتاب السيرة الكبير، تحقيق صلاح المنجد، (ط1)، القاهرة، شركة الإعلانات الشرقية، (ج1).
15- الطرسوسي، مرتضى. كتاب تبصرة أرباب الألباب في كيفية النجاة في الحروب من الأسراء ونشر الأعلام في العد والآلات المعينة على لقاء العدو.
16- العباسي، الحسن بن عبد الله. (1989)، أثار الأول في تدبير الدول، (ط1)، تحقيق عبد الرحمان بن عميرة، بيروت، دار الجيل.
17- المرادي، أبو بكر. (2003) الإشارة في تدبير الإمارة تحقيق محمد حسن وأحمد فريد المزيري، (ط1)، بيروت، دار الكتب العلمية.
18- الهرثمي، صاحب المأمون. (1964)، مختصر سياسة الحروب،تحقيق عبد الرؤوف عون، القاهرة، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر.

المراجع:

1- البسيري، أحمد. (2009)، مصادر التراث العسكري المخطوط بالمغرب،(ط1)، المغرب، منشورات اللجنة المغربية للتاريخ العسكري.
2- أحمد زماني، (1991)، بحوث في النظام العسكري في الإسلام، (ط1)، بيروت الدار الإسلامية.
3- بلغيث، محمد الأمين. (1989)، النظرية السياسية عند المرادي وأثرها في المغرب والأندلس، (ط1)، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب.
4-الجابري، محمد عابد. (1993) نحن والتراث، (ط 6) بيروت، المركز الثقافي العربي.
5-خضر، عبد الحليم. (1995)، المسلمون وكتابة التاريخ، فيرجينيا، الدار العلمية للكتاب الإسلامي، المعهد العالمي للفكر الإسلامي.
6- زايد، مصطفى. (2000)، التاريخ الكمي مع تطبيقات في التاريخ الإسلامي، (د.ط)، القاهرة.

7- زغروت، فتحي. (2005) الجيوش الإسلامية وحركة التغيير في دولتي المرابطين والموحدين، (ط1)، القاهرة، دار التوزيع والنشر الإسلامية.

8- سلطان، جمال. (1990)، الغارة على التراث الإسلامي، (ط1)، القاهرة، مكتبة السنة.

9- عبد الله، العروي. (1996)، مجمل تاريخ المغرب، (ط 5)، المغرب، دار البيضاء، المركز الثقافي العربي ، (ج1).

10- عبيدات محمد وآخرون. (1999)، منهجية البحث العلمي، (ط1)، الأردن، كلية الاقتصاد والعلوم القانونية.

11- عثمان حسن. (1964)، منهج البحث التاريخي، (ط 8) القاهرة، دار المعارف.

12- فاروق، عمر فوزي. (1988)، التعبئة وأساليب القتال، (د.ط) بغداد.

13- فتحي، أمين محمد. (2005)، العلم العسكري مفهومه وتطبيقاته، (ط1) دمشق، الأوائل للنشر والتوزيع.

14- فورجيوس بي جيه، (2011)، المنهج المرجعي للتعليم العسكري، (ط1)، كندا، أكاديمية الدفاع الكندية.

15- محفوظ، حمال الدين. (1999) العسكرية في الإسلام، (ط1)، القاهرة دار المعارف.

16- محمود شيت، خطاب . (1403هـ)، العسكرية العربية الإسلامية، قطر، رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية.

المجلات والدوريات والرسائل الجامعية:

1- خميسي، بولعراس. (2015) ، **فن الحرب بالغرب الإسلامي خلال عصري المرابطين والموحدين**، رسالة دكتوراه العلوم في التاريخ الإسلامي، جامعة الحاج لخضر، باتنة.

2- زرو، محمد. (2006)، قراءة وصفية لبعض المصادر التراثية، **مجلة الآداب والعلوم الإنسانية**، (العدد 06)، القنيطرة، جامعة ابن الطفيل.

3- ضميرية، عثمان بن جمعة. (1417هـ)، السنة 15، المعاهدات الدولية في فقه الإمام، الشيباني محمد إبن الحسن، **رابطة العالم الإسلامي**، العدد 177.

4- عبيد طه، خظر. (2000)، التعبئة العربية الإسلامية في كتاب The Taktica للكتاب ليو السادس 886-912م، **مجلة المجمع العلمي العراقي**، بغداد، ج1، مجلد47، ص 124، 127،125.

5- علم المخطوط العربي، (2014)، **بحوث ودراسات**، (ط1)، الكويت، دار الوعي الإسلامي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية.

6- **موسوعة الحضارة العربية الإسلامية**،(1995)، المؤسسة العربية للدراسات، (ط1)، بيروت (ج3).
الموسوعة العسكرية.

7- ناصر بن حماد السبيعي، التراث العسكري، الكويت، **مجلة الحرس الوطني**، العدد 312.

المراجع باللغة الأجنبية :

1- El-Kolli Larbi , (2013 Aout) , Show In Which The Use Of Diagrams, Figures Or Graphs Can Aid The Understanding And Interpretation Of Factor Analysis What Are Their Limitation, Revue De L'université Emir Abdelkader Des Sciences Islamique, N° 14 .

2- M.Reinaud: De l'art Militaries Chez Les Arabs Au Moyen Âge, Imprimerie National

REVUE EL-BAHITH

En Sciences Humaines et Sociales

Revue périodique académique Editée par Faculté des Sciences Sociales et Humaines

Directeur d'honneur
Pr. FARHATI Omer
(Directeur de l'université)

Directeur de la Revue:
Pr.TERKI Abderrahmane
(doyen de Faculté des Sciences Sociales et Humaines)

Rédacteur en chef
Dr.CHAFOU radhouane

Comité Editorial
Dr.machri soulaf
Dr.Amrani mouad
Ismahan djbali

Numéro 8 / December 2016
ISSN 2170-0370 ردمد

REVUE EL-BAHITH

En Sciences Humaines et Sociales

Revue périodique académique Editée par Faculté des Sciences Sociales et Humaines

Cinquième année (5) -Numéro (8) /Rabih Ethani 1438– Décembre 2016

ISSN 2170-0370